سورة المدثر

[٩٨٥] أخرج الشيخان(١) عن جابر قال: قال رسول الله [ﷺ] **«جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحداً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت دثروني دثروني»** فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾(٢).

[٩٨٦] ك.. وأخرج الطبراني بسند ضعيف(٣) عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر وقال بعضهم: ليس بساحر وقال بعضهم: كاهن. وقال بعضهم: ليس بكاهن. وقال بعضهم: شاعر. وقال بعضهم: ليس بشاعر. وقال بعضهم: سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي [ﷺ] فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾(٤).

[٩٨٧] وأخرج الحاكم وصححه(٥) عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي [ﷺ] فقرأ علية القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له وإنك كاره له قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله وإنه ليعلو وما

---

[٩٨٥] (١) صحيح البخاري ٦/٢٠١، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (٢٥٧)، ومسند أحمد ٣/ ٣٠٦، ورواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٠).
(٢) سورة المدثر: الآية (١و٢).

[٩٨٦] (٣) ورواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٠) من طريق أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس.
(٤) سورة المدثر: الآية (١١).

[٩٨٧] (٥) راجع تعليق (٩٨٧).

يعلى وإنه ليحطم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر أثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾[1] إسناده صحيح على شرط البخاري وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

[٩٨٨] ك.. وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء: أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي [ﷺ] عن خزنة جهنم فجاء فأخبر النبي [ﷺ] فنزل عليه ساعتئذ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾[2]. ك.. وأخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يوماً يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾[3] الآية. ك.. وأخرج نحوه عن قتادة قال ذكر لنا فذكره.

[٩٨٩] ك.. وأخرج عن السدي قال: لما نزلت: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾[4] قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾[5].

[٩٩٠] ك.. وأخرج ابن المنذر عن السدي قال: قالوا لئن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار فنزلت: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ۝٥٢﴾[6].

* * *

---

(١) سورة المدثر: الآية (١و٧).

[٩٨٨] (٢) سورة المدثر: الآية (٣٠).

(٣) سورة المدثر: الآية (٣١).

[٩٨٩] (٤) سورة المدثر: الآية (٣٠).

(٥) سورة المدثر: الآية (٣١).

[٩٩٠] (٦) سورة المدثر: الآية (٥٢).

(٧٤) سورة المدثر مكية وآياتها ست وخمسون

● **سورة** المدثر مكية ، شأنها كسابقتها – سورة المزمل – تتحدث عن بعض جوانب من شخصية الرسول الأعظم ﷺ ، ولهذا سميت سورة المدَّثِّر .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بتكليف الرسول بالنهوض بأعباء الدعوة ، والقيام بمهمة التبليغ بجدٍ ونشاط ، وإنذار الكفار ، والصبر على أذى الفجار ، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ﴿ يا أيها المدَّثِّر . قم فأنذرْ . وربَّك فكبِّر . وثيابك فطهرّ . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصْبر ﴾ .

● **ثم توالت** السورة تنذر وتهدد أولئك المجرمين ، بيومٍ عصيب شديد لا راحة لهم فيه ، لما فيه من الأهوال والشدائد ﴿ فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذٍ يوم عسير . على الكافرين غير يسير ﴾ .

● **وبعد ذلك** البيان الذي يرتعد له الإنسان ، تحدثت السورة عن قصة ذلك الشقي الفاجر « الوليد بن المغيرة » الذي سمع القرآن وعرف أنه كلام الله ، ولكنه في سبيل الزعامة وحب الرئاسة زعم أنه من قبيل السحر الذي تعارفه البشر ﴿ ذَرْني وَمَنْ خلقت وحيداً . وجعلت له مالاً ممدوداً . وبنينَ شهوداً . ومَهَّدْتُ له تَمهْيداً . ثم يَطْمَعُ أن أزيدَ . كَلاَّ إنه كانَ لآياتِنَا عنيداً . سأُرْهِقُهُ صَعُوداً . إنَّه فكَّرو قدَّر .

فَقُتِلَ كَيْفَ قدَّر .. إلى قوله تعالى : سأُصْليهِ سَقَرَ ﴾

● **ثم تحدثت** السورة عن النار التي أوعد الله بها الكفار ، وعن خزنتها الأشداء ، وزبانيتها الذين كلفوا بتعذيب أهلها ، وعددهم والحكمة من تخصيص ذلك العدد ﴿ وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقي ولا تذر . لَوَّاحة للبشر . عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنةً للذين كفروا .. ﴾ الآيات .

● **وأقسمت** السورة بالقمر وضيائه ، والصبح وبهائه على أن جهنم إحدى البلايا العظام ﴿ كلا والقمر . والليل إذْ أدبْر . والصبح إذا أسفر . إنها لأحدى الكُبر . نذيراً للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ .

● **ثم تحدثت** السورة عن الحوار الذي يجري بين المؤمنين والمجرمين عن سبب دخولهم الجحيم ﴿ إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ الآيات .

● **وختمت السورة** ببيان سبب إعراض المشركين عن الإيمان ﴿ كلا بل لا يخافون الآخرة . كل إنه تذكرة . فمن شاء ذكره . وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[١] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[٢]

قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، قيل: إن الذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر أنه كان في بعض طرق مكة إذ سمع صوتا من السماء والأرض، فنظر عن يمينه وعن شماله[2] وأمامه وخلفه فلم ير شيئا، فرفع رأسه فرأى شيئا[3] ففرِق منه فأتى بيته وقال: زَمّلوني، فدثّروه. فإن صح ما قالوا وإلا لم يسعهم أن يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفَرَق، ولأن التدثر ليس مما يَسكن به الرَّوع الذي يَحُلّ بصاحبه من الصياح. وذكروا أن أول ما نزل من الوحي قوله: **يا أيها المدثر**، فإن صح ما ذكروا فأول ما أوحى إليه هو الصياح الذي سمعه إذ كان ذلك[4] متقدما على قوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وقيل: إن كفار مكة قذفوه بالسحر وأجمعوا آراءهم[5] على أن ينسبوه إليه وفشا هذا القول فيهم له، أحزنه ذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فأمره[6] الله تعالى أن يقوم فينذرهم، بقوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وعلى هذا التأويل يكون الوحي[7] نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا لما يرون[8] منه من الآيات. ***والله أعلم.***

---

[1] ر – سورة المدثر؛ ث + وهي ست وخمسون آيات؛ م + وهي مكية.

[2] ر ث م: وعن يساره.

[3] ر م – فرفع رأسه فرأى شيئا.

[4] ر م: إذا كان ذلك؛ ن: إن كان ذلك؛ ث: إذ كان لك؛ م: إذا كان لك.

[5] جميع النسخ: رأيهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.

[6] ر: فأمر.

[7] ر م – الوحي.

[8] ر م: لما تروا؛ ن ث: لما يروا. والتصحيح من المرجع السابق.

وذكر أن موسى -صلوات الله على نبينا وعليه- قال: أتاني ربي من طُورِ سِيناءَ، وسيأتي من طُورِ ساعُورا وسيطْلُع من جبل فَاران. فإن صح هذا الخبر فمعنى قوله: أتاني ربي أي[1] أوحى إلي، وقوله: وسيأتي من طور ساعورا[2] هو الوحي إلى عيسى عليه السلام، وقوله: وسيطلع من جبل فاران هو[3] القرآن الذي أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وفي هذا الخبر دلالة أن الأخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة إلى سماء الدنيا هو[4] على نزول أمره إلى ملائكته أن قولوا: هل من داع فيجاب، هل من مستغفر فيغفر له؟[5] فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي إليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة أو كان ذلك الجبل منسوبا إلى ذلك المكان.

ثم في قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية[6]
[٨٦٣و] رسالته. وذلك أن تعريف المرء بما عليه من الثياب[7] ونسبته إليه / لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل، وإنما التبجيل فيما يُدعَى باسمه أو بكنيته. فلو كانت[8] الأمر على ما زعمت الكفرة أن هذا القرآن ليس من عند الله وأن رسول الله هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرّف نفسه بثيابه بل يعرفها بما فيه تبجيلها وتعظيمها. فإذ لم يفعل ثبت أنه كان رسولا حقا بلّغ الرسالة على ما أوحي إليه وأدى كما أمر. على ما ذكرنا في الآيات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيها تثبيتَ رسالته نحو قوله: عَبَسَ وَتَوَلَّى،[9] وغير ذلك من الآيات. وجائز أن يكون نسبته[10] إلى ثيابه ليعلم الخلق أن لا بأس للمرء أن يعرّف أخاه بثيابه.

---

[1] ر م - أي.
[2] م: ساعوراء.
[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.
[4] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وتغشتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وقال: «إن الله يُمهل حتى إذا كان ثلثُ الليل الآخِرُ نزل الله عز وجل إلى هذه السماء فنادى: "هل من مذنب يتوب، هل من مستغفر هل من داع، هل من سائل" إلى الفجر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٤٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦١-١٧٢).
[6] ن: وتأييد.
[7] ر م: من الثبات.
[8] ث: فلو كان.
[9] سورة عبس، ١/٨٠.
[10] ر: نسبة.

وجائز أن يكون نسبته إلى الثوب الذي تدثر[١] به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي. وهذا لما ذكرنا[٢] أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى نحو الجزئيات تخرج[٣] مخرج تعظيم[٤] ذلك الأشياء، كقوله: نَاقَةُ اللهِ،[٥] ومَسَاجِدَ اللهِ،[٦] ورَبُّ الْعَرْشِ،[٧] على تعظيم العرش وتعظيم أمر الناقة وتشريف المسجد. وإضافة الأشياء إليه نحو الكليات تخرج[٨] مخرج تعظيم الله تعالى، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ،[٩] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.[١٠] ثم أُذن للمرء أن يسبح في ركوعه فيقول: سبحان رَبِّيَ العظيم فيَخُصّ نفسه بقوله: "ربي". والحق في مثله أن يقول: "سبحان ربنا" لئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ، ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، إذ الإضافة من الجانبين على السواء[١١] فيما ذكرنا، لكنّ ذلك الذكر[١٢] إذا وافق الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفُه بالعلو وهي الركوع والسجود أُذن له بأن يأتي بهذا الذكر وإن خرج ذلك مخرج تعظيم النفس. فكذلك ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم إذا وافق حال نزول الوحي عظم شأنه من ذلك الوجه[١٣] فنُسب إلى ذلك الثوب. ثم المرء إنما يتدثر عند ما يريد أن ينام أو عند طلب الراحة، وليست تلك الحالة حالة يستحب[١٤] المرءُ مصاحَبة[١٥] الكبراء العظام في مثل تلك الحالة[١٦] فضلا من أن يصحب الملَكَ في مثل تلك الحالة.[١٧]

---

[١] ر ن م: يدثر.
[٢] ن: كما ذكرنا.
[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.
[٤] م: التعظيم.
[٥] سورة الأعراف، ٧/٧٣.
[٦] سورة البقرة، ٢/١١٤.
[٧] سورة التوبة، ٩/١٢٩.
[٨] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة الفاتحة، ١/٢.
[١٠] سورة مريم، ١٩/٦٥.
[١١] ر: على السؤال.
[١٢] ر ث م – الذكر.
[١٣] ن: للوجه.
[١٤] م: يستصحب.
[١٥] ر م: صاحبة.
[١٦] ر ن م: الحال.
[١٧] جميع النسخ: الحال. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون في هذا دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَطّلع على الأوقات التي كان يأتي فيها الوحي، وإذا لم يعلم كان الأمر عليه أصعب وأشد منه إذا بُيِّن له، لأنه إذا لم يبين له لزمه أن يصون نفسه في الحالات كلها عن أشياء يُستحيى[١] مع مثلها الخلوةُ بالملائكة. ولهذا لم يبين[٢] لأحد منتهى عمره ليكون أبدا مستعدّا[٣] للموت فَرِقًا أن يَحُلّ به ساعة بعد ساعة ويكون أبدا على خوف ووجل من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قم فأنذر**، خص النذارةَ دون البِشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا، ففي ذكر النذارة ذكر البشارة وإن أمسك عنها لأن النذارة ليست يرجع إلى نفس الخلائق، وإنما النذارة هي تبيين[٤] عواقب ما ينتهي إليه حال من التزم الفعل[٥] المذموم، فإذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة في تركه؛ فثبت أن في النذارة بشارة وفي البشارة نذارةً أيضا، فاقتصر بذكر إحداهما عن ذكر الأخرى. وليس في قوله: **قم**، إلزام قيام ولكن معناه: قم في إنذار الخلق وبشارتهم على ما ينتهي إليه وسعك.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وربك فكبر**، أي عظّم. وتعظيمه أن يجيبه فيما دعاه[٦] إليه ويطيعه فيما أمره وأن يتحمل[٧] ما لزمه[٨] عمله، فذلك هو[٩] تعظيمه لا أن يقول بلسانه: يا عظيمُ فقط. وجائز أن يكون تأويله أن عظّمه[١٠] عن المعاني التي قالت فيه[١١] الملحدة[١٢] من أن[١٣] لله[١٤] تعالى ولدا

[١] ث ن: يستحي.
[٢] ن: ما لم يبين.
[٣] ث - مستعدا.
[٤] ن: حتى يتبين.
[٥] ن - الفعل.
[٦] م: فيما دعا.
[٧] ر: وأن يتحل.
[٨] ن ث: ما ألزمه.
[٩] ر ث م - هو.
[١٠] جميع النسخ: أي عظمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[١١] ن - فيه.
[١٢] م: ملاحدة.
[١٣] ن - أن.
[١٤] ر ن م: الله.

وأن له شريكا[١] ونزِّهه عنها، أو عظم حقه وأدِّ[٢] شكر نعمه. وهذا كما نقول:[٣] إن محبة الله تعالى طاعته وائتمار أوامره لا أن يكون هي[٤] شيئا يعتري في القلب فيصْعقَ منه المرء ويُغْشَى عليه، فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا أن يكون بالقول خاصة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وثيابك فطهر**، جائز أن يكون أريد بالثياب نفسه ويُجعلَ الثياب كناية عنها، كما ذكر أن العرب كانت تقول[٥] إذا كان الرجل ينكث العهد وليس بذي وفاء: إنه لَدَنِس الثياب، وإذا كان له وفاء قالوا: إنه لطاهر الثياب. فإن كان الخطاب متوجها إلى النفس فتأويله -والله أعلم- أن طهّر خُلقك وأفعالك وأقوالَك عما تُذَمّ[٦] عليه. وجائز أن يكون أريد بها الثياب فيكون قوله: **وثيابَك فطهّر**، متوجها إلى التطهير من النجاسة[٧] وإلى التطهير من الأدناس. فأما التطهير من الأجناس فقد امتُحنّا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما التطهير من الأدناس فجائز أن يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لأنه كان مأمورا[٨] بتبليغ الرسالة إلى الخلق فنُدب إلى تطهير ثيابه من الدنس لئلا يُستقذر[٩] / بل يُنظر إليه بعين التبجيل والعظمة. [٨٦٣ظ]
وليس هذا على تطهير الثياب خاصة بل أُمر أن يطهّر[١٠] جميع ما يقع له به التمتع من المآكل والمشرب والملبس وغيرها. *والله أعلم*. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أي[١١] لا تلبس الثوب على فخر ولا غدر.[١٢] قيل: وكان الرجل إذا كان غادرا في الجاهلية يقال: إنه دَنِس الثياب.

---

[١] ر ن م: شريك.
[٢] ر م: أو؛ ن: وأن أد.
[٣] جميع النسخ: يقول. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[٤] ر: هو.
[٥] ن: يقول.
[٦] جميع النسخ: يذم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث ن: من النجاسات.
[٨] ث + بها.
[٩] ن: لئلا يستقدر.
[١٠] ن: أن يظهر.
[١١] ر م – أي.
[١٢] ر ث م: ولا عذر. عن عكرمة أن ابن عباس سئل عن قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: لا تلبسها على غدرة ولا فجرة (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٢٦/٨).

وقال الحسن: خُلُقَك فحسّنه.[1] وقال بعضهم: أي قصّر ثيابك ولا تُطوّلها، فيقعَ أطرافها[2] على الأرض، فيصيبها النجاسات.[3] *والله أعلم*.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والرجز فاهجر**، فالرجز اسم للمأثم واسم لما يعذَّب به،[4] فيكون منصرفا إلى ما يتأذى به النفس ويتألم به النفس كالسيئة[5] في أنها اسم لما يتأذَّى به ولما[6] يتألم عليه النفس، قال الله تعالى: لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ.[7] فالمأثم اسم لما يتأذى به والعذاب مما يتألم به النفس فهو اسم للأمرين جميعا.[8] وصرف أهل التأويل الرجز إلى المأثم هاهنا. وذكر قتادة أنه كان بمكة صنمان إسافٌ ونائلةُ، فكان من أتى عليهما من المشركين مسح وجوههما. فأمر الله عز وجل نبيه[9] صلى الله عليه وسلم أن يعتزلهما[10] بقوله: **والرجز فاهجر**. وقيل أيضا بأن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لو مسحت وجوههما لكان [أحرى][11] أن نؤمن لك ونتبعك فأنزل الله تعالى **والرجز فاهجر**، أي فاهجر عبادة الأوثان. وقيل: **الرجز**، العذاب. فجملته ترجع إلى ما ذكرنا أنه اسم للعذاب ولما يعذب عليه. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: محسنة. *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٦٤؛ وانظر أيضا، *روح المعاني* للآلوسي، ١٥/١٤٧.

[2] ر: أطراقها.

[3] ر ث م: فيصيبه النجاسة.

[4] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

[5] ر م: كالسب؛ ن ث: كالشبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: ولا.

[7] سورة سبأ، ٣٤/٥.

[8] ر: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذب في ما يتألم به جميعا؛ ن: فالمأثم اسم لما يتأذى بها النفس فهو اسم للأمرين والعذاب مما يتألم به جميعا؛ ث: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين جميعا والعذاب مما لم يتألم به جميعا؛ م: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذاب وما يتألم به جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ث: بنبيه.

[10] ر: أن يعيرهما؛ ن ث م: أن يعبرهما. والتصحيح من المرجع السابق. عن قتادة: ﴿والرجز فاهجر﴾ إساف ونائلة، وهما صَنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما مَن أتى عليهما، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٤).

[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ولا تمنن تستكثر**، قال مجاهد والحسن: تأويله أن لا تستكثر عملك فتمنّ به على ربك، على التقديم والتأخير.[١] فإن كان التأويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان هو المذكورَ في الخطاب، إذ لا[٢] يتوهم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنّ على ربه ولا أن يستكثر عمله لله تعالى، لأن هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوامّ الذي خُصّ بأدنى خير،[٣] فكيف يتوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين، قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ.[٤] ويجوز أن يكون الخطاب له وإن كان هو معصوما من ذلك، بقوله:[٥] وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ،[٦] ونحوه. وهذا كما ذكرنا أن العصمة لا تمنع[٧] وقوع النهي إذ العصمة يُنتفع[٨] بها مع ثبات النهي، فإذا لم يكن فلا فائدة في العصمة. وقال بعضهم: **ولا تمنن تستكثر**، أي لا تعط[٩] عطية تلتمس بها أفضل منها في الدنيا من الثواب. نُهي عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها إلا القدرَ الذي لا بد له منه[١٠] ويقع إليه الحاجة. ألا ترى إلى قوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[١١] فإذا نهي عن مدّ عينيه إلى ما مُتِّعوا فمن[١٢] اكتساب أسباب[١٣] المال أحقّ. ثبت أن الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجمعه،[١٤] وجعل رزقه عليه السلام من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر وهو الفيء والغنيمة.

[١] قال الحسن البصري: لا تمنن عملك تستكثره على ربك (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٦).
[٢] ر ن م: ألا.
[٣] ن: خير.
[٤] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.
[٥] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[٦] سورة القصص، ٢٨/٨٨.
[٧] ر ث م: لا يمنع.
[٨] ر ث م: لا ينتفع.
[٩] ر ن م: لا تعطيه؛ ث: لا تعطه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[١٠] ر ث م – منه.
[١١] سورة طه، ٢٠/١٣١.
[١٢] جميع النسخ: ففي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م – أسباب.
[١٤] ر + ذلك.

ثم نهى عن إمساكه وادّخاره لنفسه بل أمر أن يصرفه في أمته بقوله عليه السلام: «مالي من هذا المال إلا الخُمُس والخمس مردود فيكم».[1] وقال الله عز وجل: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى،[2] الآية. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدّخر لغد، وقال الله تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ،[3] فثبت أنه كان منهيا عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى اكتساب الأموال وإلى الجمع، فنُهي عن العطايا التي يُلتمس بها أفضلُ منها في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **ولربك فاصبر**، ففي هذا دعاء إلى إخلاص الصبر لله تعالى وإلى[4] الصدق فيه. وفي قوله عز وجل: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[5] دعاء إلى نفس الصبر. وجائز أن يكون هذا أيضا على الأمر بالصبر، فيكون على التقديم والتأخير، كأنه يقول: فاصبر لربك أي اصبر على ما تؤذَى[6] ولا تجازهم بصنيعهم فإن الله تعالى يكفيهم. فيكون في هذا إبانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بالأمور التي يكرهها نفسه ويشتد عليها فدعاه الله تعالى إلى الصبر على تحمل المكاره. *والله أعلم*.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [٨]

وقوله عز وجل: **فإذا نقر في الناقور**، نُقر أي نفخ، والناقور الصور وهي كلمة [من][7] كتب[8] الأولين. ذَكَر هاهنا **فإذا نقر في الناقور**، وقال في موضع آخر: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ،[9] وقال في موضع آخر: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[10] فجائز أن يحمل هذا كله على التحقيق،

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي من هذا إلا مثلَ ما لأحدكم إلَّا الخُمُسَ وهو مَرْدُودٌ فِيكُمْ فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ فما فوقهما وإياكم وَالْغُلُولَ فإنه عَارٌ وَشَنَارٌ على صاحبه يومَ القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٧/٤).

[2] ﴿...والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ (سورة الحشر، ٧/٥٩).

[3] ﴿لا يغُرَّنك تقلُّب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ (سورة آل عمران، ١٩٦/٣-١٩٧).

[4] ر م + أن.

[5] ر + أي. سورة الإنسان، ٢٤/٧٦؛ وانظر أيضا: سورة الطور، ٤٨/٥٢.

[6] جميع النسخ: على ما يؤذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر: كما كتب.

[9] سورة الحاقة، ١٣/٦٩.

[10] سورة يس، ٢٩/٣٦.

فيتحقق الصيحة والزَّجرة[١] والنَّقْرة، ثم يَعقُبها الساعة. وجائز أن يكون هذا على التمثيل، فيكون فيه إخبار عن سهولة ذلك الأمر وهَونه على الله تعالى، لأن اللمحة والزجرة والنفخة والنقرة أمر سهل لا يشتد على أحد. أو يكون[٢] على تقصير الوقت على الذين ينفخ فيهم الروح، أي الأرواح ترد[٣] عليهم في قدر النفخة والزجرة والصيحة؛ خلافا لأمر النشأة الأولى لأنه في النشأة الأولى إنما نفخ فيه الروح بعد كونه نطفة في بطن أمه أربعين يوما ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر / من المدة، ثم نفخ فيه الروح بعد مُدَد وأوقات،[٤] وفي النشأة الأخرى ينفخ الروح[٥] [٨٦٤و] بالقصير[٦] من المدة وذلك قَدْرُ النفخة والزجرة[٧] والصيحة واللمحة. *والله أعلم*.

وإنما قلنا بأن التأويل قد يتوجه إلى التمثيل دون التحقيق -وإن ذكر في بعض الأحاديث تثبيت الصّورِ[٨] والناقور- لأنها من أخبار الآحاد، وخبر الواحد[٩] يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة، وفي تحقيق الصور والناقور ليس إلا الشهادة، لذلك لم يحصل الأمر على التحقيق والقطع لئلا يُقطعَ الحكم على الشهادة.

ثم قد ذكرنا أن قوله: **إذا**، جواب سؤال واقع عن تبيين وقت كأنه قيل له: فاصبر إلى أن يُنْقَر في الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله: **قم فأنذر**، أي أنذرهم عما[١٠] يَحُلّ بأهل الشر من العذاب بنقر الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله:[١١] سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[١٢] إذا نقر في الناقور؛ أو كان السؤال[١٣] واقعا عن أمر لم يُشَرْ إلى ذلك الأمر. *والله أعلم*.

---

[١] ر: والرجزة.

[٢] م: ويكون.

[٣] جميع النسخ: يرد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[٤] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلَّقة وغير مخلقة لنُبيِّن لكم ونقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٥] ن م – الروح.

[٦] جميع النسخ: بالقصر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ث م – والزجرة.

[٨] ر ن م: الصورة.

[٩] ر: وجب الوحد؛ ث: وخبر الآحاد.

[١٠] ن: عملا.

[١١] ر ث م – لقوله.

[١٢] الآية ١٧ من هذه السورة.

[١٣] ر ث م: بالسؤال.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**، ذلك اليوم يومُ رحمة للمؤمنين إذ في ذلك اليوم يُكرمون ويُنالون عظيم الدرجات من ربهم. ولكن الله عز وجل ذكر ذلك اليومَ في غير آي[١] من كتابه والأحوالَ التي تكون[٢] فيها وإن كانت تلك الأحوال تنزل[٣] على غير المؤمنين. فمرة سماه واقعة، ومرة قارعة، ومرة حاقة.[٤] وإنما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم، فلذلك سماه عسيرا وإن كان هو عسيرا[٥] على فريق يسيرا على غيرهم. وجائز أن يكون عسيرا على الخلائق أجمعَ بعضُ هول[٦] ذلك اليوم يشمل الفرق كلها، كما قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى.[٧] ثم إن المؤمنين تُفَرّج[٨] عنهم الأهوال بما يأتيهم من البِشارات والكرامات عن الله تعالى ويبقى عُسْره على أصحاب النار.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ذرني ومن خلقت وحيدا**. ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة. والأصل أن الأنباء التي ذكرت عن الأنبياء المتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة فيها إبانةُ أنها جرت بينهم وبين الآحاد منهم؛ وذلك أن فرعون كل نبي كان[٩] واحدا وكان مَن سواه يصدر عن رأيه وينتهي إلى تدبيره، فكان يَستغني عن مخاطبة مَن سواه. وقد كثرت فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعى الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره والصدور عن رأيه والانقيادِ له. منهم أبو جهل ومنهم الوليد بن مغيرة ومنهم أبو لهب وغيرهم.

---

[١] م: أي.

[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[٣] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/١-٢)؛ وإلى قوله: ﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة﴾ (سورة القارعة، ١٠١/١-٣)؛ وإلى قوله: ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ (٦٩/١-٣).

[٥] ث - وإن كان هو عسيرا.

[٦] ن: هو.

[٧] ﴿يوم ترونها تَذْهَلُ كل مُرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَمْل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[٨] م: يفرح.

[٩] م - كان.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أن[١] يخاطب كلا في نفسه. ومن احتاج إلى مخاطبة أقوام وإجابة كل واحد بحِيَالِه كان الأمر عليه أصعبَ من الذي احتاج إلى مخاطبة واحد. ففي هذا[٢] أن المحنة على رسولنا[٣] عليه السلام كانت أكثر مما امتُحن بها[٤] من تقدمه من الرسل عليهم السلام.

ثم قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، ليس[٥] فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له: **ذرني**، ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة إظهار القوة؛ يقول الرجل[٦] لآخر: "خَلِّ بيني وبين فلان" و"دَعْني وإياه" من غير أن يكون سبق منه المنع، فيريد به إظهار القوة من نفسه أنه كافيه وقادر على دفع شره عن نفسه. فيكون في قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، دعاءٌ[٧] من الله تعالى إياه إلى أن لا يتعرض[٨] له ولا يجازيَه بصنيعه، فإن الله تعالى يكفيكه ويدفع عنك شره؛ أو يكون فيه نهي عن أن يدعوَ عليه بالهلاك والثبور ويصبِّره إلى أن يأتيه أمر الله تعالى، فيكون في هذا مَسْلاةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن المتنازعَين[٩] إذا تنازعا في شيء وحدث بينهما شر فانتصب ثالث في نصر أحدهما خف الأمر على المنصور ويفرح[١٠] لذلك ويسلو[١١] به. فإذا كان الله تعالى هو الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلاة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك أكثر في التسلي والتفرح،[١٢] فيكون في هذا تمكين من الصبر[١٣] الذي دُعي إليه بقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[١٤] وبقوله: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[١٥] الآية.

---

[١] م – أن.
[٢] ر ث م: و هذا.
[٣] ن: على رسوله.
[٤] ر ن م – بها.
[٥] ر م – ليس.
[٦] ن – الرجل.
[٧] ن: دعا.
[٨] ر: للتعرض.
[٩] ن: أن المسارعين.
[١٠] ر ن: ويفرج.
[١١] م: ويسلوا.
[١٢] ر ن: والتفرج.
[١٣] ر: من المصبر.
[١٤] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[١٥] سورة الإنسان، ٢٤/٧٦.

ثم قوله[1] عز وجل: **خلقت وحيدا**، يحتمل وجهين. أحدهما[2] أي خلقته وحدي ولم يكن لي في الخلق ناصر ومعين ولا مشير. وجائز أن يكون معناه أي خلقته وحيدا لا مالَ له ولا ولد. فيكون في هذا وعيد وتخويف لذلك اللعين، أي كيف لا يخاف أن يعاد إلى الحالة التي كانت عليها يوم خُلق بلا مال ولا ناصر، كقوله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.[3]

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجعلت له مالا ممدودا**، قيل: **مالا ممدودا**، أي مالا لا ينقطع بل يكون له مَدد. وذكر عن مجاهد أنه قال: كان ذلك ألف دينار.[4] وقال السُّدّي: **مالا ممدودا**، ثلاثة عشر ألفا.[5] وقيل: أراد به ما جعل له من الضياع بالطائف تثمر[6] في السنة مرتين. ولكن عندنا المال الممدود هو[7] المتتابع لا ينقطع مدده، والذي لا ينقطع مدده لا يقع تحت الإحصاء.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[١٣]

[٨٦٤ظ] وقوله عز وجل: **وبنين شهودا**، / أي حضورا لا يغيبون.[8] ويكون فيه وجهان من الحكمة. أحدهما أن ماله قد كثر حتى لم يحتج إلى تفريق أولاده في الجمع والاكتساب بل كان يأتيه[9] سمحا لا يحتاج إلى تكلف أسباب الجمع. والثاني أن غاية ما يراد ويتمنى ويُلتَمس من البنين هو أن يُستأنس بالنظر إليهم ويستعان[10] بهم ويستنصر إذا احتاجوا إلى ذلك. ففيه أنه قد نال مُناه[11] ووصل إلى ما يرغب إليه النفوس من كثرة الأموال والأولاد.

---

[1] ن ث: ثم في قوله؛ ر م: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[2] م – أحدهما.
[3] سورة الأنعام، ٦/٩٤.
[4] عن مجاهد ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا﴾ قال: كان ماله ألف دينار (*تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣٦٤؛ و*تفسير الطبري*، ٢٩/١٩١).
[5] ر م – ثلاثة عشر ألفا. قارن بما ورد في *معالم التنزيل* للبغوي، ٨/٢٦٦-٢٦٧.
[6] ر ث م: ثم؛ ن: يثمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[7] ر م: هو.
[8] ر ث: لا يعينون.
[9] ر م: تأتيه.
[10] جميع النسخ: ويستعين. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: متناه.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ومهدت له تمهيدا**، أي بسطت له في الدنيا بسطا، وقيل: التمهيد هو التمكين.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾[١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا**، فجائز أن يكون طمعه منصرفا إلى الزيادة في الآخرة، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١] فحسبوا أنهم إذا ساوَوا[٢] أهل الإيمان في الدنيا أن يُساوُوهم[٣] في الآخرة لو كان الآخرة حقا، فكذلك هذا اللعين حسب أنه يبسَط عليهم نعيم الآخرة كما بسط[٤] عليه نعيم الدنيا فكان قوله: **كلا**، ردا عليهم. فإن كان على هذا ففيه أعظم الدلالة على إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أن ليس له نصيب في الآخرة، وإنما يُحرَم النصيب إذا خُتم على الكفر وقد ختم[٥] على الكفر[٦] كما قال، فكان في هذا[٧] إخبار منه عن أمر الغيب، فصدق خبره وخرج الأمر حقا كما قال، فثبت أنه بالله تعالى عَلِمه. وجائز أن يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله: **كلا**. وذُكر أن ماله بعد نزول هذه الآية أخذ في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا، فيكون في هذا أيضا ما في الأول[٨] من إثبات الرسالة.

وقوله عز وجل: **إنه كان لآياتنا عنيدا**، في هذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى أكثر نعمه[٩] عليه، ثم ذلك الملعون مع كثرة نعم الله عليه وإحسانه إليه عاند [آياته][١٠] ولم يطعه في أوامره، فكيف ترجوا أنت منه أن يعاملك بخلاف ما يعامل ربه،[١١]

---

[١] ﴿...سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢١).
[٢] ث: ساؤوا.
[٣] ر م: أن يساوونهم؛ ن ث: أن يساونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[٤] م: كما يبسط.
[٥] جميع النسخ: وأختم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥و.
[٦] ر ث م - وقد ختم على الكفر.
[٧] ن: وفي هذا.
[٨] ر م: أيضا في الأول.
[٩] ث: نعمة.
[١٠] الزيادة من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: في معاملته إياك مع معاملتك إياه بما يخالف مراده وهواه. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون فيه ما يدعوه إلى الصبر. والعناد هو مخالفة الحق عن علم بظهور الحق، فيكون قوله: **إنه كان لآياتنا عنيدا**، إنباء[١] أنه بعد علم وإحاطة ويقينٍ عاند آيات الله وخالف أمر رسول الله واستكبر. والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يثبته عقله بالأقوال أو بالأفعال.

ثم في قوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا**، إبطال قول من قال: إن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم، لأن قوله: **أن أزيد**، لا يخلو إما أن تكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى عندهم أن يزيده وفي قوله: **كلا**، قطع طمعه للزيادة، فيصير بحرمان الزيادة عنه[٢] جائرا،[٣] فكيف جعَل آيةَ رسالته من الوجه الذي هو جور عندكم؟ وإن كان حرمان الزيادة خيرا له[٤] وأصلحَ فكيف جعل الحرمان أيضا علما لنبوته وكان عليه أن يُحرمه على زعمكم. وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم يطمع أن يزيد.[٥]

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **سأرهقه صعودا**، فجائز أن يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد الصُّعود عليها كما ذكره بعض[٦] أهل التأويل، فيُكلَّف الصُّعودَ عليها.[٧] وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك أن الصَّعود في الشاهد[٨] مما يشق على المرء الصعود [عليها]، والهبوطَ مما يسهل على المرء الانحدار[٩] عنه.[١٠] فإن كان على هذا ففيه أنه يصيبه في الآخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمُّل ذلك.

---

[١] ر ث م - إنباء.
[٢] ث - عنه.
[٣] ر م - جائرا.
[٤] ن - له.
[٥] ر م: أن أزيد.
[٦] ن - بعض.
[٧] ن: عليه.
[٨] ر م: في التشاهد.
[٩] ر ن: للانحدار.
[١٠] الصَّعود: الطريق صاعدا. مؤنثة. وفي التنزيل ﴿سأرهقه صعودا﴾ أي على مشقة من العذاب. قال الليث وغيره: الصَّعُودُ ضد الهَبُوط والجمع صعائدُ وصُعُدٌ مثل عجوز وعجائز وعُجُز والصَّعُودُ العقبة الكئود وجمعها الأَصْعِدَةُ. ويقال: لأُرْهِقَنَّكَ صَعُودًا أي لأُجَشِّمَنَّكَ مَشَقَّةً من الأمر وإنما اشتقوا ذلك لأن الارتفاع في صَعُود أَشَقُّ من الانحدار في هَبُوط. وقيل: فيه يعني مشقة من العذاب. ويقال: بل جَبَلٌ في النار من جمرة واحدة يكلف الكافرُ ارتقاءَه ويُضرب بالمقامع فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفلِ وَرِكِهِ ثم تعود مكانها صحيحة (*لسان العرب*، «صعد»).

ثم يقال للمعتزلة في هذه الآية وفي قوله: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ:[١] إن في هذا وعيدا من الله تعالى بأن يصليه سقر وسيُرهقه صعودا، فأراد الله تعالى أن يَصدُق خبرهُ ويُنجز وعدَه أو أراد أن يُكذب خبرَه ويخالف وعده؟ فإن قلتم بالثاني فقد نسبتموه إلى الكذب وإلى خلف الوعد، ومَن هذا وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح أن يكون إلها. وإن قلتم: بلى، أراد أن يصدق خبره وينجز[٢] وعده قلنا لكم: أراد[٣] أن ينجز وعده مع دوامهم على الكفر أو عند انقلاعهم عنه؟ فإن زعمتم أنه إنما أراد أن يصليهم سقر على الخروج من الكفر فهذا منه جور، لأنه يصليه سقر بشيء لا إرادة له فيه،[٤] وإن سلّمتم أنه أراد إصلاءهم سقر إذا داموا على الكفر واستقروا عليه فقد لزمكم أن تقولوا: إن الله تعالى أراد من كل أحد ما علم أنه يختاره ويكون منه. ويقال لهم: إن الله تعالى يقول: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ،[٥] ولو كان الأمر على ما زعمتم أنه يريد من كل كافر أن يُسلم ويؤمن به ويريد الكافرُ أن يكفر به ويعاديه، فإذًا قد أراد أن يكون له ولي من الذل، لأنه يريد أن يواليه مع اختيار[٦] الكافر في معاداته. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنه فكر وقدر.** {قال الفقيه رحمه الله:} إن فراعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وأن يطفئوا[٧] نوره، فأرادوا أن يُجمعوا على أمر ينسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن أنفسهم سِمَة الجهل وتُهمة الكذِب في ذلك؛ على ما / ذكروا أن الوليد جمع أصحابه فقال: إن هذا [٨٦٥و]
أيام الموسم وإن الناس سائلوكم عن هذا الرجل فماذا تقولون؟ فقال بعضهم: نقول:[٨] هو[٩] شاعر، قال: إنهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر. وقال بعضهم: نقول: هو كاهن،

[١] الآية ٢٦ من هذه السورة.
[٢] م: وينجزه.
[٣] ث – أن يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم أراد.
[٤] ن – فيه.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/١١١.
[٦] ر م: اختياره.
[٧] ر م: أن يطفئوا.
[٨] ث – نقول.
[٩] ن: انه.

فقال: إن الكهانة معروفة عند العرب وإذا سمعوا قوله عرفوا أنه ليس بكاهن فيكذبونكم. وقال بعضهم: نقول: هو كذاب، فقال: إنا قد اختبرناه[١] فما أخذنا[٢] عليه كَذْبَةً قطّ. فقال بعضهم: نقول: هو[٣] مجنون، فقال: إذا نظروا إليه علموا أنه ليس بمجنون. فأعيا عليهم [الأمر]. ففكّر[٤] في نفسه وقدّر، فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ،[٥] ما هذا الذي أتى به إلا سحر يَأْثُره عن غيره أي يرويه.[٦] فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا، وقالوا: الساحر يفرق بين اثنين وقد وُجد منه التفريق بين الآباء والأولاد وبين ذوي الأرحام؛ رَجاءَ أن يَصِلوا إلى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى وإطفاء نوره مكرا منهم، وهو كقوله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ.[٧] ووجه رجوع المكر إلى أنفسهم ذكروا فيه أوجها. أحدها رجوع المكر إلى أنفسهم أن الله تعالى أظهر سوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله آية تتلى[٨] إلى يوم القيامة، فيكون فيه ظهور كذبهم وإلحاق العار[٩] بهم إلى يوم التنادي[١٠] [مع] تواتر[١١] اللعن. والثاني أن الكبراء إذا اجتمعوا في مكان للتدبير اتصل بهم[١٢] أوساطهم واختلط[١٣] بهم صغارهم، فيقع لجملتهم[١٤] العلم بالذي[١٥] وقع[١٦] عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة، وإذا وقفوا على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الآفاق، فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم، فيتحقق عند ذلك جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١] ث: قد اخترناه.
[٢] ر م: فما أخذناه.
[٣] ث – هو.
[٤] م + ففكر.
[٥] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٦] ر: أي يروي؛ م: أي يزود.
[٧] ﴿... وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٣).
[٨] ن: يتلى.
[٩] ر: الغار.
[١٠] جميع النسخ: التناد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[١١] ر م: وتوارد؛ ن ث: وتواتر. والزيادة مع التصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: لهم.
[١٣] ر: والختلط.
[١٤] ر م: لحيلتهم.
[١٥] ر ث م: الذي.
[١٦] ر ث م – وقع.

ويصير كذبهم شائعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي أرادوا نفي[١] سِمَة الجهل عن أنفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم. فلا يركنون[٢] إلى قولهم ولا يلتفتون إلى أخبارهم عن حاله، إذ قد تبين جهلهم بحاله. فيكون ذلك سببا لترغيب الناس إلى الإسلام ودعائهم[٣] إليه لا أن يكون سببا للصد عن سبيل الله، فصار المكر راجعا إليهم.

ثم قوله: **إنه فكّر**، أي فكر في الأمر الذي أراد إحكامه، أو فكر في الكلمات التي ألقوها فيما بينهم أيها أليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتنسب[٤] إليه. وقوله عز وجل: **وقدّر**، يخرج على هذا أيضا.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[١٩]

وقوله: **فقتل كيف قدر**، قيل:[٥] لُعن، واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى. وقد ظهر الإبعاد لأن مادة ماله قد انقطعت في الدنيا وأخذ ما كان اجتمع عنده في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ثم ساقه إلى النار خالدا فيها. وقوله عز وجل: **كيف قدر**، أي كيف لم يَسْتَحْيِ[٦] عن تقديره الذي قدّر من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا وقد علم أنه في إنشاء[٧] ذلك الاسم كاذب، أو كيف اجترى على الله وتجاسر وهو يعلم أنه رسول حق، فعاند آياته[٨] واجترى على ذلك و لم يَخَفْ نقمة الله تعالى.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ثم قتل كيف قدر**، فلعنه مرتين وقد ظهر[٩] أثر اللعن فيه في الدنيا والآخرة جميعا، لأن الله تعالى فضحه بما أظهر كذبه للخلائق فبقى ذلك العار إلى آخر الأبد،[١٠]

---

[١] م – نفي.
[٢] ر ن م: فلا يركنوا.
[٣] م: في دعائهم.
[٤] جميع النسخ: فينسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٥] ر م – قيل.
[٦] ث: لم يستح.
[٧] م: في إنشاد.
[٨] ر ث: إبانة.
[٩] م – ظهر.
[١٠] ر: العاد إلى آخر أبد.

وأبعده من رحمته حيث أخذ مالُه في الانتقاص وانقطعت مادة ماله، فهذا أثر اللعنة في الدنيا، ووعد أن يصليه سقر وأنْ سَيُرْهقه صعودا، وذلك خزيه ولعنه في الآخرة، فظهر إحدى اللعنتين في الدنيا ويلحقه الثانية في الآخرة.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾[٢١]

ثم نظر، فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.[١]

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم عبس وبسر**، فجائز أن يكون الذي[٢] حمله على العبوس والبُسُور هو ما ألقوا إليه[٣] المختلَف من الكلمات فعبس وجهَه عليهم لما في اختلافهم ظهور كذبهم، أو يكونَ الذي دخل عليه من شدة الغيظ في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمَّه وأحزنه حتى أثَّر ذلك في وجهه فعبس لذلك[٤] وجهه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ثم أدبر واستكبر**، يحتمل أن يكون أدبر عن أولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير[٥] واستكبر[٦] عليهم، أو أدبر[٧] عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث أعرض عنه ولم يجبه إلى ما دعاه إليه.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقال إن هذا إلا سحر يؤثر**، أي هذا الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم مما يؤثر من أفعال السحر، أو هذا الذي يخبرنا[٨] أنه أتى به من عند الله هو سحر يؤثر عمن تقدمه، ولكنْ قال هذا على علم منه أنه ليس بسحر.

---

[١] ر م – ثم نظر فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.
[٢] ر ث م – الذي.
[٣] ث: إليها؛ م – إليه.
[٤] ر م: كذلك.
[٥] ر: المتدبرين؛ ن: التدبير.
[٦] جميع النسخ: واستكبروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٧] ر م: و أدبر.
[٨] ر م: يخبر.

{قال الفقيه رحمه الله:} ولو كان الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما قرفوه[١] به فهو لا يخرج من أن يكون حجة له في صدق مقالته وإثبات رسالته؛ لأنه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الرأي والتدبير وإنما سبيل الوصول إليه التلقن[٢] والتلقف عن الغير، وقد علموا أن رسول الله صلى الله / عليه وسلم لم يَلتقَن[٣] [من] أحد[٤] ولا وجد منه الاختلاف [٨٦٥ظ] إلى مَن عنده علم ذلك، فوقع لهم الإيقان أنه بالله تعالى علم لا بأحد من الخلائق، فيصير الذي قرفوه به من أعظم الحجة. ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزّهه عن ذلك وأمره بمعاداة السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»، وقال: «توبة الساحر ضربة بالسيف».[٥]

ثم الأصل أن الساحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقَف على سبب التفريق. وكان سبب تفريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا، لأنه كان[٦] يأتيهم بالحجج فيعلم مَن أمعن النظر فيها صدقَه فيما يدّعي من الرسالة فيؤمن[٧] به ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النَّصَفة ترك الإيمان به،[٨] فبطل أن يكون تفريقه كتفريق السحر. ولأن كلا منهم لو تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأمعن النظر فيه حمله ذلك على الإيمان به والتصديق لرسالته، فيصير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم سبب الاجتماع والألفة لا أن يكون سبب التفريق بين الأحبة. ثم الأصل أن الساحر بُغيته[٩]

---

[١] ر م: كما فرقوه.

[٢] جميع النسخ: الالتقان.

[٣] ن ث: لم يلتقنه.

[٤] جميع النسخ: أحدا.

[٥] عن جُندَب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حدّ الساحر ضربة بالسيف» (*سنن الترمذي*، الحدود ٢٧). حدثنا سفيان عن عمرو سمع بَجَالة يقول: كنت كاتبا لِجَزْءِ بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأتانا كتاب عمر قبل موته بسَنَةٍ أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال سفيان: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانْهَوْهم عن الزمزمة. فقتلنا ثلاثة سواحر... (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٩٠). وعن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرَتْها وقد كانت دَبَّرَتْها فأمرت بها فقتلت (*الموطأ* للإمام مالك، العقول ١٩).

[٦] ر م – كان.

[٧] ر ث م: فيؤمر.

[٨] ن م – به.

[٩] ث: بغنية.

وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة[1] السعة في الدنيا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما أتى به الجاهَ عند الرؤساء بل عاداهم وأظهر الخلاف لهم،[2] فدعا الخلق إلى الزَّهادة في الدنيا لا إلى الاستكبار هاهنا، فكيف يجوز أن يُنسب إلى السحر وقد أتى بما يُضادّ فعل السحرة.

﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا إلا قول البشر**، قد عَلم أنه ليس بقول البشر لما عجز البشر عن إتيان مثله وقال: إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا،[3] فثبت أنه على العلم منه بأنها آيات عانَد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سأصليه سقر**، فالسقر لون من العذاب. وقيل: السقر هي الدركة الخامسة.[4] وقيل: السقر من أبواب جهنم،[5] ومعناه سأدخله جهنم من باب السقر. ***والله أعلم***.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾[٢٧] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **لا تبقي ولا تذر**، يحتمل أي لا تبقى [له][6] حياة يتلذذ بها ولا تذره[7] يَهْلِك فيستريح، بل يبقى أبدا في الهلاك، كما قال تعالى: فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا.[8] ويحتمل[9] لا تُبقي[10] له جلدا ولا لحما ولا عظما بل تُنضج[11] جلده وتأكل[12] لحمه

---

[1] ن: واستنقاذه.
[2] ر ث م – لهم.
[3] الآية ١٦ من هذه السورة.
[4] عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله: ﴿لها سبعة أبواب﴾ قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨١/٥). قال مقاتل: يعني: الباب الخامس (*بحر العلوم* للسمرقندي، ٤٢٢/٣).
[5] ر م – جهنم. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر (*تفسير الطبري*، ١٩٧/٢٩).
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.
[7] ر ث م: ولا يذره.
[8] سورة طه، ٧٤/٢٠.
[9] ر م – ويحتمل.
[10] ن: لا يبقى.
[11] جميع النسخ: بل ينضج. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ويأكل. والتصحيح من المرجع السابق.

وتكسر[١] عَظْمه ولا تذره[٢] على تلك الحال: كسيرَ[٣] العظم مأكول اللحم نضيج[٤] الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فتحرقها[٥] كذلك أبدا ولا تُبقي له رَوْحا[٦] ولا تذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها.

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **لوّاحة للبشر**، قيل فيه بوجوه. قيل: **لوّاحة للبشر**، أي محرقة[٧] للجلد، فالبَشَر الجلد، فجائز أنه[٨] خص الجلد بالتلوّح[٩] لأن الجلد من الإنسان هو الظاهر، فيكون ظاهر الإحراق مؤثرًا فيه فخصه بالذكر لهذا، كما سُمّي الإنسان إنسانا لظهوره لكل من هو من أهل الرؤية وسُمّي الجن جنا لاستتاره عمن ليس بجنسه، وهو كقوله عز وجل: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ.[١٠] وقيل: **لواحة**، أي[١١] ظاهرة للبَشر، كقوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[١٢] وقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى،[١٣] أي يظهر لهم ويلوح فينظرون إليها ويتيقنون بالعذاب. ويحتمل أن يكون قوله: **لواحةٌ**، لأن النار تأكل جلودهم ولحومهم فتظهر[١٤] منهم[١٥] عظامهم[١٦] وتلوح، [لأن الله تعالى خلق العظام وكساها باللحم ثم كسا اللحم بالجلد، فتحرق النار جلدَه وتأكل لحمه فيظهر عظمه ويلوح][١٧] عن ذلك، ثم تبدَّل جلودا ولحوما أبدا، على هذا مَدارُ أمرهم.

---

[١] جميع النسخ: ويكسر: والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.
[٢] ر ث م: ولا يذره.
[٣] ر م: كسر.
[٤] جميع النسخ: نضج: والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: فيحرقها: والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م: ولا يبقي له روحا؛ ن: ولا يبقي روحا.
[٧] ن: محرقة.
[٨] ر ن م: أن.
[٩] جميع النسخ: بالتلويح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ﴿كلما نَضِجت جُلودهم بَدَّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).
[١١] ث – أي.
[١٢] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[١٣] سورة النازعات، ٣٦/٧٩.
[١٤] جميع النسخ: فيظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ن – منهم.
[١٦] م – عظامهم.
[١٧] الزيادة من المرجع السابق.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **عليها تسعة عشر**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم خزنة جهنم مع كل واحد من الأعوان ما لا يحصى.[١] وذكر أن ستة منهم يقودون[٢] الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم وستة يضربون[٣]وجوههم[٤] بمقامع الحديد والنيران، والآخر هو الخازن الأكبر وهو مالك يأمرهم بما أُمر هو به.[٥] ويحتمل أن يكون في السقر تسعةَ عشَر دَرْكا وقد سُلّط على كل درك ملك. وذلك أن جهنم ذات حد في نفسها لأن الله تعالى وعد أن يملأها من الجنة والناس أجمعين.[٦] ولو لم يرجع إلى حد لكان لا يتحقق امتلاؤها بالقدر الذي ذكروا. ويحتمل أن يعذَّب فيها بتسعةَ عشرَ لونا من العذاب وقد[٧] وُكّل كل واحد منهم أن يعذب بنوع من ذلك. والأصل أن الله تعالى حكيم يُعلِم أن في كل فعل من أفعاله حكمة عجيبةً ولكن لا كلُّ حكمة يوصَل إليها بالعقل ويُنْتهَى إلى معرفتها بالتدبير. ألا ترى أن الله تعالى جعل في الماء[٨] معنى يحيا به[٩] كلُّ شيء، ولو أراد أحد[١٠] أن يتكلف استخراج المعنى الذي به صلح أن يكون طبعه[١١] موافقا لإحياء كل شيء لا يمكنه ذلك، وجعل في الطعام ما يُغذّي وينمّي. ولو أراد أحد أن يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والإنماء لم يتدارك. وكذلك جعل في العدد الذين سماهم[١٢] حكمة ولكنا[١٣] لا نصل إلى تعرفها بعقولنا وتدبيرنا.

---

[١] قارن بما ورد في *تفسير الطبري*، ٢٩/١٩٩.
[٢] ن: يعودون.
[٣] ر: يعتبرونهم؛ ن: يضربونهم.
[٤] ر ن - وجوههم.
[٥] قارن بما ورد في *تفسير النسفي*، ٤/٤٥٥.
[٦] يقول الله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩)؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ٣٢/١٣.
[٧] ر ن م: قد.
[٨] ث: في المائية.
[٩] ر - به.
[١٠] ن: أخذ.
[١١] ر ث م: طبيعة؛ ن: طبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[١٢] أي عدد ملائكة العذاب.
[١٣] ر: ولكنه.

وزعمت الباطنية أن في ذكر الأعداد التي عليها تركيب العالم تعريفَ الأعداد المجعولة في الروحانيات. فيقال لهم: من جعل الأعداد التي عليها[١] تركيب العالم أولى بأن يُتعرف بها الأعداد المجعولة[٢] في الروحانيات من أن يُجعل / الأعداد التي في الروحانيات عَلَما لاستدراك[٣] [٨٦٦و] المجعولة في الجسدانيات؟ ثم يسألون عن الأعداد المجعولة في الرحانيات لأي معنى جعلت وأية[٤] حكمة فيها؟ فليست جوابهم بعد هذا إلا العجز والاعترافَ بالجهل، فَلْيُقِرُّوا بالجهل من الابتداء من غير أن يتكلفوا استخراج ما يوجب عن حقيقة كان فيها[٥] ظهور عجزهم. ***والله أعلم***.

والأصل عندنا ما ذكرنا أن أهل التوحيد اعتقدوا أن الله تعالى حكيم وأنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة في الشاهد،[٦] لأن الذي يحمل[٧] الإنسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد أحد معانٍ[٨] ثلاثة: إما الجهل وإما العجز وإما الحاجة. والله تعالى عالم لا يجهل وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغَنِيٌ لا تمسه[٩] حاجة. فانتفت عنه الأسباب التي لديها يقع الخروج عن حد الحكمة. فثبت أنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة. وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة،[١٠] لكنهم إذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم و لم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا أنه لا حكمة فيه وأنكروا أن يضاف ذلك[١١] إلى الله تعالى. فأهل الدهر أنكروا البعث وأنكروا الصانع لما رأوا أشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة[١٢] مخرج العبث،[١٣] وفعل الحكمة لا يخرج مخرج العبث[١٤] فنفوا بهذا أن يكون للأشياء[١٥] صانع.

---

[١] ر م – عليها.
[٢] جميع النسخ: المجعول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] ر: بملحا لاستدراك؛ م: على الاستدراك.
[٤] ر ن م: وأي.
[٥] جميع النسخ: فيه.
[٦] ر ن م – في الشاهد.
[٧] ر م: يحل.
[٨] جميع النسخ: معاني. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: لا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م – وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة.
[١١] ن – ذلك.
[١٢] ر: فإنها.
[١٣] م: التعبث.
[١٤] م: التعبث.
[١٥] ر م: الأشياء.

ومن بنى [بناءً][١] ثم نقضه ثم أعاده إلى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيما بل كان جاهلا سفيها؛ فقاسوا أمر البعث على ذلك وظنوا أنه خارج مخرج العبث، إذ[٢] ليس فيه إلا الإعادة إلى الحال التي كان عليها قبل الموت. وما ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول بإلهين اثنين، لأنهم[٣] رأوا في الشاهد خيرا وشرا، وصلاحا وفسادا، وظلمة ونورا. ولا يجوز أن يكون جوهر الظلمة والنور واحدا، ولا يجوز أيضا أن يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض، فتبينوا[٤] بهذا أن خالق الشر والخير مختلف. فبهذا أنكرت المعتزلة خلق أفعال العباد، لأن الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا، ومرة صلاحا ومرة فسادا؛ ولا يجوز أن يكون الشر مضافا إلى الله تعالى ولا أن يكون الفساد منسوبا إليه، فأنكروا أن يكون لله تعالى في أفعال العباد صنع.[٥]

وأهل التوحيد سلّموا الأمر إلى الله تعالى وفوضوا العلم إليه في كل ما جاء عنه جل وعز[٦] وإن لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم، لوجودهم أشياء هي خارجة عن[٧] أن يتداركوها[٨] بعقولهم ويقفوا عليها بعلومهم. كما ذكرنا من أمر الماء أنه[٩] قد جعل فيه معنى بذلك[١٠] المعنى يحيي الأشياء، ولو أرادوا أن يعرفوا ذلك المعنى بالعقول والآراء لم يمكنهم ذلك. وكذلك[١١] هذا في الطعام وفي الأشياء المشروبة موجود، ثم لم يجب بهذا إنكار المياه وسائر الأطعمة والأشربة. ولذلك لا يجب إنكار العدد الذين سماهم الله تعالى من الملائكة ولا إنكار[١٢] البعث ولا إنكار كل شيء لا يقفون[١٣] على حكمته بعقولهم. **والله أعلم**.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.

[٢] ر: مخرج العبث أن؛ م: مخرج التعبث أن.

[٣] ر م: أنهم.

[٤] ر ث م: فقد بنوا؛ ن: فقد نفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: صنعا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ن: جل وعلا.

[٧] ر ن م – عن.

[٨] ن – لوجودهم أشياء هي خارجة عن أن يتداركوها.

[٩] ن – أنه.

[١٠] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر ن م: ولذلك.

[١٢] ن: ولا إنكارهم.

[١٣] ر م: لا يقفوا؛ ن: لا نقفوا.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**. فلقائل أن يقول في هذا: إذا لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة لم يوجد فيها إنسي ولا جني، فكيف قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ؟[١] وجوابه أن معنى قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**،[٢] أي ما جعلنا على أصحاب النار إلا ملائكة يعذبون أهلها بها لا أن يكون الملائكة تمسهم النار ويتأذّون بها. وفي هذا دلالة على أن من قرأ مكان قوله تعالى: "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[٣] "[أُولَٰئِكَ] أَصْحَابُ النَّارِ"[٤] في صلاته لا تفسد[٥] صلاته،[٦] لأنه ليس في تسمية[٧] أصحاب الجنة أصحابَ النار إيجابُ عذاب عليهم،[٨] كما لم يكن في قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**، إيجابُ عذاب على الملائكة واستحقاقهم. ***والله أعلم***.

وإنما خصهم[٩] لذلك -والله أعلم- لأنهم خُلقوا يَسخَطون ويَغضِبون لله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،[١٠] لم يميلوا إلى أحد ولم يرحموا بما رأوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه، ليسوا على طباع الإنس والجن[١١] أن قلوبهم ربما يميل ويرحم من لا يستحق[١٢] الرحمة.

وذكر أهل التأويل أن قوله: **وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكة**، رد على أولئك الكفرة الذين قالوا: إنا لنكفِي هؤلاء العِدّةَ -حين سمعوا عليها تِسْعَةَ عَشَرَ-[١٣] فنغلب عليهم ونخرج من النار.

---

[١] سورة هود، ١١/١١٩.
[٢] جميع النسخ: وهو لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة. والمضبوط من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٨٢.
[٤] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٣٩.
[٥] جميع النسخ: لا يفسد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م - صلاته.
[٧] ر م: نسبة؛ ن ث: في نسبته. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: أليم.
[٩] أي ملائكة العذاب.
[١٠] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وقُودُها الناسُ والحجارة عليها ملائكة غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦).
[١١] ن ث: على طباع الجن والإنس.
[١٢] م: من يستحق.
[١٣] الآية السابقة.

فأخبر أنهم ليسوا برجالٍ أمثالِكم إنما هم ملائكة؛ ووصْف الملائكة قد روي[١] في الأخبار من هَول خِلقتهم وعظمتهم[٢] وشدة بأسهم وبطشهم وأن لهب النيران يخرج من أفواههم وأن بِنْيتهم[٣] لا تحتمل[٤] الحرق والآلام ليس على ما عليه بنية البشر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**، الفتنة قد يتكلم بها على وجهين؛ فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة، ويذكر ويراد بها العذاب. فإن كان يراد بها العذاب[٥] فمعناه أنه جعل العدد الذين / ذكرهم فتنة عليهم أي عذابا عليهم، إذ هم قد سُلِّطوا [٨٦٦ظ] على تعذيب[٦] الكفرة،[٧] وهو[٨] كقوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[٩] أي يعذبون. وإن كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه. أحدها أي ما جعلنا ذكر عددهم إلا لافتنان الذين كفروا، أي مَن عَلِم الله تعالى منهم أنه يكفر بآيات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنته، إذ[١٠] كان في علم الله تعالى أنه ممن يبتغي[١١] الفتنة. فأما[١٢] من علم أنه ينظر في آيات الله مسترشدا فلم يزده[١٣] ذلك إلا إيمانا وتصديقا، إذ علموا أن لله تعالى أن يمتحنهم بأنواع المحن فآمنوا به وسلَّموا ذلك لله تعالى، فيكون في جعل عدتهم تسعةَ عشرَ شدةً على الكفرة، إذ[١٤] كان سببَ كفرهم، فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه فتنة.[١٥]

وقوله عز وجل: **فتنة للذين كفروا**، بمعنى على الذين كفروا. ثم جاز أن يكون ذلك على حدوث الكفر وهو في قوم قد آمنوا به، فلما سمعوا هذا زعموا أن لا حكمة في هذا العدد

---

[١] جميع النسخ: وقد روي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[٢] ر ث م: وعظمهم.
[٣] ر: وأن بنتيهم.
[٤] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن – ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فإن كان يراد بها العذاب.
[٦] ن + فتنة عليهم أي عذابا عليهم إذ هم قد سلطوا على تعذيب.
[٧] ر م: للكفرة.
[٨] ر ن + وهو.
[٩] سورة الذاريات، ٥١/١٣.
[١٠] ر ن م: إذا.
[١١] ن ث م: ممن ينبغي.
[١٢] ن: وأما.
[١٣] ن: فلم يرده.
[١٤] ر م: إذا.
[١٥] ن: فتنته.

وليس هذا العدد[1] بأولى[2] أن يجعلوا أصحابَ النار من العشرين[3] أو من ثمانية[4] عشرَ فكفروا به. وهو كقول موسى عليه السلام: إنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ،[5] وذلك على حدوث إضلال لم يكن من السامريّ موجودًا[6] لا أن الإضلال متقدما بغيرها. وجائز أن يكون فتنتهم هي[7] أنهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا إلى كفرهم، لأنهم نظروا إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا إليه بعين التبجيل والتعظيم، فازدادوا بذلك[8] كفرا. *والله أعلم*.[9]

وقوله عز وجل: **ليستيقنَ الذين أوتوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا**، فالاستيقان[10] والزيادة واحد، لأن في الاستيقان زيادةَ إيمان وفي الزيادة استيقان، فمعناه ليستيقن الذين أوتوا الكتاب الذين آمنوا. ووجه استيقانهم أنهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي في كتابهم ويحملهم ذلك على الاستيقان أنه من عند الله تعالى. ويحتمل أن يراد[11] به أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا إذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم، فيستيقنوا أنه إنما يخبر عن الله عز وجل؛ وليرتفع عنهم الارتياب ليكون أدعَى لهم إلى الإيمان به إن أراد منهم الإيمان وأقربَ إلى إلزام الحجة عليهم إن لم يرد[12] منهم الإيمان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويزداد الذين آمنوا إيمانا**، وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة. وكذلك روى عن أبي حنيفة رحمه الله في قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[13] وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الإيمان أن معنى الزيادة فيه أنهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة، لأنهم إذا وحدوا الله تعالى وآمنوا به فقد أقروا بأن له الخلق[14] والأمر كلَّه،

[1] ر م – وليس هذا العدد.
[2] م: أول.
[3] جميع النسخ: في العشرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[4] جميع النسخ: من الثمانية. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿... وتهدي من تشاء﴾ (سورة الأعراف، ١٥٥/٧).
[6] جميع النسخ: موجود. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: هو.
[8] ر – بذلك.
[9] ر م – والله أعلم.
[10] جميع النسخ: والاستيقان. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: أن يريد.
[12] ن: إن لم يرو.
[13] سورة التوبة، ١٢٤/٩.
[14] ر: وإذا وجدوا لله تعالى وآمنا به فقد أقروا بأن الخلق.

وفي الإقرار بأن له الخلق إيمانٌ بالرسل وتصديق منه إياهم بجميع ما أنزل عليهم من الكتب عن الله تعالى، فصار بإيمانه[1] معتقدا للتصديق بكل رسول على الإشارة[2] إليه. فإذا آمن بالرسول والكتاب المنزل إليه فقد أتى بزيادة تصديق على ما وُجد[3] منه من التصديق بالجملة.

وجائز أن يكون[4] الزيادة منصرفة إلى الثبات والاستقامة، لأن الإيمان له حكم التجدد في كل وقت،[5] إذ المؤمن في كل وقت[6] مأمور[7] باجتناب الكفر وإذا اجتنب الكفر فقد أتى بضده وهو الإيمان. فثبت أن الإيمان له حكم التجدد[8] في كل وقت، وإذا كان كذلك استقام صرف الزيادة إلى الثبات والقرار عليه. فإن شئت فَسَمِّ الدوام على الإيمان زيادة، وإن شئت فسمه إيمانا، وإن شئت فسَمِّه ثباتا. وفي الكتاب ما يُطلِق جوازَ هذا كله؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،[9] فندبهم إلى الإيمان بعد ما آمنوا، وما ذلك إلا الثبات على ما هم عليه؛ وقال: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[10] وهو الإيمان؛ وقال في آية أخرى: لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا،[11] فجعل دوامهم على الإيمان واستقامتهم عليه إيمانا؛ وقال تعالى: زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[12] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ؛[13] وأطلق فيهم[14] اسم الزيادة واسم الثبات واسم[15] الإيمان. وإن كانت الزيادة[16] منصرفة إلى الأعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا إلى الزيادة في عينه؛ لأن الشيء إذا استحق الزيادة بغيره فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال،

[1] م: إيمانه.
[2] ر: على الإسادة.
[3] ن: وجدت.
[4] ث: أن تكون.
[5] ن: التجدد وكل وقت.
[6] ر م - إذ المؤمن في كل وقت.
[7] ر م: بأمور.
[8] ر م: فقد أتى بضده وهو الإيمان له حكم التجدد.
[9] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[10] سورة إبراهيم، ٢٧/١٤.
[11] سورة النحل، ١٠٢/١٦.
[12] سورة الأنفال، ٢/٨.
[13] سورة الفتح، ٤/٤٨.
[14] ر ث م - وقال تعالى زادتهم إيمانا وقال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وأطلق فيهم.
[15] ن: والاسم.
[16] م - الزيادة.

ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرامَ».[١] ومعلوم أنه لم يرد به التفاضل من جهة العدد إذ هو يأتي بأعين الأفعال التي يلزمه إتيانها في غير ذلك، فكانت الزيادة منصرفة إلى الكمال والفضل لا إلى الزيادة من جهة العدد. وكذلك قال: «صلاة في جماعة تفضل على صلاة المرء وحده بخمس وعشرين درجة»،[٢] ولم يرد به الزيادة من جهة العدد وإنما أريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال. وكذلك الزيادة التي[٣] تقع[٤] للإيمان من الأعمال الصالحة إنما هي من جهة الفضيلة والشرف، إذ الأعمال[٥] ليست من جنس الإيمان إذ الإيمان هو التصديق، وذلك[٦] غير موجود في الأفعال. ثبت أن زيادته من الوجه الذي ذكرنا دون غيره.

وقوله عز وجل: **ولا يرتابَ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا**. في هذا الفصل[٧] كلام[٨] / بيننا وبين المعتزلة. [٨٦٧و] فهم يزعمون أن ذلك العِدّة وهي عدة الملائكة جعلت محنة لأهل الإسلام وأهل الكتاب وأهل الكفر وللذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويستسلموا لها،[٩] لا ليكفر بها من كفر ويقول: **ماذا أراد الله بهذا مثلا**. ولكن لما وُجد منهم ذلك القول نسب الجعل[١٠] إليه لا أن خُلقوا لذلك الوجه، وهو كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١١] نسب إليهما الالتقاط وإن كان الالتقاط لغير ذلك الوجه، وكذلك قال: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[١٢] ومعلوم أن الإملاء لم يكن لازدياد الإثم ولكنهم لما ازدادوا إثما نسب الإملاء إليه وإن لم يكن الإملاء لذلك الوجه.

[١] صحيح *البخاري*، التهجد ١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٩٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٢٦.
[٢] صحيح *البخاري*، الأذان ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٤٢؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٤٧.
[٣] ن – التي.
[٤] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧ظ.
[٥] ر: إن الأعمال.
[٦] ر: إن الأعمال هو التصديق وفي ذلك.
[٧] ر م: الفضل.
[٨] ن – كلام.
[٩] ن ث م: بها.
[١٠] م: الجمل.
[١١] سورة القصص، ٨/٢٨.
[١٢] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.

وكذلك يقال في الكلام السائر:

[له ملَكٌ ينادي كلَّ يوم]   لِدُوا للموت وَابنُوا للخراب[1]

ولا أحد[2] يبني[3] البناء للخراب، ولكن مصيره لما كان إلى الخراب نسب البناء إليه وإن لم يكن البناء[4] لذلك الوجه؛ ويقال: سرق السارق ليُقطع يده، ومعلوم بأنه ليس يسرق للقطع ولكن بسرقته إذا لزمه القطع ولأجلها ما قُطع نسب الفعل إليه وإن كانت السرقة لغير ذلك الوجه. فكذلك العِدّة التي ذكرت في الآية جعلت فيه بجهة واحدة وهي التي ذكرناها[5] هنالك، لكنه[6] لما وُجد من الكفرة ما ذكرنا نُسب الخلق إلى ذلك الوجه لا أن كان الجعل لذلك.

ولكنا نقول: لو كان الأمر على ما زعموا أدى ذلك إلى إسقاط الربوبية، إذ في الحكمة من عمل عملا يريد غير الذي يكون أوجب ذلك جهلا بالعواقب أو جُعل عابثا في فعله، ومن هذا وصفه لم يصلح أن يكون إلها بل يكون جاهلا سفيها؛ ألا ترى أن من بنى لشيء[7] يعلم[8] أنه لا يكون [له] كان ذلك منه عبثا، وإذا كان[9] غير الذي يريده كان جاهلا به. فإذا ثبت هذا فنقول: لو أراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطإ أو العبث.[10] فثبت أن الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم أن يكون منهم، فإذا علم من عنده أنه يؤثر الضلال على الهدى فقد شاء له الضلال، وإذا علم أنه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه[11] له وهداه إليه.

---

[1] «له ملك ينادي كل يوم / لدوا للموت وابنوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا من طرق ضعيفة. انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/١٤٠-١٤١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَلَكٌ بباب من أبواب السماء يقول: من يُقرض اليوم يَجدْ غدا، وملك بباب آخرَ يقول: اللهم أَعْطِ مُنفقا خلَفا، وأعط ممسكا تلفا، وملك ببابٍ آخر يقول: يا أيها الناس هَلُمُّوا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وملك بباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب، وابنوا للخراب». وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من صباح يُصبحه العباد إلا وصارخٌ يَصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب» (*شعب الإيمان* للبيهقي، ١٣/٢٣٢-٢٣٣).

[2] ر ث ن – أحد.

[3] ن: بني.

[4] ن: بني.

[5] ر م: ذكرنا.

[6] ر م – لكنه.

[7] ر ث م: بشيء.

[8] ث: لا يعلم؛ م – يعلم.

[9] ث: وإن كان.

[10] ر م: و العبث.

[11] ر: وفقه.

والجواب عن قوله عز وجل: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١] فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا أن كان الالتقاط منه لذلك الوجه، بل لو علموا أنه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي إليه العاقبة فالتقطوه رجاء أن ينتفعوا به. ولا يجوز أن يخفى على الله تعالى عواقب الأشياء فيكونَ فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه.

وقولهم: «لِدُوا للموت وابنُوا للخراب»، فهذا يُتكلم به في موضع التذكير والدعاء، لئلا يحرص المرء في بناء الأبنية بل يَزهد عنه[٢] ولا يجوز[٣] أن يخفى على الله أمر فيخرج الأمر فيه[٤] مخرج التذكير، فثبت أنه على التحقيق. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا**، والمثل يذكر بمعنى البيان، كقول القائل: أُمَثِّل لك صورةَ كذا، يريد أُبَيِّن لك.

وقوله عز وجل: **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**، فهذا كله[٥] تفسير قوله تعالى: **وما جعلنا عِدَّتَهم إلا فتنةً**، الآية، أي يُضل به من كان في علمه أنه يختار الضلال، واختياره الضلال هو أن ينظر في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف، ومن كان نظره في آيات الله[٦] ما ذكرنا أضله الله تعالى وزاده غَوَايةً. ومن نظر في آيات الله[٧] بعين الاستهداء والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم[٨] لها وفقه الله تعالى ومنّ عليه بالهداية، وهو كقوله تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى،[٩] وغير ذلك. *والله الموفق*.

وقالت[١٠] المعتزلة: قوله: **كذلك يضل الله من يشاء**، أي يسميه ضالا أو يحكم عليه بالضلال إذا ضل لا أن يكون الله تعالى يضله[١١] ويشاء ضلالته. فيقال لهم: إذا كان الله يريد

[١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[٢] ن – عنه.
[٣] ر م: ويجوز.
[٤] ر م: أمر فيه.
[٥] ن – كله.
[٦] ث: آته.
[٧] ن: في آياته.
[٨] ر: والعظيم.
[٩] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[١٠] ر ث: وقال.
[١١] ث م: يضل.

أن يؤمن به -وذلك إرادته في كل أحد عندكم- فتسميته إياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد أن يهتدي جور منه، وفيه تحقيق كذبه. جلّ الله تعالى عن أن يَلحق وصف الجور في فعله أو يُنسب إلى الكّذب.

وقال أبو بكر الأصم: تأويله أن الله نصب[1] طريقا من سلكه أفضى به إلى الهداية ومن زاغ عنه صار إلى الضلال، ولا يتهيأ لأحد من الخلائق أن يَنصِب مثله.

فنقول:[2] لو كان التأويل[3] على ما زعم لكان حقه أن يقال: كذلك يضل الله ما يشاء ويهدي ما يشاء، فلما قال: **من يشاء**، و"من" يعبّر به عن الأشخاص العقلاء لا[4] عن الطرق[5] التي لا تعقل[6] ثبت أن الذي قاله ليس بشيء يعتمد عليه.

ثم الأصل أن قوله: **يضل من يشاء ويهدي من يشاء**، من صفات الربوبية وفيه[7] امتداح الرب تعالى بالفعل لما يريد، فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان و لم يرد كون ما علم أنه يكون سقط الامتداح وخرج عن أن يكون من صفات الربوبية. فثبت أن الله تعالى / شاء لكل فريق [٨٦٧ظ] ما علم أن يكون منهم.

وقوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، فالجند[8] هو اسم للجماعة التي يُنتقَم بها[9] وينتصر بها. وجائز أن يكون قوله تعالى: **وما يعلم جنود ربك**، منصرفا إلى الملائكة التي هم أصحاب النار ليس ما جعله من خزنة النار عددا[10] قليلا لقلة[11] جنودها.[12] **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، أي مقاديرَ قِوامهم وأحوالهم إلا الله، فمعناه **لا يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم قوة هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم، **إلا هو**. ثم يجوز أن يكونوا سُلّطوا على تعذيب أهل النار

[1] جميع النسخ: ينصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨و.
[2] ن: فيقول.
[3] ن – التأويل.
[4] ر م – لا.
[5] جميع النسخ: عن الطريق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لا يعقل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن ث م: وفي.
[8] ر م: فالجنود.
[9] ن – بها.
[10] ث: عدوا.
[11] ر ث م: لعله.
[12] جميع النسخ: جنوده.

على جهة الامتحان للملائكة كما امتحن بعضهم بإيصال التحف[١] والكرامات إلى أهل الجنة، وكما امتُحن بعضهم في الدنيا لقبض الأرواح وبعضهم باستنزال الأمطار وغير ذلك. وجائز أن يكون تسليطهم على أهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم، لأنهم يتلذذون بما يعذِّبون أهل النار وينتقمون من أعداء الله، لأن المرء في الشاهد إذا وصل إلى الانتقام من عدوه تلذذ[٢] به وتنعم. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي وما يعلم كثرة جنود ربك، **إلا هو**. ويحتمل **وما يعلم**، السبب الذي به يجعل[٣] الجنود ويُصلَحون[٤] للانتقام **إلا هو**، إذ هو القادر على[٥] أن يجعل أضعف شيء من خلقه جندا ينتقم به من أعدائه؛ كما في قصة البعوض في زمن نُمْرُوذَ[٦] وغير ذلك من إرسال الطير إلى أصحاب الفيل وإمطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم ما الذي يتخذ الله تعالى جندا للانتقام من الأعداء إلا هو، ألا ترى أن الله عز وجل انتقم من بعض الأعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح،

---

[١] ر: التخف.

[٢] ر م: وتلذذ.

[٣] ر ث م: يجعل به.

[٤] ن: ويصلحوا.

[٥] ث – على.

[٦] ر ث م: نمرود. عن زيد بن أسلم، أن أول جبار كان في الأرض نمروذ، قال: وكان الناس يخرجون يمتارون من عنده الطعام، قال: فخرج إبراهيم عليه السلام يمتاره مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت. حتى مر به إبراهيم قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت. قال: أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر [انظر: سورة البقرة ٢/٢٥٨]. قال: فرد بغير طعام، قال: فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب من رمل أَعْفَرَ فقال: ألا آخُذُ مِن هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم. قال: فأخذ منه فأتى أهله فوضع متاعه، ثم نام، قال: فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو بأجودِ طعامٍ رآه أحد، فصنعت له منه فقرّبته إليه، وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام فقال: من أين هذا؟ فقالت: من الطعام الذي جئت به. فعرف أن الله رزقه فحمد الله. ثم بعث الله إلى الجبار ملكًا أن آمِنْ بي وأتركك على ملكك، قال: فهل رَبٌّ غيري؟ قال: فجاءه الثانية فقال له ذلك: فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه فقال له الملك: فاجمع جموعك إلى ثلاثة أيام. قال: فجمع الجبار جموعه قال: فأمر الله المَلَكَ ففتح عليه بابًا من البعوض قال: فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها. قال: فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وضربت دماءهم. فلم يَبْقَ إلا العظام، والمَلِك كما هو لم يصبه من ذلك شيء. فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربعَمِائَةِ سَنَةٍ يضرب رأسه [بالمطارق] وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بها رأسه، وكان جبارًا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته الله وهو الذي كان بنى صَرْحًا إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (*تفسير عبد الرزاق*، ١/٣٦٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢٤).

وأهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم، وأهلك بعضهم منهم[1] بالخسف، فيكون في هذا إيجابُ المراقبة من حلول النقمة والسَّخْطة. وقوله عز وجل: **وما هي إلا ذكرى للبشر**، فجائز[2] أن يكون منصرفا إلى السقر إنها **ذكرى للبشر**، أي موعظة وتذكير[3] لهم ما إليه مرجع أمورهم. وجائز أن يكون منصرفا إلى عِدَّة الملائكة.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[٣٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٣٣] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **كلا**، قيل: حقا، وقيل: هو على الردع والتنبيه. وقوله عز وجل: **والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**، فهذا في موضع القسم، وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما قُصِد[4] إليه بالذكر. وإدبار الليل بمجيء النهار. فجائز أن يكون ذكرُ آخر الليل يقتضي ذكر أوله[5] وذكرُ أول النهار يقتضي ذكر[6] النهار كله، فيكون القسم بها قسما بالليل كله وبالنهار[7] كله. ثم الليل إذا أقبل عملت[8] ظلمته في ستر الأشياء كلها بساعة لطيفة، وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملةً بساعة لطيفة[9] ما لو اجتهد المرء في جميع عمره وإن طال على عدِّ تلك الأشياءِ ليحيط علما بجملتها لم يتمكن منه. وإذا كان للّيل من السلطان ما ذكرنا ولإقبال النهار من الأمر ما ذكرنا كان[10] الذي ذكرنا أمرا مشاهدا معاينا. ولو أريد معرفة ما فيهما[11] من الحكمة أنه لأي معنى ما صلح أن يكون الليل ساترا[12] عن درك أعين الأشياء واستقام أن يكون النهار مزيلا للستر لم يُقْدَر عليه. فيكون فيه إبانة أنه لا يجب إنكار كل ما لا يوصل إلى درك الحكمة فيه بالعقول والآراء، فيكون فيه إيجاب التصديق بالأنباء التي يأتي بها الرسل

[1] م – منهم.
[2] ر ث م: وجائز.
[3] ر ن م: وتذكيرا.
[4] ن – قصد.
[5] ر م: أول.
[6] ر م – وذكر أول النهار يقتضي ذكر.
[7] جميع النسخ: النهار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[8] م: علمت.
[9] ن – وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملة بساعة لطيفة.
[10] ر ث: وكان؛ ن: وهذا.
[11] ر م: ما فيها.
[12] ر ن ث: سائرا.

وإن كان فيها ما لا يوقف عن الحكمة المجعولة فيها بالآراء. وفيه أن منشئ الليل والنهار واحد وأن الخلائق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل[١] ما يريد. وجائز أن يكون القسم منصرفا إلى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما إدبار الليل وإسفار الصبح، فيكون فيهما[٢] ما في الأول.

وقوله عز وجل: **أَسْفَرَ**، أي أضاء[٣] وانتشر. وقوله: **إذ أدبر**، أي ذهب. وحكي عن الكيساني[٤] أنه قال: إن "دَبَرَ" لغة قرشية، يقولون: ذهب كالأمس الدابر أي الذاهب[٥] ويقولون:[٦] "دبر" في الأيام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك، لا يقولون: دبر الرجل ودبر الأمر، ولكن يقال أدبر.[٧] وفي حرف ابن مسعود "إذَا أدبر"، وفي [بعض][٨] الحروف: إذْ أدبر، والمعروف إذا دَبَرَ كما قلنا.[٩]

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنها لإحدى الكبر**، قيل: يعني السقرَ. ثم عذاب أهل النار ألوان وفي جهنم دركات، والسقر إحدى دركاتها إذ هي لون من ألوان العذاب، فصارت هي من إحدى الكُبر.

---

[١] ن: ويحكم.

[٢] ر ن م: فيها.

[٣] ث: أي أضار.

[٤] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و«مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: (*لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣).

[٥] ن ث: الذاهب.

[٦] جميع النسخ: فيقولون. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.

[٧] م - يقال أدبر.

[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٩] ودَبَرَ الرجلُ ولّى وشَيَّخَ، ومنه قوله تعالى: "والليل إذا دَبَرَ" أي تبع النهارَ قَبْلَه. وقرأ ابن عباس ومجاهد ﴿والليل إذ أدْبَرَ﴾. وقرأها كثير من الناس "والليل إذا دَبَرَ". وقال الفراء: هما لغتان دَبَرَ النهار وأَدْبَرَ ودَبَرَ الصَّيْفُ وأَدْبَرَ. وكذلك قَبَلَ وأَقْبَلَ، فإذا قالوا: أَقبل الراكب أو أَدبر لم يقولوا إلا بالأَلِف. قال: وإنهما عندي في المعنى لَواحدٌ لا أُبْعِدُ أين يأْتي في الرجال ما أَتى في الأَزمنة. وقيل: معنى قوله والليل إذا دَبَرَ جاء بعد النهار كما تقول: خَلَفَ. يقال: دَبَرَنِي فلان وخَلَفَنِي أَي جاء بعدي. ومن قرأَ "والليل إذا أَدْبَرَ" فمعناه ولّى ليذهب ودَابِرُ العَيْشِ آخره (*لسان العرب*، «دبر»).

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **نذيرا للبشر**، فمنهم من صرف النِذارة إلى السقر ومنهم من صرفها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كقوله تعالى: وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا،[١] فمنهم من قرأ: لتنذر، بالتاء وصرف النذارة إلى النبي،[٢] فمنهم من قرأ بالياء وصرفها إلى القرآن.

ثم الأصل أن ما خرج مخرج الأفعال مضافا إلى الأشياء التي[٣] ليست لها[٤] أفعال فهو[٥] يقتضي أمرين. أحدهما ذكرُ الأحوال التي تقع[٦] لديها مما لو لم تكن تلك[٧] الأشياء لم تحدث[٨] تلك الأحوال[٩] من غير أن تكون[١٠] علة[١١] لها، فنسبت إليها إذ[١٢] صارت سببا[١٣] لحدوث [٨٦٨و] تلك الأحوال، وهو كقوله عز وجل: / وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[١٤] وحياة الدنيا لا تَغُرّ أحدا ولكنهم اغتروا بزينتها، فنسب إليها الغرور لما كانت سببا لتغريرهم. والثاني أنها أنشئت على هيئة لو كان من أهل التغرير لكان تَغُرّ فنسب إليه الغرور لذلك. وقال في قصة إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[١٥] والأصنام ليست ممن ينسب إليها الإضلال لأنه لا فعل لها، ولكنْ عُبّادُها لما ضَلّوا بها نسب الإضلال إليها؛ وهي أيضا على صورة لو كانت لها أفعال لكان يقع منها الإضلال فنسب إليها الإضلال للوجهين اللذين ذكرناهما.[١٦]

---

[١] سورة الأحقاف، ١٢/٤٦.
[٢] ر ث م – فمنهم من قرأ لتنذر بالتاء وصرف النذارة إلى النبي.
[٣] ن: اللاي.
[٤] جميع النسخ: لهن. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[٥] ر ث م – فهو.
[٦] جميع النسخ: يقع. والترجيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لم يكن ذلك. والترجيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: لم يحدث. والترجيح من المرجع السابق.
[٩] ن – يقتضي أمرين أحدهما ذكر الأحوال التي تقع لديها مما لو لم تكن تلك الأشياء لم تحدث تلك الأحوال.
[١٠] جميع النسخ: أن يكون. والترجيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: علته.
[١٢] ر ث م: إذا.
[١٣] ر ث م: شيئا.
[١٤] سورة الأنعام، ٧٠/٦؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.
[١٥] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[١٦] ر م: ذكرناها.

فكذلك النذارة أضيفت إلى النار[١] هاهنا لأنه عند ذكرها يقع النذارة، فأضيفت إليها لذلك؛[٢] أو خلقت[٣] على هيئة لو كانت من أهل النذارة لكانت نذيرة.[٤] *والله أعلم*.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: هو على التهديد، كقوله: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ،[٥] وذلك إنما يكون على أثر المبالغة في العظات[٦] وتذكير عواقب الأمور، وقد بالغ ذلك في هذه السورة وبيّن عواقب أمور العباد. ثم قوله عز وجل: **أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: أن يتقدم إلى طاعة الله أو يتأخر عنه[٧] إلى معصية الله تعالى. والأصل أن المرء جُبل على حب المنافع لنفسه والخيرات[٨] وعلى بغض[٩] الشر والمضار. ومن أحب شيئا طلبه ومن أبغض[١٠] شيئا اجتنبه وهرب منه، وإذا طلب تقدم إليه وإذا هرب من شيء تأخر عنه. فكنىَ عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتأخر. فقيل في تأويل قوله عز وجل: **يتقدم**، أي إلى طاعة الله،[١١] لأن طاعته[١٢] تُجْدي[١٣] إليه المنافع في الآخرة وتجلب[١٤] إليه المحاسن. أو يتأخر[١٥] عن طاعته،[١٦] إذ في الإعراض عن طاعته إيقاع النفس في المهالك وأنواع الشرور.[١٧]

[١] جميع النسخ: إلى النذر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[٢] جميع النسخ: كذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: وخلقهن؛ ن ث: أو خلقن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن – نذيرة.
[٥] سورة الكهف، ٢٩/١٨.
[٦] ن: في الغظات؛ م: في العطات.
[٧] ر م – عنه.
[٨] ر: الخيرات.
[٩] ر: وعلى بعض.
[١٠] ر: ومن البعض.
[١١] ر م: أي طاعة الله.
[١٢] ر ث م – لأن طاعته.
[١٣] ر ث م: يجدي.
[١٤] ر ث م: ويجلب.
[١٥] ن: إذ يتأخر.
[١٦] ر م: إلى طاعته.
[١٧] ر م: الشر.

وجائز أن يكون قوله: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، معناه يتقدم ويتأخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتأخر منه، فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حيز قدرته وخلقا لله تعالى، فيكون مثل قولنا: لا حجة علينا في إضافة التقدم والتأخر إلينا. *والله الموفق.*

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣٨]

[وقوله تعالى: **كل نفس بما كسبت رهينة**، تأويله -والله أعلم- كل نفس في الآخرة رهينة بما كسبت في الدنيا، ورهينة أي غَلِقَةٌ. وفي هذا دليل على أن الرهن يُحبَس عند المرتهن على الدوام وينغلق ولا يكون لصاحبه أن ينتفع به ويُزيل عنه الحبس إلا بعد قضاء الدَّين. وفيه دلالة أن الرهن إذا هلك هلك بما فيه، لأن الأنفس صارت رُهونا بالعذاب لحق المجازاة، فصار العذاب جزاء لها. ومعلوم بأن الأنفس تَهلِك فيما حل بها من العذاب، وكذلك الرهن حُبس لأجل الدَّين وأقيم مقامه، فيكون هلاكه بالدين. *والله أعلم.*][1]

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **إلا أصحاب اليمين** فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ.[2] أصحاب اليمين هم الذين وصفهم الله تعالى في موضع آخر في كتابه وهو قوله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[3] فاستثنى أصحاب اليمين من جملة المرتهنين، لأنه ذكر الرُّهون بلفظة[4] يُعبَّر بها عن الجميع[5] وهو قوله: كُلُّ نَفْسٍ،[6] فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة. أي أصحاب اليمين قد سبقت منهم الأعمال التي يستوجبون بها الإطلاق عن الحبس، لأن المجرمين صاروا مرهونين بأجرامهم، وأصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات، والأعمال الصالحة جعلها الله[7] تعالى مكفرة للمساوئ والأجرام، كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[8]

---

[1] تفسير هذه الآية من أوله إلى آخره لا يوجد في جميع النسخ. وما نقلناه من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.

[2] الآية التالية.

[3] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.

[4] ر ث م: بلفظ.

[5] ر ث م: عن الجمع.

[6] الآية السابقة.

[7] ر ث م: فعلها الله.

[8] سورة العنكبوت، ٧/٢٩.

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤٠] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤١] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٤٢] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٤٣] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٤٤] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٤٥] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سَلَكَكُمْ في سقر**، فظاهر هذا يؤدى إلى أن التساؤل[١] كان من أهل الجنة بعضِهم بعضا، وإذا صدر السؤال عن بعضهم بعضا[٢] فحقه أن يقال: ما سلكهم[٣] في سقر، لأن أهل السقر لم يَسألوا، بل سأل[٤] عنهم غيرهم، ألا ترى أنه قال: **عن المجرمين**، ولم يقل: يتساءل[٥] المجرمون، فثبت أن الظاهر يقتضي[٦] أن يكون المخاطبون غير المجرمين، لذلك قلنا: إن حق مثله أن يقال: ما سلكهم في سقر. لكنه يحتمل أن يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والإسقاط، وإذا حذف ارتفع الريب والإشكال، كأنه قال: في جنات يتساءلون المجرمين، فيكون فيه تثبيت أن أهل السقر هم الذين خوطبوا بالسؤال.

وجائز أن يكون أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن مكان المجرمين: أين مكانهم وأين هم؟ فيطَّلعون عليهم، فيسألونهم: **ما سلككم في سقر**، فيقولون إذ ذاك: **لم نك من المصلين**، إلى آخر الآية. ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ.[٧] فثبت أنهم يطّلعون على أماكنهم، فإذا رأوا سألوهم عن ذلك بقوله: **ما سلككم في سقر**، فأجابوا بما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **لم نك من المصلين ولم نك نُطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين.**

والأصل[٨] أن الأفعال التي يتعلق جوازها بالإيمان إذا أضيف إلى من ليس من أهل الإيمان أريد بها القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان أريد بها أعين تلك الأفعال. والذي يدل على هذا

---

[١] ر م: إلى التساؤل.
[٢] ر ث م - بعضا.
[٣] جميع النسخ: ما سلككم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.
[٤] ر ث + سئل؛ ن + يسئل.
[٥] جميع النسخ: يتساءلون.
[٦] ث: تقتضي.
[٧] ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدِّقين أإذا مِتنا وكنا ترابا وعظاما أإنَّا لمدينون قال هل أنتم مطَّلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥٠-٥٥).
[٨] ث: الأصل.

هو أن الكافر يُسلك به إلى سقر إذا كان مكذّبا بيوم الدين وإن أقام الصلاة وأطعم المسكين وآتى الزكاة، ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين[1] لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الإيمان. فثبت أنه لم يَرد بذكر هذه الأفعال إتيان أعينها وإنما أريد بها القبول والإقرار بها. والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]،[2] فثبت أنهم جحدوا أن يكون [٨٦٨ظ] عليهم إطعام؛ فدل أنه أريد بذكر الإقامة / قبولها لا وجود عينها، وعليهم أن يقبلوا إقامة الصلاة ويُقِرّوا بإيتاء الزكاة. وقد يجوز أن يذكر[3] إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويراد بهما[4] القبول، قال الله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[5] ولم يكن إيجاد الإقامة وإيجاد الإيتاء من شرائط[6] التخلية بل كان معناه على القبول فإذا أقروا بالصلاة وقبلوا إقامتها وأقروا بالزكاة لزم[7] تخلية سبيلهم وإن لم يوجد منهم الفعل بعد. فلذلك صلح حمل التأويل على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة[8] الفعل لما ذكرنا. هذا إذا ثبت أن تأويل قوله: **لم نك من المصلين**، منصرف إلى الصلاة المعروفة، فكيف وقد يجوز أن يكون أريد بالمصلين الموحدين هاهنا، لأن أهل الصلاة هم المسلمون يقال: أجمع أهل[9] الصلاة على هذا ويُعنَى به المسلمون.

ثم الله عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلاة وترك الإطعام، وهذا –والله أعلم– يحتمل وجهين. أحدهما[10] أن الذي يقر بالصلاة والإطعام وإيتاء الزكاة هو الذي يقر بيوم الدين، لأن المرء إنما يرغب[11] في فعل هذه الأشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي بتركها مخافة التَّبِعة في العواقب. فإذا لم يقر بيوم الدين لم يَرْجُ[12] المنافع ولا خاف المضارّ،

[1] ر ث م – وآتى الزكاة ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين.
[2] سورة يس، ٣٦/٤٧. تمام الآية من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[3] ر: أي يذكر.
[4] جميع النسخ: ويراد به. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة التوبة، ٩/٥.
[6] ر ث م: من شراط.
[7] ر + بالزكاة.
[8] ر: وحقيقة.
[9] ن – أهل.
[10] ر م: إحداهما.
[11] ن: إنما رغب.
[12] جميع النسخ: لم يرجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

فيحملُه ذلك على ترك الإطعام وتضييع الصلاة وعلى ترك إيتاء الزكاة وعلى جحدها كلها وعدم قبولها، وهو كقوله عز وجل: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[١] لعدم رجاء العواقب. فإذا لم ير لفعله عاقبة لم يَقُم بالانتصار لليتيم ولا قام بإحسان المسكين، بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الإحسان إلى المسكين؛ فلذلك[٢] جَمَعَ في الذكر بين تكذيب[٣] يوم الدين وبين ترك الصلاة وإيتاء الزكاة وترك الإطعام. وجائز أن يكون الذي حملهم على التكذيب بيوم الدين هذه الوظائفَ التي وضعت عليهم بالإسلام، لأنهم إذا آمنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه الأفعال[٤] من إقامة الصلاة[٥] وإيتاء الزكاة وإطعام المساكين وصيام شهر رمضان وغير ذلك من العبادات، فاشتد عليهم فتركوا الإيمان بها لأن لا يلزمهم تحمل هذه الأفعال التي حَمِلَها أهل الإيمان.

وقوله عز وجل: **وكنا نخوض مع الخائضين**، فالخائض هو الذي يخوض في الباطل.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **حتى أتانا اليقين**، أي حتى أيقنا[٦] أنا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**، معناه أن لا شفيع لهم. والأصل أن الشفاعة إذا أضيفت إلى أهل الكفر فقيل: "ليس لهم شفعاء" أو "لا تنفعهم[٧] شفاعة الشافعين" اقتضت[٨] نفي الشفاعة أي لا شفيع لهم، وإذا أضيفت[٩] إلى أهل الإيمان اقتضت[١٠] نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء

---

[١] سورة الماعون، ١٠٧/١-٣.
[٢] ر م: فكذلك.
[٣] ن - تكذيب.
[٤] ر ن م: الأحمال.
[٥] جميع النسخ: من إقامة الأفعال والصلاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[٦] ر م: أتقنا.
[٧] ر م: أو لا ينفعهم.
[٨] جميع النسخ: اقتضى.
[٩] جميع النسخ: وإذا أضيف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: اقتضى. والتصحيح من المرجع السابق.

ولم تقتض[1] نفي الشفاعة، كما ذكرنا أن الأفعال التي يكون قوامها بالإيمان إذا أضيفت إلى الكفار فهي[2] تقتضي نفي القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان فهي تقتضي[3] نفي الفعل.

وقولنا بأنه إذا قيل: لا شفيع له وأريد به أهل الإسلام فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي[4] نفي الشفاعة، فذلك ينصرف عندنا إلى أهل الاعتزال والخوارج؛ لأنا نرى أصحاب الكبائر من أهل الإسلام مستوجبين للشفاعة، وهم يقولون: لا يجوز في حكم الله تعالى أن يعفو عن أصحاب الكبائر بل يُخلدهم في النار، لأن الله تعالى أوعد النار لمن ارتكب الكبائر وأخبر أنهم يُخلّدون فيها، فلا يجوز أن يقع في وعده خلف أو يتحقق[5] في خبره كذب. ولو استوجبوا[6] الشفاعة ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد مخلفا وفيما أخبر كذوبا. فمثل هؤلاء إذا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة أبدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما يُثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف وعد. ولأنهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب أن يكون نفيهم الشفاعة بزعمهم على ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ،[7] فلا يجوز أن يَحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب إذا بعثوا. ثم احتج فريق منهم بنفي الشفاعة في الآخرة بقوله: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[8] وبقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[9] وبقوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[10] وزعموا أن شفيع كل امرئ[11] منهم عمله يومئذ؛ فمن حسن عمله نجا به ومن ساء[12] عمله حق عليه العذاب و لم يكن له شافع.

---

[1] جميع النسخ: و لم يقتض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[2] ن: فهو.
[3] جميع النسخ: يقتضي نفي القبول وإذا أضيف إلى أهل الإيمان فهي يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م – نفي الانتفاع ولا يقتضي.
[5] ر م: و يتحقق.
[6] ر م: ولو استوجب.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٩-٣٠.
[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٠٠.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٥٤.
[10] سورة البقرة، ٢/١٢٣.
[11] ر م: أمر.
[12] ن: ومن شاء.

ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ،[١] وبقوله: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا،[٢] إذ في هاتين الآيتين أن الله تعالى قد يأذن بالشفاعة يومئذ للبعض. فثبت / أن ما ذكرتم من نفي الشفاعة لم يقتض نفيا على الإطلاق بل النفي انصرف إلى بعض [٨٦٩و] الخلائق ووجب القول بثبوتها[٣] لبعضهم،[٤] ثم جاءت الأخبار مفسّرة[٥] على إيجاب القول بالشفاعة لأهل الكبائر. فثبت أن ما ذكر من قوله عز وجل: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[٦] وقوله: وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[٧] منصرف إلى أهل الكفر وبه نقول.

ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ،[٨] فأما أصحاب الكبائر فإنهم[٩] لا ينالهم شفاعة[١٠] أحد بل يُخلّدون في النار.

فيقال لهم: فأية منفعة تحصل[١١] للذين تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد.[١٢] فإن قالوا: منفعتهم بها أنه[١٣] يعظم[١٤] قدرهم عند الله تعالى ويستوجبون[١٥] بها فضل الدرجات، كما ترى[١٦] المرءَ في الشاهد يذكر أخاه عند الملوك بحسن السيرة

---

[١] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[٢] سورة طه، ١٠٩/٢٠.
[٣] ر: ثبوتها.
[٤] ر: لبعض.
[٥] ن: مضطرة.
[٦] ﴿وما أضلّنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ (سورة الشعراء، ٩٩/٢٦-١٠١).
[٧] سورة البقرة، ٢٥٤/٢.
[٨] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون...﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).
[٩] ن: فإنه.
[١٠] م + شفاعة.
[١١] ن: حصل.
[١٢] ن + وهم قد استوجبوا.
[١٣] ن: أية.
[١٤] جميع النسخ: لعظم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[١٥] ن: وتستوجبون.
[١٦] ن ث: كما يرى.

ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي[١] بذلك إعلاء منزلته وإعظام قدره عندهم ليعظموه ويبجلوه، فكذلك الشفعاء في الآخرة يُثْنُون عند الله تعالى من أوليائه خيرا ليزيد في درجاتهم ويُعْظَمَ منزلتهم عند الله تعالى.

والجواب أن هذه الزيادة في الدرجات ليست إلا إلى الوصول إلى فضول الشهوات، وفضول الشهوات[٢] والزيادة في اللذات لا تذكر[٣] في المنافع إذ لا حاجة لهم إلى ما هو في حق الفضول من الشهوات، فيكون في مثلها[٤] دفع الحاجة والوصول إلى المنفعة. ومعلوم بأنهم إنما أُطمعوا في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة[٥] وإنما[٦] يحصل لهم بها[٧] المنفعة إذا وقعت إليها[٨] الحاجة، وأهل الكبائر هم الذين يمسهم الحاجة إليها، فأما الذين تابوا وأنابوا فقد استغنوا عن[٩] الشفاعة. لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة في أهل الكبائر. وأما استدلالهم بما ذكروا من أمر الشهود فليس بمحكم من القول، لأن المرء إنما يذكر أخاه بالجميل ويُظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير لجهل[١٠] الملوك بحاله في ما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال، ألا ترى أن الملك إذا كان عالما[١١] بحاله لم يقدم الإنسان على نشر[١٢] الجميل منه. فثبت أن الذي يحوجه[١٣] إلى الثناء عليه عند الملوك جهل الملوك بحاله، ولا يجوز أن يكون الله تعالى يخفى عليه حال أحد وما هو عليه من ظواهر[١٤] أموره وبواطنها حتى يحتاج إلى معرّف يُعرفه. فبطل أن يكون الشفاعة للوجه الذي ذكروها، وثبت[١٥] أنها للوجه الذي ذكرناها.

---

[١] ر ن م: وينبغي.
[٢] ث – وفضول الشهوات.
[٣] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[٤] ر ن م: في مثالها.
[٥] ر م – لما يحصل لهم بها من المنفعة.
[٦] ث: ولما.
[٧] ث + من وإنما يحصل لهم بها.
[٨] ر م: عليها.
[٩] ر: من.
[١٠] ر: بجهل.
[١١] ن – عالما.
[١٢] ر م: على البشر؛ ن: على نشير؛ ث: على بشر.
[١٣] ر ث م: يخرجه.
[١٤] ر م: الظواهر.
[١٥] ر: وأثبت.

ثم العفو والصفح عن إحلال العقوبة بمن همّوا أن يعاقبوه بجريمة سبقت منه.[1] ثم الشفاعة فيما بين الخلق أمر معهود أنها تكون[2] عند زلات يستوجب بها العقوبة والمقت، فيعفَى عن مرتكبيها[3] بشفاعة الأخيار[4] وأهل الرضاء، فلا ينكر أن يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الأخيار وأهل الرضاء والأبرار. ***والله الموفق.***

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **فما لهم عن التذكرة معرضين**، فجائز أن يكون تأويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما إليه مآبهم ومُنْقَلَبُهم؟[5] وذلك يكون في الرسول وفي القرآن، لأن كل واحد منهما يذكر للمرء ماله و[ما][6] عليه. ***والله أعلم.*** وجائز أن يكون تأويله: فما لهم عما به يَشْرُف قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملإ الأعلى معرضين؟ وذلك يكون في طاعته والإقبال على عبادته، وهو كقوله تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[7] معناه أنكم تصيرون[8] به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تُضيّعوا حرمته.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾[٥٠] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **كأنهم حمر مستنفرة**، بنصب الفاء وخفضه،[9] فمن قرأ بخفض الفاء صرف الفعل إليها كأنه يقول: حمر نافرة، ونَفَر[10] واستَنْفر واحد كما يقال: استرقد القوم، أي رقدوا. ومن قرأ بنصب الفاء فتأويله أنه فُعل بها ما يحملها على النفار، وذلك يكون بالرمي وبالقانص ومن الأسد[11] كما ذكره أهل التفسير في تأويل القسورة هي الأسد أو الرماة أو الصيادون،[12]

---

[1] جميع النسخ: منهم.
[2] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[3] م: عن مرتكبها.
[4] ن: الأخبار.
[5] ر: عليه مآبهم ومتقلبهم؛ ث م: ومتقلبهم.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[8] ن: يصيرون؛ ث: يقرون.
[9] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٢؛ وحجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٣٤.
[10] ر م – ونفر.
[11] جميع النسخ: من الأسد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[12] ر ث: أو الصادون؛ م: والصادون.

ويقال: هي النَّفِرَة، وكان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار. ووجه التقريب هو أن هؤلاء أعرضوا عما في الإقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب ونفروا كنفار الحُمُر المستنفِرة من العطب والهلاك. وفي هذه الآية تبيين[1] شدة سفههم وغاية جهلهم، لأن الحمير[2] ينفر عن القانص والرامي والأسد ليسلم من الهلاك والعطب، وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم إلى ما فيه هلاكهم وعطبهم،[3] فهم أشرّ[4] من الحمير وأضل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾[٥٢]

وقوله عز جل: **بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة**، قال بعض أهل التأويل: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل في بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنبا فأصبح[5] فوجد صحيفة معلقة على باب داره أو[6] مكتوبا عند رأسه "إنك أذنبت كذا"، وزاد بعضهم [٨٦٩ظ] / "إنك أذنبت كذا[7] وتوبتك كذا"، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم كذلك، فأخبر الله تعالى ذلك[8] عنهم ثم آيسهم عن ذلك وقال: كَلَّا،[9] أي لا ينالون ما يأملون.[10] وقال قتادة: قالوا يا محمد إن سَرَّك أن نتبعك فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة إلى فلان بن فلان يأمرنا فيها باتباعك. وقيل: سألوا أن يُؤْتَوا ببراءة بغير عمل.[11] ولكن لا يجب قطع الأمر على واحد من هذه التأويلات، بل يقال بها على جهة الإمكان والاحتمال؛ لأن هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا أولئك القوم الذين صدرت منهم هذه الإرادة ليخبروهم[12] ماذا أرادوا به

[1] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[2] ر م: الحمر.
[3] ر: وعطيهم.
[4] ث: أشد.
[5] جميع النسخ: فيصبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م – أو.
[7] م – كذا.
[8] ر ث م: كذلك.
[9] من الآية التالية.
[10] ر ث م: لا تنالون ما تأملون.
[11] عن قتادة، قوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ قال: قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سَرَّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يُؤْتَوْا براءةً بغير عمل (*تفسير الطبري*، ٢١٣/٢٩).
[12] ن + هذا.

حتى يثبت ما ذكروا من القصة والأخبار، ولا تواترت الأخبار من عند ذي الحُجةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنهم سألوه ذلك، لذلك لم يستقم قطع الأمر على ما ذكروا.

وجائز أن يكون هذه الإرادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والأكابر لا أن أراد[1] كل في ذات نفسه أن يؤتى صحفا منشرة، والإرادة هاهنا عبارة عن الطلب. ثم طلبهم ما ذكر يتوجه إلى أوجه ثلاثة. أحدها أن يكون كل واحد من عظمائهم ودَّ أن يكون هو المخصوصَ بإنزال الكتاب عليه، كما قال في آية أخرى: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ.[2] فيكون في هذا[3] إظهارُ[4] استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل حكاية عنهم: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، إلى قوله: أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ.[5] ففي هذا الآية إبانة أنهم كانوا يطلبون إنزال الكتاب عليهم ليتقرر لديهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك على جهة التعنت والعناد؛ وإلا لو تفكروا في حاله أدّاهم ذلك إلى العلم برسالته من غير أن يحتاجوا إلى تثبيت رسالته بكتاب ينزل عليهم. *والله أعلم*. و[الثاني] جائز أن يكونوا رأوا أكابرهم أحق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى بإنزال الكتاب عليهم لما رأوهم[6] أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا ترى إلى قوله: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[7] وقال في آية أخرى: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[8] فأرادوا أن يُؤْتَوا صحفا منشرة لهذا المعنى إذ هم أولى أن يُخَصُّوا بهذه الفضيلة. وإنما ذكرنا هذه التأويلات في هذه الآية لأن هذه المعاني التي ذكرناها قد ظهرت منهم بمتلو القرآن، والتأويلات التي ذكرها أهل التفسير لا يتهيأ تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت هذه التأويلات أمكن وأملك بالآية من غيرها. *والله أعلم*.

---

[1] ث: لا أن إرادة.
[2] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[3] ر ث م: في هذه.
[4] ر: إظهارا.
[5] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩٣.
[6] م – هم.
[7] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[8] سورة ص، ٨/٣٨.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **كلا بل لا يخافون الآخرة**، إن الذي حملهم على الطلب بأن يؤتَى كل منهم صحفا منشرة إعراضهم عن الإيمان[١] بالآخرة، وإلا لو آمنوا[٢] بها لكان إيمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت وعلى[٣] ترك التجبر[٤] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم إلى الإذعان للحق.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[٥٤] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[٥٥] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٥٦]

وقوله تعالى: **كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره**، سنذكر معنى هذه الآية في سورة "عبس[٥] وتولى"، وسنذكر معنى قوله: **وما يذكرون إلا أن يشاء الله**، في سورة "إذا الشمس كورت"، إن شاء الله تعالى.[٦]

وقوله عز وجل: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، فأهل التأويل صرفوا قوله: **هو أهل التقوى**، إلى الله تعالى، وجائز أن يصرف إلى البشر. فإن كان المراد من قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، البشر، فيكون معنى قوله: **هو أهل التقوى**، أي الذي يقوم بالذكر، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا،[٧] فجعل الذين ألزمهم كلمة التقوى من أهل التقوى. وإن كان المراد من قوله: **هو أهل التقوى**، أي الله سبحانه وتعالى، فتأويله أنه[٨] أهل أن يُتَّقَى الزلة والعثرةُ في حقوقه تعالى. والوجه فيه أن المرء في الشاهد إنما يتقي الزلة والعثرةَ إلى آخر لإحدى خصال ثلاث. إحداها لما يرى من افتقاره وحاجته إليه فيتقي العثرة[٩] إليه تبجيلا وتعظيما؛ أو يتقي[١٠] ذلك لما يرى من قدرته وسلطانه على الانتقام منه؛

---

[١] ر: من الإيمان.
[٢] ن: وإلا لا آمنوا.
[٣] ر م: على.
[٤] ر م: الجسر، ث: التحسر.
[٥] ر ث م – وقوله كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره الآية سنذكر معنى هذه الآية في سورة عبس.
[٦] ر ث م – إن شاء الله تعالى.
[٧] سورة الفتح، ٤٨/٢٦.
[٨] ر م – أنه.
[٩] ر: العشرة.
[١٠] ر ث م + زلته.

أو يتقي زلته لكثرة نعمه وأياديه استحياء منه. فإذًا كانت هذه الأشياء هي الداعيةَ إلى الاتقاء. ثم الخلائق بأجمعهم مفتقرون ومحتاجون إلى الله تعالى، وله القدرة والسلطان عليهم، وهو المنعم المُفضِل على كل أحد، فهو أهلٌ أن يُعظّم ويوقَّر وأن يُخاف نقمته ويستحيا منه، ومن اتقى صار أهلا لأن يغفر.

وجائز أن يكون معنى قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، أي هو أهل بأن يُسأل عنه ما يقي[1] من النار، بقوله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[2] وبقوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[3] ثم علّمنا وجه الاتقاء بقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[4] فبيّن أن الاتقاء أن يُفزع إلى الله تعالى ويُتضرع إليه ليقيَ بفضله ورحمته. وقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[5] فأمرنا جل جلاله بالمناصبة مع الشيطان للمحاربة، / وأخبر أن محاربته [٨٧٠و] أن يُفزَع إلى الله بالاستعاذة، بقوله عز وجل: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[6] وقال في آية أخرى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[7] الآية، فهو أهل أن يطلب منه ما يَقِي به وأهل أن يُستعاذ به لدفع كيد العدو. [وقوله:] **وأهل المغفرة**، أي أهل أن يطلب منه المغفرة. جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والذين منّ عليهم بالمغفرة. وقال بعضهم: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، أي هو أهل أن يُتَّقَى عنه وأهل أن يَغفر لمن اتقاه. ***والله المستعان***.[8]

---

[1] جميع النسخ: أن يتقي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.
[2] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[3] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[4] سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[5] سورة فاطر، ٦/٣٥.
[6] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[7] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[8] ر + والحمد لله رب العالمين؛ ن + وعليه الاعتماد؛ ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ م – والله المستعان.

سورة المدثر

خمسون وست آيات مكية، وعند بعضهم أنها أول ما نزل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: المدثر، أصله المتدثر، وهو الذي يتدثر بثيابه لينام، أو ليستدفئ، يقال: تدثر بثوبه، والدثار: اسم لما يتدثر به، ثم أدغمت التاء في الدال لتقارب مخرجهما.

المسألة الثانية: أجمعوا على أن المدثر هو رسول الله ﷺ، واختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام لم سمي مدثرًا، فمنهم من أجراه على ظاهره وهو أنه كان متدثرًا بثوبه، ومنهم من ترك هذا الظاهر، أما على الوجه الأول فاختلفوا في أنه لأي سبب تدثر بثوبه على وجوه: أحدها: أن هذا من أوائل ما نزل من القرآن، روى جابر بن عبد الله أنه عليه الصلاة والسلام قال: «كُنْتُ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ، فَنُودِيتُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَيَسَارِي، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَنَظَرْتُ فَوْقِي، فَرَأَيْتُ الْمَلَكَ قَاعِدًا عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَخِفْتُ وَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾»(1) وثانيها: أن النفر الذين آذوا رسول الله ﷺ، وهم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل اجتمعوا وقالوا: إن وفود العرب يجتمعون في أيام الحج ويسألوننا عن أمر محمد، فكل واحد منا يجيب بجواب آخر، فواحد يقول: مجنون، وآخر يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر، فالعرب يستدلون باختلاف الأجوبة على كون هذه الأجوبة باطلة، فتعالوا نجتمع على تسمية محمد باسم واحد، فقال واحد: إنه شاعر، فقال الوليد: سمعت كلام عبيد بن الأبرص، وكلام أمية بن أبي الصلت، وكلامه ما يشبه كلامهما، وقال آخرون كاهن، قال الوليد: ومن الكاهن؟ قالوا: الذي يصدق تارة ويكذب أخرى، قال الوليد: ما كذب محمد قط، فقال آخر: إنه مجنون فقال الوليد: ومن يكون المجنون؟ قالوا: مخيف الناس، فقال الوليد: ما أخيف بمحمد أحد قط، ثم قام الوليد وانصرف إلى بيته، فقال الناس: صبأ الوليد بن المغيرة، فدخل عليه أبو جهل، وقال: مالك يا

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) باب (تفسير سورة المزمل) (٤/ ١٨٧٤) حديث رقم (٤٦٣٨) ومسلم في (صحيحه) (١/ ١٤٤/ ١٦١) كلاهما من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن... به.

أبا عبد شمس؟ هذه قريش تجمع لك شيئًا، زعموا أنك احتججت وصبأت، فقال: الوليد مالي إليه حاجة، ولكني فكرت في محمد. فقلت: إنه ساحر، لأن الساحر هو الذي يفرق بين الأب وابنه وبين الأخوين، وبين المرأة وزوجها، ثم إنهم أجمعوا على تلقيب محمد عليه الصلاة والسلام بهذا اللقب، ثم إنهم خرجوا فصرخوا بمكة والناس مجتمعون، فقالوا: إن محمدًا لساحر، فوقعت الضجة في الناس أن محمدًا ساحر، فلما سمع رسول الله ﷺذلك اشتد عليه، ورجع إلى بيته محزونًا فتدثر بثوبه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ وثالثها: أنه عليه الصلاة والسلام كان نائمًا متدثرًا بثيابه، فجاءه جبريل عليه السلام وأيقظه، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ كأنه قال: له اترك التدثر بالثياب والنوم، واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له.

القول الثاني: أنه ليس المراد من المدثر، المتدثر بالثياب، وعلى هذا الاحتمال فيه وجوه أحدها: أن المراد كونه متدثرًا بدثار النبوة والرسالة من قولهم: ألبسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم، ويقال: تلبّس فلان بأمر كذا، فالمراد يأيها المدثر بدثار النبوة قم فأنذر، وثانيها: أن المتدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه، وأنه عليه الصلاة والسلام في جبل حراء كان كالمختفي من الناس، فكأنه قيل: يا أيها المتدثر بدثار الخمول والاختفاء، قم بهذا الأمر واخرج من زاوية الخمول، واشتغل بإنذار الخلق، والدعوة إلى معرفة الحق، وثالثها: أنه تعالى جعله رحمة للعالمين، فكأنه قيل له: يا أيها المدثر بأثواب العلم العظيم، والخلق الكريم، والرحمة الكاملة قم فأنذر عذاب ربك.

المسألة الثالثة: عن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره، كأنه قيل له: دثرت هذا الأمر وعصيت به، وقد سبق نظيره في المزمل.

قوله تعالى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾

فيه قوله: ﴿قُمۡ﴾ وجهان أحدهما: قم من مضجعك، والثاني: قم قيام عزم وتصميم، وفي قوله: ﴿فَأَنذِرۡ﴾ وجهان:

أحدهما: حذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا. وقال ابن عباس: قم نذيرًا للبشر، احتج القائلون بالقول الأول بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ﴾ [الأنعام: ٥١] واحتج القائلون بالقول الثاني بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. وهاهنا قول ثالث: وهو أن المراد فاشتغل بفعل الإنذار، كأنه تعالى يقول له تهيأ لهذه الحرفة، فإنه فرق بين أن يقال تعلم صنعة المناظرة، وبين أن يقال: ناظر زيدًا.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير التكبير وجوهًا أحدها: قال الكلبي: عظم ربك مما يقوله عبدة الأوثان، وثانيها: قال مقاتل: هو أن يقول: الله أكبر، روى أنه «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَامَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، فَكَبَّرَتْ خَدِيجَةُ وَفَرِحَتْ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ»(١) وثالثها: المراد منه التكبير في الصلوات، فإن قيل: هذه السورة نزلت في أول البعث وما كانت الصلاة واجبة في ذلك الوقت؟ قلنا: لا يبعد أنه كانت له عليه السلام صلوات تطوعية، فأمر أن يكبر ربه فيها، ورابعها: يحتمل عندي أن يكون المراد أنه لما قيل له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ قيل بعد ذلك: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عن اللغو والعبث، واعلم أنه ما أمرك بهذا الإنذار إلا لحكمة بالغة، ومهمات عظيمة، لا يجوز لك الإخلال بها، فقوله: ﴿وَرَبَّكَ﴾ كالتأكيد في تقرير قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ وخامسها: عندي فيه وجه آخر وهو أنه لما أمره بالإنذار، فكأن سائلاً سأل وقال: بماذا ينذر؟ فقال: أن يكبر ربه عن الشركاء والأضداد والأنداد ومشابهة الممكنات والمحدثات، ونظير قوله في سورة النحل: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] وهذا تنبيه على أن الدعوة إلى معرفة الله ومعرفة تنزيهه مقدمة على سائر أنواع الدعوات.

المسألة الثانية: الفاء في قوله: ﴿فَكَبِّرْ﴾ ذكروا فيه وجوهًا: أحدها: قال أبو الفتح الموصلي: يقال: زيدًا فاضرب، وعمرًا فاشكر، وتقديره زيدًا اضرب وعمرًا اشكر، فعنده أن الفاء زائدة وثانيها: قال الزجاج: دخلت الفاء لإفادة معنى الجزائية، والمعنى: قم فكبر ربك وكذلك ما بعده على هذا التأويل، وثالثها: قال صاحب (الكشاف): الفاء لإفادة معنى الشرط، والتقدير: وأي شيء كان فلا تدع تكبيره.

قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

واعلم أن تفسير هذه الآية يقع على أربعة أوجه: أحدها: أن يترك لفظ الثياب والتطهير على ظاهره، والثاني: أن يترك لفظ الثياب على حقيقته، ويحمل لفظ التطهير على مجازه، الثالث: أن يحمل لفظ الثياب على مجازه، ويترك لفظ التطهير على حقيقته، والرابع: أن يحمل اللفظان على المجاز أما الاحتمال الأول: وهو أن يترك لفظ الثياب، ولفظ التطهير على حقيقته، فهو أن نقول: المراد منه أنه عليه الصلاة والسلام، أمر بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار، وعلى هذا التقدير يظهر في الآية ثلاثة احتمالات: أحدها: قال الشافعي: المقصود منه الإعلام بأن الصلاة لا تجوز إلا في ثياب طاهرة من الأنجاس، وثانيها: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان المشركون ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات، فأمره الله تعالى بأن يصون ثيابه عن النجاسات، وثالثها: روي أنهم ألقوا على رسول الله ﷺ سلى شاة، فشق عليه ورجع إلى بيته حزينًا وتدثر بثيابه(٢)، فقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] ولا تمنعك تلك السفاهة عن

(١) ذكره أهل التفاسير بدون إسناد.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ولكن الحديث أصله في الصحيحين أخرجه البخاري في (صحيحه) (١/ ٩٤) حديث رقم (٢٣٧) ومسلم في (صحيحه) (٥/ ١٧٩/ ٤٧٥٠) كلاهما من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود. . . به.

الإنذار وربك فكبر عن أن لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات، الاحتمال الثاني: أن يبقى لفظ الثياب على حقيقته، ويجعل لفظ التطهير على مجازه، فهنا قولان: الأول: أن المراد من قوله: ﴿فَطَهِّرْ﴾ أي فقصر، وذلك لأن العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس، ولأن تطويل الذيل إنما يفعل للخيلاء والكبر، فنهى الرسول ﷺ عن ذلك، القول الثاني: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة، بل تكون مكتسبة من وجه حلال، الاحتمال الثالث: أن يبقى لفظ التطهير على حقيقته، ويحمل لفظ الثياب على مجازه، وذلك أن يحمل لفظ الثياب على الجسم وذلك لأن العرب ما كانوا يتنظفون وقت الاستنجاء، فأمر عليه الصلاة والسلام بذلك التنظيف وقد يجعل لفظ الثياب كناية عن النفس.

قال عنترة:

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ (أَيْ نَفْسَهُ)(١)

ولهذا قال:

لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

الاحتمال الرابع: وهو أن يحمل لفظ الثياب، ولفظ التطهير على المجاز، وذكروا على هذا الاحتمال وجوهًا، الأول: وهو قول أكثر المفسرين: وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وعن الحسن: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: وخلقك فحسن، قال القفال: وهذا يحتمل وجوهًا: أحدها: أن الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدًا، حتى رجع إلى بيته وتدثر بثيابه، وكان ذلك إظهار جزع وقلة صبر يقتضيه سوء الخلق، فقيل له: قم فأنذر ولا تحملنك سفاهتهم على ترك إنذارهم بل حسن خلقك، والثاني: أنه زجر عن التخلق بأخلاقهم، فقيل له: طهر ثيابك أي قلبك عن أخلاقهم، في الافتراء والتقول والكذب وقطع الرحم، والثالث: فطهر نفسك وقلبك عن أن تعزم على الانتقام منهم والإساءة إليهم، ثم إذا فسرنا الآية بهذا الوجه، ففي كيفية اتصالها بما قبلها وجهان: الأول: أن يقال: إن الله تعالى لما ناداه في أول السورة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١] وكان التدثر لباسًا، والدثار من الثياب، قيل طهر ثيابك التي أنت متدثر بها عن أن تلبسها على هذا التفكر والجزع والضجر من افتراء المشركين، الوجه الثاني: أن يفسر المدثر بكونه متدثرًا بالنبوة، كأنه قيل: يا أيها المتدثر بالنبوة طهر ما تدثرت به عن الجزع وقلة الصبر، والغضب والحقد، فإن ذلك لا يليق بهذا الدثار، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[المدثر: ٧] واعلم أن حمل المدثر على المتصف ببعض الصفات جائز، يقال: فلان طاهر الجيب نقي الذيل، إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، ويقال: فلان دنس الثياب إذا كان موصوفًا بالأخلاق الذميمة، قال الشاعر:

---

(١) تقدمت ترجمته.

فَلَا أَبَ وَابْنًا مِثْلُ مَرْوَانَ وَابْنِهِ إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا (١)

والسبب في حسن هذه الكناية وجهان: الأول: أن الثوب كالشيء الملازم للإنسان، فلهذا السبب جعلوا الثوب كناية عن الإنسان، يقال: المجد في ثوبه والعفة في إزاره، والثاني: أن الغالب أن من طهر باطنه، فإنه يطهر ظاهره الوجه الثاني: في تأويل الآية أن قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أمر له بالاحتراز عن الآثام والأوزار التي كان يقدم عليها قبل النبوة، وهذا على تأويل من حمل قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣]على أيام الجاهلية، الوجه الثاني: في تأويل الآية قال محمد بن عرفة النحوي معناه: نساءك طهرهن، وقد يكنى عن النساء بالثياب، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]وهذا التأويل بعيد، لأن على هذا الوجه لا يحسن اتصال الآية بما قبلها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في الرِّجز وجوهًا: الأول: قال العتبي: الرِّجز العذاب قال الله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]أي العذاب ثم سمي كيد الشيطان رجزًا لأنه سبب للعذاب، وسميت الأصنام رجزًا لهذا المعنى أيضًا، فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي، ثم على هذا القول احتمالان: أحدهما: أن قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ يعني كل ما يؤدي إلى الرجز فاهجره، والتقدير وذا الرجز فاهجر أي ذا العذاب فيكون المضاف محذوفًا، والثاني: أنه سمى ما يؤدي إلى العذاب عذابًا تسمية للشيء، باسم ما يجاوره ويتصل به، القول الثاني: أن الرِّجز اسم للقبيح المستقذر وهو معنى الرِّجس، فقوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ كلام جامع في مكارم الأخلاق كأنه قيل له: اهجر الجفاء والسفه وكل شيء قبيح، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز، وهذا يشاكل تأويل من فسر قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]على تحسين الخلق وتطهير النفس عن المعاصي والقبائح.

المسألة الثانية: احتج من جوز المعاصي على الأنبياء بهذه الآية، قال لولا أنه كان مشتغلاً بها وإلا لما زجر عنها بقوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ والجواب المراد منه الأمر بالمداومة على ذلك الهجران، كما أن المسلم إذا قال: اهدنا فليس معناه أنا لسنا على الهداية فاهدنا، بل المراد ثبتنا على هذه الهداية، فكذا هاهنا.

---

(١)البيت للشاعر الكميت وهو الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل الأسدي، أبو أيوب؟ - ٦٠هـ/ ؟ - ٦٧٩م شاعر مخضرم، من بني جحوان بن فقعس، عاش أكثر حياته في الإسلام عرّفه الجمحي بالكميت الأوسط لتوسطه في الزمن بين جدّه الكميت بن ثعلبة والكميت بن زيد وقال هو أشعرهم قريحةً وقال الميداني: الكميت ثلاثة: الكميت بن ثعلبة ثم الكميت بن معروف ثم الكميت بن زيد، وكلهم من بني أسد.

المسألة الثالثة: قرأ عاصم في رواية حفص ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ بضم الراء في هذه السورة وفي سائر القرآن بكسر الراء، وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر بالكسر وقرأ يعقوب بالضم، ثم قال الفراء: هما لغتان والمعنى واحد، وفي كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الأوثان وبكسر الراء العذاب، ووسواس الشيطان أيضًا رجز، وقال أبو عبيدة: أفشى اللغتين وأكثرهما الكسر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ **فيه مسائل**

المسألة الأولى: القراءة المشهورة ﴿تَسۡتَكۡثِرُ﴾ برفع الراء وفيه ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون التقدير: ولا تمنن لتستكثر فتنزع اللام فيرتفع، وثانيها: أن يكون التقدير لا تمنن أن تستكثر ثم تحذف أن الناصبة فتسلم الكلمة من الناصب والجازم فترتفع ويكون مجاز الكلام لا تعط لأن تستكثر، وثالثها: أنه حال متوقعة أي لا تمنن مقدرًا أن تستكثر قال أبو علي الفارسي: هو مثل قولك: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا أي مقدرًا للصيد فكذا هاهنا المعنى مقدرًا الاستكثار، قال: ويجوز أن يحكى به حالاً آتية، إذا عرفت هذا فنقول، ذكروا في تفسير الآية وجوهًا أحدها: أنه تعالى أمره قبل هذه الآية بأربعة أشياء: إنذار القوم، وتكبير الرب، وتطهير الثياب، وهجر الرجز، ثم قال: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة، كالمستكثر لما تفعله، بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربًا بذلك إليه غير ممتن به عليه. قال الحسن: لا تمنن على ربك بحسناتك فتستكثرها، وثانيها: لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين، والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام، فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله، فلا منة لك عليهم، ولهذا قال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[المدثر: ٧]، وثالثها: لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر، أي لتأخذ منهم على ذلك أجرًا تستكثر به مالك، ورابعها: لا تمنن أي لا تضعف من قولهم: حبل منين أي ضعيف، يقال: منّهُ السير أي أضعفه. والتقدير فلا تضعف أن تستكثر من هذه الطاعات الأربعة التي أمرت بها قبل هذه الآية، ومن ذهب إلى هذا قال: هو مثل قوله: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾[الزمر: ٦٤] أي أن أعبد فحذفت أن وذكر الفراء أن في قراءة عبد الله (وَلاَ تَمْنُنْ أَنْ تستكثر) وهذا يشهد لهذا التأويل، وهذا القول اختيار مجاهد، وخامسها: وهو قول أكثر المفسرين أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾ أي لا تعط يقال: مننت فلانًا كذا أي أعطيته، قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾[ص: ٣٩] أي فأعط، أو أمسك وأصله أن من أعطى فقد منَّ، فسميت العطية بالمن على سبيل الاستعارة، فالمعنى ولا تعط مالك لأجل أن تأخذ أكثر منه.

وعلى هذا التأويل سؤالات:

السؤال الأول: ما الحكمة في أن الله تعالى منعه من هذا العمل؟ الجواب: الحكمة فيه من وجوه: الأول: لأجل أن تكون عطاياه لأجل الله لا لأجل طلب الدنيا، فإنه نهى عن طلب الدنيا في قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾[الحجر: ٨٨] وذلك لأن طلب الدنيا لا بد وأن تكون الدنيا عنده عزيزة، ومن كان كذلك لم يصلح لأداء الرسالة، الثاني: أن من أعطى غيره القليل من الدنيا

ليأخذ الكثير لا بد وأن يتواضع لذلك الغير ويتضرع له، وذلك لا يليق بمنصب النبوة، لأنه يوجب دناءة الآخذ، ولهذا السبب حرمت الصدقات عليه، وتنفير المأخوذ منه، ولهذا قال: ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

السؤال الثاني: هذا النهي مختص بالرسول عليه الصلاة والسلام، أم يتناول الأمة؟ الجواب: ظاهر اللفظ لا يفيد العموم وقرينة الحال لا تقتضي العموم لأنه عليه الصلاة والسلام إنما نهى عن ذلك تنزيهًا لمنصب النبوة، وهذا المعنى غير موجود في الأمة، ومن الناس من قال هذا المعنى في حق الأمة هو الرياء، والله تعالى منع الكل من ذلك.

السؤال الثالث: بتقدير أن يكون هذا النهي مختصًّا بالنبي ﷺ فهو نهي تحريم أو نهي تنزيه؟ والجواب: ظاهر النهي للتحريم، الوجه السادس في تأويل الآية قال القفال: يحتمل أن يكون المقصد من الآية أن يحرم على النبي ﷺ أن يعطي لأحد شيئًا لطلب عوض سواء كان ذلك العوض زائدًا أو ناقصًا أو مساويًا، ويكون معنى قوله: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ أي طالبًا للكثرة كارهًا أن ينقص المال بسبب العطاء، فيكون الاستكثار هاهنا عبارة عن طلب العوض كيف كان، وإنما حسنت هذه الاستعارة لأن الغالب أن الثواب يكون زائدًا على العطاء، فسمي طلب الثواب استكثارًا حملاً للشيء على أغلب أحواله، وهذا كما أن الأغلب أن المرأة إنما تتزوج ولها ولد للحاجة إلى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبًا، ثم اتسع الأمر فسمي ربيبًا وإن كان حين تتزوج أمه كبيرًا، ومن ذهب إلى هذا القول قال: السبب فيه أن يصير عطاء النبي ﷺ خاليًا عن انتظار العوض والتفات الناس إليه، فيكون ذلك خالصًا مخلصًا لوجه الله تعالى، الوجه السابع: أن يكون المعنى: ولا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارًا منك لتلك العطية، بل ينبغي أن تستقلها وتستحقرها وتكون كالمعتذر من ذلك المنعم عليه في ذلك الإنعام، فإن الدنيا بأسرها قليلة، فكيف ذلك القدر الذي هو قليل في غاية القلة بالنسبة إلى الدنيا، وهذه الوجوه الثلاثة الأخيرة كالمرتبة فالوجه الأول: معناه كونه عليه الصلاة والسلام ممنوعًا من طلب الزيادة في العوض، والوجه الثاني: معناه كونه ممنوعًا عن طلب مطلق العوض زائدًا كان أو مساويًا أو ناقصًا، والوجه الثالث: معناه أن يعطي وينسب نفسه إلى التقصير ويجعل نفسه تحت منة المنعم عليه حيث قبل منه ذلك الإنعام، الوجه الثامن: معناه إذا أعطيت شيئًا فلا ينبغي أن تمنن عليه بسبب أنك تستكثر تلك العطية، فإن المن محبط لثواب العمل، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المسألة الثانية: قرأ الحسن: (تَسْتَكْثِرْ) بالجزم وأكثر المحققين أبوا هذه القراءة، ومنهم من قبلها وذكروا في صحتها ثلاثة أوجه: أحدها: كأنه قيل: لا تمنن لا تستكثر وثانيها: أن يكون أراد تستكثر فأسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات، كما حكاه أبو زيد في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] بإسكان اللام وثالثها: أن يعتبر حال الوقف، وقرأ الأعمش:

(تَسْتَكْثِرَ) بالنصب بإضمار أن كقوله:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضُرَ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[1]

ويؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر.

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

فيه وجوه: أحدها: إذا أعطيت المال فاصبر على ترك المن والاستكثار أي اترك هذا الأمر لأجل مرضاة ربك، وثانيها: إذا أعطيت المال فلا تطلب العوض، وليكن هذا الترك لأجل ربك، وثالثها: أنا أمرناك في أول هذه السورة بأشياء ونهيناك عن أشياء فاشتغل بتلك الأفعال والتروك لأجل أمر ربك، فكأن ما قبل هذه الآية تكاليف بالأفعال والتروك، وفي هذه الآية بيَّن ما لأجله يجب أن يؤتى بتلك الأفعال والتروك وهو طلب رضا الرب، ورابعها: أنا ذكرنا أن الكفار لما اجتمعوا وبحثوا عن حال محمد ﷺ قام الوليد ودخل داره فقال القوم: إن الوليد قد صبأ فدخل عليه أبو جهل، وقال: إن قريشًا جمعوا لك مالاً حتى لا تترك دين آبائك، فهو لأجل ذلك المال بقي على كفره، فقيل لمحمد: إنه بقي على دينه الباطل لأجل المال، وأما أنت فاصبر على دينك الحق لأجل رضا الحق لا لشيء غيره، وخامسها: أن هذا تعريض بالمشركين كأنه قيل له: وربك فكبر لا الأوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين نجس البدن والثياب والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار أن يعطوا الوليد قدرًا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للأغراض العاجلة من المال والجاه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾

اعلم أنه تعالى لما تمم ما يتعلق بإرشاد قدوة الأنبياء وهو محمد ﷺ، عدل عنه إلى شرح وعيد الأشقياء وهو هذه الآية، **وهاهنا مسائل:**

المسألة الأولى: الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ للسبب كأنه قال: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى أنت عاقبة صبرك عليه.

المسألة الثانية: اختلفوا في أن الوقت الذي ينقر في الناقور، أهو النفخة الأولى أم النفخة الثانية؟ فالقول الأول: أنه هو النفخة الأولى، قال الحليمي في كتاب - المنهاج -: أنه تعالى سمى الصور باسمين أحدهما الصور والآخر الناقور، وقول المفسرين: إن الناقور هو الصور، ثم لا شك أن الصور وإن كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معًا، فإن نفخة الإصعاق تخالف نفخة الإحياء، وجاء في الأخبار أن في الصور ثقبًا بعدد الأرواح كلها، وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية، فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيًّا بإذن الله تعالى، فيحتمل أن يكون الصور محتويًا على آلتين ينقر في إحداهما وينفخ في الأخرى

(١) هذا البيت ضمن قصيدة من البحر الطويل لطرفة بن العبد وتقدمت ترجمته.

فإذا نفخ فيه للإصعاق، جمع بين النقر والنفخ، لتكون الصيحة أهد وأعظم، وإذا نفخ فيه للإحياء لم ينقر فيه، واقتصر على النفخ، لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها، والنفخة الأولى للتنقير، وهو نظير صوت الرعد، فإنه إذا اشتد فربما مات سامعه، والصيحة الشديدة التي يصيحها رجل بصبي فيفزع منه فيموت، هذا آخر كلام الحليمي رحمه الله ولي فيه إشكال، وهو أن هذا يقتضي أن يكون النقر إنما يحصل عند صيحة الإصعاق، وذلك اليوم غير شديد على الكافرين، لأنهم يموتون في تلك الساعة إنما اليوم الشديد على الكافرين عند صيحة الإحياء، ولذلك يقولون: يا ليتها كانت القاضية، أي يا ليتنا بقينا على الموتة الأولى، والقول الثاني: إنه النفخة الثانية، وذلك لأن الناقور هو الذي ينقر فيه، أي ينكت، فيجوز أنه إذا أريد أن ينفخ في المرة الثانية، نقر أولاً، فسمي ناقورًا لهذا المعنى، وأقول في هذا اللفظ بحث وهو أن الناقور فاعول من النقر، كالهاضوم ما يهضم به، والحاطوم ما يحطم به، فكان ينبغي أن يكون الناقور ما ينقر به لا ما ينقر فيه.

المسألة الثالثة: العامل في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ هو المعنى الذي دل عليه قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩] والتقدير إذا نقر في الناقور عسر الأمر وصعب.

قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله فذلك إشارة إلى اليوم الذي ينقر فيه في الناقور، والتقدير فذلك اليوم يوم عسير، وأما ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ففيه وجوه: الأول: أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿فَذَٰلِكَ﴾ لأن قوله: ﴿فَذَٰلِكَ﴾ يحتمل أن يكون إشارة إلى النقر، وأن يكون إشارة إلى اليوم المضاف إلى النقر، فكأنه قال: فذلك أعني اليوم المضاف إلى النقر يوم عسير فيكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في محل النصب، والثاني: أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مرفوع المحل بدلاً من ذلك ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير فعلى هذا يومئذ في محل الرفع لكونه بدلاً من ذلك إلا أنه لما أضيف اليوم إلى إذ وهو غير متمكن بني على الفتح، الثالث: أن تقدير الآية فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير على أن يكون العامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هو النقر.

المسألة الثانية: عسر ذلك اليوم على الكافرين لأنهم يناقشون في الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ويحشرون زرقًا وتتكلم جوارحهم فيفتضحون على رؤوس الأشهاد وأما المؤمنون فإنه عليهم يسير لأنهم لا يناقشون في الحساب ويحشرون بيض الوجوه ثقال الموازين، ويحتمل أن يكون إنما وصفه الله تعالى بالعسر لأنه في نفسه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين على ما روى أن الأنبياء يومئذ يفزعون، وأن الولدان يشيبون إلا أنه يكون هول الكفار فيه أشد، فعلى القول الأول لا يحسن الوقف على قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فإن المعنى أنه

على الكافرين عسير وغير يسير، وعلى القول الثاني يحسن الوقف لأن المعنى أنه في نفسه عسير على الكل ثم الكافر مخصوص فيه بزيادة خاصة وهو أنه عليه غير يسير، فإن قيل: فما فائدة قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وعسير مغن عنه؟ الجواب: أما على القول الأول: فالتكرير للتأكيد كما تقول أنا لك محب غير مبغض وولي غير عدو، وأما على القول الثاني: فقوله: ﴿عَسِيرٌ﴾ يفيد أصل العسر الشامل للمؤمنين والكافرين وقوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ يفيد الزيادة التي يختص بها الكافر لأن العسر قد يكون عسرًا، قليلاً يسيرًا، وقد يكون عسرًا كثيرًا فأثبت أصل العسر للكل وأثبت العسر بصفة الكثرة والقوة للكافرين.

المسألة الثالثة: قال ابن عباس: لما قال: إنه غير يسير على الكافرين، كان يسيرًا على المؤمنين فبعض من قال بدليل الخطاب قال لولا أن دليل الخطاب حجة وإلا لما فهم ابن عباس من كونه غير يسير على الكافر كونه يسيرًا على المؤمن.

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: أجمعوا على أن المراد هاهنا الوليد بن المغيرة، وفي نصب قوله ﴿وَحِيدًا﴾ وجوه الأول: أنه نصب على الحال، ثم يحتمل أن يكون حالاً من الخالق وأن يكون حالاً من المخلوق، وكونه حالاً من الخالق على وجهين الأول: ذرني وحدي معه فإني كاف في الانتقام منه، والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، وأما كونه حالاً من المخلوق، فعلى معنى أني خلقته حال ما كان وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ٩٤]، القول الثاني: أنه نصب على الذم، وذلك لأن الآية نزلت في الوليد وكان يلقب بالوحيد، وكان يقول أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي نظير. فالمراد ذرني ومن خلقت أعني وحيدًا. وطعن كثير من المتأخرين في هذا الوجه، وقالوا: لا يجوز أن يصدقه الله في دعواه أنه وحيد لا نظير له، وهذا السؤال ذكره الواحدي وصاحب الكشاف، وهو ضعيف من وجوه: الأول: أنا لما جعلنا الوحيد اسم علم فقد زال السؤال لأن اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم مقام الإشارة، الثاني: لم لا يجوز أن يحمل على كونه وحيدًا في ظنه واعتقاده؟ ونظيره قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩]، الثالث: أن لفظ الوحيد ليس فيه أنه وحيد في العلو والشرف، بل هو كان يدعي لنفسه أنه وحيد في هذه الأمور. فيمكن أن يقال: أنت وحيد لكن في الكفر والخبث والدناءة، القول الثالث: أن وحيدًا مفعول ثان لخلق، قال أبو سعيد الضرير: الوحيد الذي لا أب له، وهو إشارة إلى الطعن في نسبه كما في قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ في تفسير المال الممدود وجوه: الأول: المال الذي يكون له مدد يأتي من الجزء بعد الجزء على الدوام، فلذلك فسره عمر بن الخطاب بغلة شهر شهر، وثانيها: أنه المال الذي يمد بالزيادة، كالضرع والزرع وأنواع التجارات، وثالثها: أنه

المال الذي امتد مكانه، قال ابن عباس: كان ماله ممدودًا ما بين مكة إلى الطائف (مِنَ) الإبل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والأشجار والأنهار والنقد الكثير، وقال مقاتل: كان له بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفًا، فالممدود هنا كما في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] أي لا ينقطع ورابعها: أنه المال الكثير وذلك لأن المال الكثير إذا عدد فإنه يمتد تعديده، ومن المفسرين من قدر المال الممدود فقال بعضهم: ألف دينار، وقال آخرون: أربعة آلاف وقال آخرون: ألف ألف، وهذه التحكمات مما لا يميل إليها الطبع السليم.

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: **فيه وجهان:**

الأول: بنين حضورًا معه بمكة لا يفارقونه ألبتة لأنهم كانوا أغنياء فما كانوا محتاجين إلى مفارقته لطلب كسب ومعيشة وكان هو مستأنسًا بهم طيب القلب بسبب حضورهم.

والثاني: يجوز أن يكون المراد من كونهم شهودًا أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل، وعن مجاهد: كانوا عشرة، وقيل: سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام.

قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، ولهذا المعنى يدعى بهذا فيقال أدام الله تمهيده أي بسطته وتصرفه في الأمور، ومن المفسرين من جعل هذا التمهيد البسطة في العيش وطول العمر، وكان الوليد من أكابر قريش ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ لفظ ثم هاهنا معناه التعجب كما تقول لصاحبك: أنزلتك داري وأطعمتك وأسقيتك ثم أنت تشتمني، ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] فمعنى (ثم) هاهنا للإنكار والتعجب ثم تلك الزيادة التي كان يطمع فيها هل هي زيادة في الدنيا أو في الآخرة؟ فيه قولان الأول: قال الكلبي ومقاتل: ثم يرجو أن أزيد في ماله وولده وقد كفر بي، الثاني: أن تلك الزيادة في الآخرة، قيل: إنه كان يقول إن كان محمد صادقًا فما خلقت الجنة إلا لي، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ وهو ردع له عن ذلك الطمع الفاسد قال المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان بعد قوله: ﴿كَلَّآ﴾ حتى افتقر ومات فقيرًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا﴾ إنه تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلاً قال: لم لا يزاد؟ فقيل: لأنه كان لآياتنا عنيدًا، والعنيد في معنى المعاند كالجليس والأكيل والعشير، وفي

هذه الآية إشارة إلى أمور كثيرة من صفاته: أحدها: أنه كان معاندًا في جميع الدلائل الدالة على التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث، وكان هو منازعًا في الكل منكرًا للكل، وثانيها: أن كفره كان كفر عناد كان يعرف هذه الأشياء بقلبه إلا أنه كان ينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر، وثالثها: أن قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ يدل على أنه من قديم الزمان كان على هذه الحرفة والصنعة، ورابعها: أن قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ يفيد أن تلك المعاندة كانت منه مختصة بآيات الله تعالى وبيناته، فإن تقديره: إنه كان لآياتنا عنيدًا لا لآيات غيرنا، فتخصيصه هذا العناد بآيات الله مع كونه تاركًا للعناد في سائر الأشياء يدل على غاية الخسران.

قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي سأكلفه صعودًا، وفي الصعود قولان: الأول: أنه مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق مثل قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] وصعود من قولهم: عقبة صعود وكدود: شاقة المصعد، والثاني: أن صعودًا اسم لعقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت، وعنه عليه الصلاة والسلام: «الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُصَّعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذَلِكَ فِيهِ أَبَدًا»(١).

ثم إنه تعالى حكى كيفية عناده فقال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ يقال: فكر في الأمر وتفكر إذا نظر فيه وتدبر، ثم لما تفكر رتب في قلبه كلامًا وهيأه وهو المراد من قوله: ﴿وَقَدَّرَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ وهذا إنما يذكر عند التعجب والاستعظام، ومثله قولهم: قتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما أشعره، ومعناه. أنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك، وإذا عرفت ذلك فنقول إنه يحتمل هاهنا وجهين أحدهما: أنه تعجيب من قوة خاطره، يعني أنه لا يمكن القدح في أمر محمد عليه السلام بشبهة أعظم ولا أقوى مما ذكره هذا القائل، والثاني: الثناء عليه على طريقة الاستهزاء، يعني أن هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ والمقصود من كلمة، ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا الدلالة على أن الدعاء عليه في الكرة الثانية أبلغ من الأولى.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) رقم (١١٧٣٠)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٤) رقم (٢٨١)، وعبد بن حميد (ص ٢٨٩) رقم (٩٢٤)، والترمذي (٤/ ٧٠٣) رقم (٢٥٧٦) وقال: قال: هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعًا من حديث ابن لهيعة وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف قال الشيخ الألباني: ضعيف كذا في ضعيف الترمذي وأبو يعلى (٢/ ٥٢٣) رقم (١٣٨٣)، والحاكم (٢/ ٥٥١) رقم (٣٨٧٣). وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٢٣) جميعًا من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري... به.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ والمعنى أنه أولاً: فكر، وثانيًا: قدر، وثالثًا: نظر في ذلك المقدر، فالنظر السابق للاستخراج، والنظر اللاحق للتقدير، وهذا هو الاحتياط. فهذه المراتب الثلاثة متعلقة بأحوال قلبه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾

ثم إنه تعالى وصف بعد ذلك أحوال وجهه: فقال: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن قوله: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ يدل على أنه كان عارفًا في قلبه صدق محمد ﷺ إلا أنه كان يكفر به عنادًا، ويدل عليه وجوه: الأول: أنه بعد أن تفكر وتأمل قدر في نفسه كلامًا عزم على أنه يظهره فظهرت العبوسة في وجهه ولو كان معتقدًا صحة ذلك الكلام لفرح باستنباطه وإدراكه، ولكنه لما لم يفرح به علمنا أنه كان يعلم ضعف تلك الشبهة، إلا أنه لشدة عناده ما كان يجد شبهة أجود من تلك الشبهة، فلهذا السبب ظهرت العبوسة في وجهه، الثاني: ما روي أن الوليد مر برسول الله ﷺ وهو يقرأ حم السجدة فلما وصل إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] أنشده الوليد بالله وبالرحم أن يسكت[(١)]، وهذا يدل على أنه كان يعلم أنه مقبول الدعاء صادق اللهجة، ولما رجع الوليد قال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، فقالت قريش: صبأ الوليد ولو صبأ لتصبأن قريش كلها. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، ثم دخل عليه محزونًا فقال مالك يا ابن الأخ؟ فقال: إنك قد صبوت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك مالاً ليكون ذلك عوضًا مما تقدر أن تأخذ من أصحاب محمد، فقال: والله ما يشبعون فكيف أقدر أن آخذ منهم مالاً، ولكني تفكرت في أمره كثيرًا فلم أجد شيئًا يليق به إلا أنه ساحر، فأقول استعظامه للقرآن واعترافه بأنه ليس من كلام الجن والإنس يدل على أنه كان في ادعاء السحر معاندًا لأن السحر يتعلق بالجن، والثالث: أنه كان يعلم أن أمر السحر مبني على الكفر بالله، والأفعال المنكرة، وكان من الظاهر أن محمدًا لا يدعو إلا إلى الله، فكيف يليق به السحر؟ فثبت بمجموع هذه الوجوه أنه إنما ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ لأنه كان يعلم أن الذي يقوله كذب وبهتان.

المسألة الثانية: قال الليث: عبس يعبس فهو عابس إذا قطب ما بين عينيه، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل: كلح، فإن اهتم لذلك وفكر فيه قيل: بسر، فإن غضب مع ذلك قيل: بسل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أدبر عن سائر الناس إلى أهله واستكبر أي تعظم عن الإيمان فقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ وإنما ذكره بفاء التعقيب ليعلم أنه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة، وفي قوله: ﴿يُؤْثَرُ﴾ وجهان: الأول: أنه من قولهم أَثَرْتُ الحديث آثره

---

(١) لم أجده.

أثْرًا إذا حدثت به عن قوم في آثارهم، أي بعدما ماتوا هذا هو الأصل، ثم صار بمعنى الرواية عمن كان، والثاني: يؤثر على جميع السحر، وعلى هذا يكون هو من الإيثار.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾

ثم قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ والمعنى أن هذا قول البشر، ينسب ذلك إلى أنه ملتقط من كلام غيره، ولو كان الأمر كما قال لتمكنوا من معارضته إذ طريقتهم في معرفة اللغة متقاربة.

واعلم أن هذا الكلام يدل على أن الوليد إنما كان يقول هذا الكلام عنادًا منه، لأنه روي عنه أنه لما سمع من رسول الله ﷺ (حم السَّجْدَة) وخرج من عند الرسول عليه السلام قال: سمعت من محمد كلامًا ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه يعلو ولا يعلى عليه[1]، فلما أقر بذلك في أول الأمر علمنا أن الذي قاله هاهنا من أنه قول البشر، إنما ذكره على سبيل العناد والتمرد لا على سبيل الاعتقاد.

ثم قال: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قال ابن عباس: ﴿سَقَرَ﴾ اسم للطبقة السادسة من جهنم، ولذلك لا ينصرف للتعريف والتأنيث.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ والغرض التهويل.

ثم قال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ واختلفوا فمنهم من قال: هما لفظان مترادفان معناهما واحد، والغرض من التكرير التأكيد والمبالغة كما يقال: صدَّ عني وأعرض عني. ومنهم من قال: لا بد من الفرق، ثم ذكروا وجوهًا أحدها: أنها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئًا فإذا أعيدوا خلقًا جديدًا فلا تذر أن تعاود إحراقهم بأشد مما كانت، وهكذا أبدًا، وهذا رواية عطاء عن ابن عباس وثانيها: لا تبقي أحدًا من المستحقين للعذاب إلا عذبتهم، ثم لا تذر من أبدان أولئك المعذبين شيئًا إلا أحرقته، وثالثها: لا تبقي من أبدان المعذبين شيئًا، ثم إن تلك النيران لا تذر من قوتها وشدتها شيئًا إلا وتستعمل تلك القوة والشدة في تعذيبهم.

ثم قال: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في اللواحة قولان: الأول: قال الليث: لاحه العطش ولوحه إذا غيره، فاللواحة هي المغيرة. قال الفراء: تسود البشرة بإحراقها، والقول الثاني: وهو قول الحسن والأصم: أن معنى اللواحة أنها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام، وهو كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ولواحة على هذا القول: من لاح الشيء يلوح إذا لمع نحو البرق،

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في (المستدرك) (٢/ ٥٥٠) حديث رقم (٣٨٧٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي في (شعب الإيمان) (١/ ١٥٦) حديث رقم (١٣٤) والبيهقي في (دلائل النبوة) (٢/ ١٤٣) حديث رقم (٥١٥) جميعًا من طريق أبي عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة... به.

وطعن القائلون بهذا الوجه في الوجه الأول، وقالوا: إنه لا يجوز أن يصفها بتسويد البشرة مع قوله إنها: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.

المسألة الثانية: قرئ: (لواحة) نصبًا على الاختصاص للتهويل.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١﴾

ثم قال: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المعنى أنه يلي أمر تلك النار، ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكًا، وقيل: تسعة عشر صنفًا، وقيل: تسعة عشر صفًّا. وحكى الواحدي عن المفسرين: أن خزنة النار تسعة عشر مالك، ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق، وأنيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعت منهم الرأفة والرحمة، يأخذ أحدهم سبعين ألفًا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم.

المسألة الثانية: ذكر أرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوهًا أحدها: وهو الوجه الذي تقوله أرباب الحكمة: أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية.

أما القوى الحيوانية فهي: الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة، والشهوة والغضب، ومجموعهما اثنتا عشرة.

وأما القوى الطبيعة فهي: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة، وهذه سبعة، فالمجموع تسعة عشر، فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر، لا جرم كان عدد الزبانية هكذا، وثانيها: أن أبواب جهنم سبعة، فستة منها للكفار، وواحد للفساق، ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة: ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل، فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر، وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول، بل ليس إلا بسبب ترك العمل، فلا يكون على بابهم إلا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر، وثالثها: أن الساعات أربعة وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة، فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر.

المسألة الثالثة: قراءة أبي جعفر ويزيد وطلحة بن سليمان (عَلَيهَا تِسْعَةَ عْشَر) على تقطيع

فاعلان، قال ابن جني في المحتسب: والسبب أن الاسمين كاسم واحد، فكثرت الحركات، فأسكن أول الثاني للتخفيف، وجعل ذلك أمارة القوة اتصال أحد الاسمين بصاحبه، وقرأ أنس بن مالك (تِسْعَةَ أعشُر) قال أبو حاتم: هذه القراءة لا تعرف لها وجهًا، إلا أن يعني: تسعة أَعشُر جمع عَشِير مثل يَمين وأَيمُن، وعلى هذا يكون المجموع تسعين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل: لقريش ثكلتكم أمهاتكم، قال ابن أبي كبشة: إن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الجمع العظيم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم! فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين! فلما قال أبو جهل وأبو الأشد ذلك، قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين! فجرى هذا مثلاً في كل شيئين لا يسوى بينهما، والمعنى لا تقاس الملائكة بالسجانين، والحداد: السجان الذي يحبس النار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ واعلم أنه تعالى إنما جعلهم ملائكة لوجوه: أحدها: ليكونوا بخلاف جنس المعذبين، لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة، ولذلك بعث الرسول المبعوث إلينا من جنسنا ليكون له رأفة ورحمة بنا، وثانيها: أنهم أبعد الخلق عن معصية الله تعالى وأقواهم على الطاعات الشاقة، وثالثها: أن قوتهم أعظم من قوة الجن والإنس، فإن قيل: ثبت في الأخبار أن الملائكة مخلوقون من النور، والمخلوق من النور كيف يطيق المكث في النار؟ قلنا: مدار القول في إثبات القيامة على كونه تعالى قادرًا على كل الممكنات، فكما أنه لا استبعاد في أن يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت، فكذا لا استبعاد في بقاء الملائكة هناك من غير ألم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: هذا العدد إنما صار سببًا لفتنة الكفار من وجهين: الأول: أن الكفار يستهزئون، يقولون: لِمَ لم يكونوا عشرين، وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟ الثاني: أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر خلق العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام القيامة؟ وأما أهل الإيمان فلا يلتفتون إلى هذين السؤالين.

أما السؤال الأول: فلأن جملة العالم متناهية، فلا بد وأن يكون للجواهر الفردة التي منها تألفت جملة هذا العالم عدد معين، وعند ذلك يجيء ذلك السؤال، وهو أنه لم خصص ذلك العدد بالإيجاد، ولم يزد على ذلك العدد جوهر آخر ولم ينقص، وكذا القول في إيجاد العالم، فإنه لما كان العالم محدثًا والإله قديمًا، فقد تأخر العالم عن الصانع بتقدير مدة غير متناهية، فلِمَ لم يحدث

العالم قبل أن حدث بتقدير لحظة أو بعد أن وجد بتقدير لحظة؟ وكذا القول في تقدير كل واحد من المحدثات بزمانه المعين، وكل واحد من الأجسام بأجزائه المحدودة المعدودة، ولا جواب عن شيء من ذلك إلا بأنه قادر مختار، والمختار له أن يرجح الشيء على مثله من غير علة، وإذا كان هذا الجواب هو المعتمد في خلق جملة العالم، فكذا في تخصيص زبانية النار بهذا العدد.

وأما السؤال الثاني: فضعيف أيضًا، لأنه لا يبعد في قدرة الله تعالى أن يعطي هذا العدد من القدرة والقوة ما يصيرون به قادرين على تعذيب جملة الخلق، ومتمكنين من ذلك من غير خلل، وبالجملة فمدار هذين السؤالين على القدح في كمال قدرة الله، فأما من اعترف بكونه تعالى قادرًا على مالا نهاية له من المقدورات، وعلم أن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذه الاستبعادات بالكلية.

المسألة الثانية: احتج من قال: إنه تعالى قد يريد الإضلال بهذه الآية، قال لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يدل على أن المقصود الأصلي إنما هو فتنة الكافرين، أجابت المعتزلة عنه من وجوه أحدها: قال الجبائي: المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا أنه تعالى قادر على أن يقوي هؤلاء التسعة عشر على مالا يقوى عليه مائة ألف مَلَك أقوياء، وثانيها: قال الكعبي: المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين إلى علم الخالق سبحانه، وهذا من المتشابه الذي أمروا بالإيمان به، وثالثها: أن المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة، والمعنى إلا فتنة على الذين كفروا ليكذبوا به، وليقولوا ما قالوا، وذلك عقوبة لهم على كفرهم، وحاصله راجع إلى ترك الألطاف والجواب: أنه لا نزاع في شيء مما ذكرتم، إلا أنا نقول: هل لإنزال هذه المتشابهات أثر في تقوية داعية الكفر، أم لا؟ فإذا لم يكن له أثر في تقوية داعية الكفر، كان إنزالها كسائر الأمور الأجنبية، فلم يكن للقول بأن إنزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا وجه ألبتة، وإن كان له أثر في تقوية داعية الكفر، فقد حصل المقصود، لأنه إذا ترجحت داعية الفعل، صارت داعية الترك مرجوحة، والمرجوح يمتنع أن يؤثر، فالترك يكون ممتنع الوقوع، فيصير الفعل واجب الوقوع، والله أعلم، واعلم أنه تعالى بيَّن أن المقصود من إنزال هذا المتشابه أمور أربعة: أولها: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وثانيها: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾، وثالثها: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ورابعها: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ واعلم أن المقصود من تفسير هذه الآيات لا يتلخص إلا بسؤالات وجوابات:

السؤال الأول: لفظ القرآن يدل على أنه تعالى جعل افتتان الكفار بعدد الزبانية سببًا لهذه الأمور الأربعة، فما الوجه في ذلك؟ **والجواب:** أنه ما جعل افتتانهم بالعدد سببًا لهذه الأشياء وبيانه من وجهين: الأول: التقدير: وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا، وإلا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب، كما يقال: فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك، قالوا: والعاطفة قد تذكر في هذا

الموضع تارة. وقد تحذف أخرى، الثاني: أن المراد من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو أنه وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر إلا أنه وضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر كأنه عبر عن المؤثر باللفظ الدال على الأثر، تنبيهًا على أن هذا الأثر من لوازم ذلك المؤثر.

السؤال الثاني: ما وجه تأثير إنزال هذا المتشابه في استيقان أهل الكتاب؟ **الجواب:** من وجوه أحدها: أن هذا العدد لما كان موجودًا في كتابهم، ثم إنه عليه السلام أخبر على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم، فظهر أن ذلك إنما حصل بسبب الوحي من السماء فالذين آمنوا بمحمد ﷺ من أهل الكتاب يزدادون به إيمانًا، وثانيها: أن التوراة والإنجيل كانا محرفين، فأهل الكتاب كانوا يقرأون فيهما أن عدد الزبانية هو هذا القدر، ولكنهم ما كانوا يعولون على ذلك كل التعويل لعلمهم بتطرق التحريف إلى هذين الكتابين، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ قوي إيمانهم بذلك واستيقنوا أن ذلك العدد هو الحق والصدق، وثالثها: أن رسول الله ﷺ كان يعلم من حال قريش أنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب، فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه، لأنهم كانوا يستهزئون به في إثبات التوحيد والقدرة والعلم، مع أن تلك المسائل أوضح وأظهر فكيف في ذكر هذا العدد العجيب؟ ثم إن استهزاءهم برسول الله وشدة سخريتهم به ما منعه من إظهار هذا الحق، فعند هذا يعلم كل أحد أنه لو كان غرض محمد ﷺ طلب الدنيا والرياسة لاحترز عن ذكر هذا العدد العجيب، فلما ذكره مع علمه بأنهم لا بد وأن يستهزئوا به علم كل عاقل أن مقصوده منه إنما هو تبليغ الوحي، وأنه ما كان يبالي في ذلك لا بتصديق المصدقين ولا بتكذيب المكذبين.

السؤال الثالث: ما تأثير هذه الواقعة في ازدياد إيمان المؤمنين؟ **الجواب:** أن المكلف مالم يستحضر كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات غنيًا عن جميع الحادثات منزهًا عن الكذب والخلف لا يمكنه أن ينقاد لهذه العدة ويعترف بحقيقتها، فإذا اشتغل باستحضار تلك الدلائل ثم جعل العلم الإجمالي بأنه صادق لا يكذب حكيم لا يجهل دافعًا للتعجب الحاصل في الطبع من هذا العدد العجيب فحينئذ يمكنه أن يؤمن بحقيقة هذا العدد، ولا شك أن المؤمن يصير عند اعتبار هذه المقامات أشد استحضارًا للدلائل وأكثر انقيادًا للدين، فالمراد بازدياد الإيمان هذا.

السؤال الرابع: حقيقة الإيمان عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الآية؟ **الجواب:** نحمله على ثمرات الإيمان وعلى آثاره ولوازمه.

السؤال الخامس: لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ **الجواب:** أن المطلوب إذا كان غامضًا دقيق الحجة كثير الشبهة، فإذا اجتهد الإنسان فيه وحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق، فيعود الشك والشبهة، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك، فالمقصود من إعادة هذا الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقيبه ألبتة شك ولا ريب.

السؤال السادس: جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إنهم الكافرون وذكر الحسين بن الفضل البجلي أن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية ليس بمعنى النفاق، **والجواب:** قول المفسرين حق وذلك لأنه كان في معلوم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبر عما سيكون، وعلى هذا تصير هذه الآية معجزة، لأنه إخبار عن غيب سيقع، وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزًا، ويجوز أيضًا أن يراد بالمرض الشك لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب.

السؤال السابع: هب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا مقصودين من إنزال هذا المتشابه، فكيف صح أن يكون قول الكافرين والمنافقين مقصودًا؟ **الجواب:** أما على أصلنا فلا إشكال لأنه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وسيأتي مزيد تقرير لهذا في الآية الآتية، وأما عند المعتزلة فإن هذه الحالة لما وقعت أشبهت الغرض في كونه واقعًا، فأدخل عليه حرف اللام وهو كقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

السؤال الثامن: لم سموه مثلاً؟ **الجواب:** أنه لما كان هذا العدد عددًا عجيبًا ظن القوم أنه ربما لم يكن مراد الله منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلاً لشيء آخر وتنبيهًا على مقصود آخر، لا جرم سموه مثلاً.

السؤال التاسع: القوم كانوا ينكرون كون القرآن من عند الله، فكيف قالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ **الجواب:** أما الذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون فكانوا في الظاهر معترفين بأن القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان، وأما الكفار فقالوه على سبيل التهكم أو على سبيل الاستدلال بأن القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ وجه الاستدلال بالآية للأصحاب ظاهر لأنه تعالى ذكر في أول الآية قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم ذكر في آخر الآية: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أما المعتزلة فقد ذكروا الوجوه المشهورة التي لهم: أحدها: أن المراد من الإضلال منع الألطاف وثانيها: أنه لما اهتدى قوم باختيارهم عند نزول هذه الآيات وضل قوم باختيارهم عند نزولها أشبه ذلك أن المؤثر في ذلك الاهتداء وذلك الإضلال هو هذه الآيات، وهو كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وكقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥] وثالثها: أن المراد من قوله: ﴿يُضِلُّ﴾ ومن قوله: ﴿يَهْدِي﴾ حكم الله بكونه ضالاً وبكونه مهتديًا، ورابعها: أنه تعالى يضلهم يوم القيامة عن دار الثواب، وهذه الكلمات مع أجوبتها تقدمت في سورة البقرة في قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فيه وجوه: أحدها: وهو الأولى أن القوم استقبلوا ذلك العدد، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فهب أن هؤلاء تسعة عشر إلا أن لكل

واحد منهم من الأعوان والجنود مالا يعلم عددهم إلا الله، وثانيها: وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله يعلمها، وثالثها: أنه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب الكفار والفساق إلى هؤلاء الخزنة، فإنه هو الذي يعذبهم في الحقيقة، وهو الذي يخلق الآلام فيهم، ولو أنه تعالى قلب شعرة في عين ابن آدم أو سلط الألم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة، فلا يلزم من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب، فجنود الله غير متناهية لأن مقدوراته غير متناهية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير في قوله: ﴿وَمَا هِىَ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه قولان: الأول: أنه عائد إلى سقر، والمعنى وما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر، والثاني: أنه عائد إلى هذه الآيات المشتملة على هذه المتشابهات، وهي ذكرى لجميع العالمين، وإن كان المنتفع بها ليس إلا أهل الإيمان.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣﴾

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ وفيه وجوه: أحدها: أنه إنكار بعد أن جعلها ذكرى، أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون، وثانيها: أنه ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرًا، وثالثها: أنه ردع لقول أبي جهل وأصحابه: إنهم يقدرون على مقاومة خزنة النار، ورابعها: أنه ردع لهم عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ وفيه قولان:

الأول: قال الفراء والزجاج: دَبَر وأَدْبر بمعنى واحد كقَبَل وأَقْبل ويدل على هذا قراءة من قرأ (إذا دَبَر)، وروى أن مجاهدًا سأل ابن عباس عن قوله: (دَبَر) فسكت حتى إذا أدبر الليل قال: يا مجاهد هذا حين دبر الليل، وروى أبو الضحى أن ابن عباس كان يعيب هذه القراءة ويقول: إنما يدبر ظهر البعير، قال الواحدي: والقراءتان عند أهل اللغة سواء على ما ذكرنا، وأنشد أبو علي:

وَأَبِى الَّذِي تَرَكَ الْمُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ   بِصِهَابِ هَامِدَةٍ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

القول الثاني: قال أبو عبيدة وابن قتيبة: دَبَر أي جاء بعد النهار، يقال: دَبَرني أي جاء خلفي ودَبَر الليل أي جاء بعد النهار، قال قطرب: فعلى هذا معنى إذا دَبَر إذا أقبل بعد مضي النهار.

قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾

قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي أضاء، وفي الحديث: «أَسْفِرُوا بِالْفَجْرِ» ومنه قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] أي مضيئة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: هذا الكلام هو جواب القسم أو تعليل لكلام والقسم معترض للتوكيد.

المسألة الثانية: قال الواحدي: ألف إحدى مقطوع ولا تذهب في الوصل. وروي عن ابن كثير أنه قرأ إنها: (لَحْدَى الكُبَر) بحذف الهمزة كما يقال: ويلمه، وليس هذا الحذف بقياس والقياس التخفيف وهو أن يجعل بين بين.

المسألة الثالثة: قال صاحب (الكشاف): الكُبَر جمع الكُبْرى جعلت ألف التأنيث كتاء التأنيث فكما جمعت فُعْلة على فُعَل جمعت فُعْلى عليها ونظير ذلك السوافي جمع السافياء وهو التراب الذي سفته الريح، والقواصع في جمع القاصعاء كأنهما جمع فاعلة.

المسألة الرابعة: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ يعني أن سقر التي جرى ذكرها لإحدى الكبر والمراد من الكبر دركات جهنم، وهي سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم والهاوية، أعاذنا الله منها.

قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ نذيرًا تمييز من إحدى على معنى أنها لإحدى الدواهي إنذارًا كما تقول هي إحدى النساء عفافًا، وقيل: هو حال، وفي قراءة أبي (نَذِيرٌ) بالرفع خبر أو بحذف المبتدأ.

ثم قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ **: وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: في تفسير الآية وجهان: الأول: أن ﴿يَتَقَدَّمَ﴾ في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك: لمن توضأ أن يصلي، ومعناه التقدم والتأخر مطلقان لمن شاءهما منكم، والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه، وهو في معنى قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] الثاني: لمن شاء بدل من قوله للبشر، والتقدير: إنها نذير لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر، نظيره ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

المسألة الثانية: المعتزلة احتجوا بهذه الآية على كون العبد متمكنًا من الفعل غير مجبور عليه وجوابه: أن هذه الآية دلت على أن فعل العبد معلق على مشيئته، لكن مشيئة العبد معلقة على مشيئة الله تعالى لقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وحينئذ تصير هذه الآية حجة لنا عليهم، وذكر الأصحاب عن وجه الاستدلال بهذه الآية جوابين آخرين الأول: أن معنى إضافة المشيئة إلى المخاطبين التهديد، كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] الثاني: أن هذه المشيئة لله تعالى على معنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

قال صاحب (الكشاف): رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]

لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصيغة لقيل: رهين، لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، ومنه بيت الحماسة:

أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَاكِبٍ رَهِينَةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

كأنه قال: رهن رمس، والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين، فإنهم فكوا عنه رقاب أنفسهم بسبب أعمالهم الحسنة، كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق، ثم ذكروا وجوهًا في أن أصحاب اليمين من هم؟ أحدها: قال ابن عباس: هم المؤمنون، وثانيها: قال الكلبي: هم الذين قال (فِيهِمُ) الله تعالى: «هَؤُلاَءِ فِي الْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي» وهم الذين كانوا على يمين آدم، وثالثها: قال مقاتل: هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار، ورابعها: قال علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عمر: هم أطفال المسلمين، قال الفراء: وهو أشبه بالصواب لوجهين: الأول: لأن الولدان لم يكتسبوا إثمًا يرتهنون به، والثاني: أنه تعالى ذكر في وصفهم، فقال: ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ وهذا إنما يليق بالولدان، لأنهم لم يعرفوا الذنوب، فسألوا ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ وخامسها: عن ابن عباس: هم الملائكة.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي هم في جنات لا يكتنه وصفها.

ثم قال تعالى: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وفيه وجهان الأول: أن تكون كلمة عن صلة زائدة، والتقدير: يتساءلون المجرمين فيقولون لهم: ما سلككم في سقر؟ فإنه يقال سألته كذا، ويقال: سألته عن كذا، الثاني: أن يكون المعنى أن أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضًا عن أحوال المجرمين، فإن قيل: فعلى هذا الوجه كان يجب أن يقولوا: ما سلكهم في سقر؟ قلنا: أجاب صاحب (الكشاف) عنه فقال: المراد من هذا أن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين، فيقولون قلنا لهم: ما سلككم في سقر وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المراد أن أصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين أين هم؟ فلما رأوهم قالوا لهم: ما سلككم فى سقر والإضمارات كثيرة في القرآن.

قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ۝٤٩﴾

المقصود من السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل، والمعنى ما حبسكم في هذه الدركة من النار؟ فأجابوا بأن هذا العذاب لأمور أربعة: أولها: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ وثانيها: لم نك نطعم المسكين، وهذان يجب أن يكونا محمولين على الصلاة الواجبة، والزكاة الواجبة لأن ما ليس

بواجب، لا يجوز أن يعذبوا على تركه، وثالثها: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ والمراد منه الأباطيل ورابعها: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي بيوم القيامة حتى أتانا اليقين، أي الموت قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] والمعنى أنا بقينا على إنكار القيامة إلى وقت الموت، وظاهر اللفظ يدل على أن كل أحد من أولئك الأقوام كان موصوفًا بهذه الخصال الأربعة، واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن الكفار يعذبون بترك فروع الشرائع، والاستقصاء فيه قد ذكرناه في (المحصول من أصول الفقه)، فإن قيل: لم أخر التكذيب، وهو أفحش تلك الخصال الأربعة، قلنا أريد أنهم بعد اتصافهم بتلك الأمور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين، والغرض تعظيم هذا الذنب، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٧].

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ واحتج أصحابنا على ثبوت الشفاعة للفساق بمفهوم هذه الآية، وقالوا: إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي عن الذكر وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ، ومعرضين نصب على الحال كقولهم مالك قائمًا.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ۝٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾

ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بحمر نافرة فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾.

قال ابن عباس: يريد الحمر الوحشية، ومستنفرة أي نافرة. يقال: نفر واستنفر مثل سخر، واستسخر، وعجب واستعجب، وقرئ بالفتح، وهي المنفرة المحمولة على النفار، قال أبو علي الفارسي: الكسر في مستنفرة أولى ألا ترى أنه قال: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ وهذا يدل على أنها هي استنفرت، ويدل على صحة ما قال أبو علي أن محمد بن سلام. قال: سألت أبا سوار الغنوي، وكان أعرابيًّا فصيحًا، فقلت: كأنهم حمر ماذا؟ فقال: مستنفرة طردها قسورة، قلت: إنما هو فرت من قسورة، قال أفرت؟ قلت: نعم، قال فَمُسْتَنْفِرَة إذًا.

ثم قال تعالى: ﴿فَرَّتْ﴾ يعني الحمر ﴿مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾. وذكروا في القسورة وجوهًا: أحدها: أنها الأسد يقال: ليوث قساور، وهي فَعُولة من القسر وهو القهر والغلبة سمي بذلك لأنه يقهر السباع، قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت كذلك هؤلاء المشركين إذا رأوا محمدًا ﷺ هربوا منه، كما يهرب الحمار من الأسد، ثم قال ابن عباس: القسورة، هي الأسد بلسان الحبشة، وخالف عكرمة فقال: الأسد بلسان الحبشة، عنبسة، وثانيها: القسورة، جماعة الرماة الذين يتصيدونها، قال الأزهري: هو اسم جمع للرماة لا واحد له من جنسه، وثالثها: القسورة: ركز الناس وأصواتهم ورابعها: أنها ظلمة الليل. قال صاحب (الكشاف): وفي

تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله، ولا ترى مثل نفار حمير الوحش، وإطرادها في العدو إذا خافت من شيء.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان، ونؤمر فيه باتباعك، ونظيره ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧] وقيل: إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة من النار، وقيل: كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك، وهذا من الصحف المنشرة بمعزل، إلا أن يراد بالصحف المنشرة، الكتابات الظاهرة المكشوفة، وقرأ سعيد بن جبير (صُحُفًا مُنْشَرَةً) بتخفيفهما على أن أَنْشَر الصحف ونَشَّرها واحد، كأَنْزله ونزَّله.

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ وهو ردع لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات.

ثم قال تعالى: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التأمل، فإنه لما حصلت المعجزات الكثيرة، كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت.

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ وهو ردع لهم عن إعراضهم عن التذكرة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني تذكرة بليغة كافية ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي جعله نصب عينه، فإن نفع ذلك راجع إليه، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ وذكَّره للتذكرة في قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩] وإنما ذكرت لأنها في معنى الذكر أو القرآن.

ثم قال تعالى ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. قالت المعتزلة: يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه والجواب: أنه تعالى نفى الذكر مطلقًا، واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة، فيلزم أنه متى حصلت المشيئة أن يحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا أنه لم تحصل المشيئة، وتخصيص المشيئة بالمشيئة القهرية ترك للظاهر، وقرئ ﴿يَذْكُرُونَ﴾ وتذكرون بالياء والتاء مخففًا ومشددًا.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم إذا آمنوا وأطاعوا، والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

سورة المُدَّثِّر

مكِّيَّةٌ في قول الجميع. وهي ستٌّ وخمسون آية[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي: ياذا الذي قد تَدَثَّرَ بثيابه، أي: تغشَّى بها ونام، وأصلهُ: المتدثر، فأُدغمت التاء في الدَّال لتجانُسهما[٢]. وقرأ أُبيّ: «الْمُتدثِّر» على الأصل[٣].

ونزل[٤] معظمُ هذه السورة في الوليد بن المغيرة. وفي صحيح مسلم[٥] عن جابر ابن عبدالله ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يُحدِّث ـ قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فَترة الوحي؛ قال في حديثه: «فبينا[٦] أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي، فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراءٍ جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض». قال رسول الله ﷺ: «فجُئِثْتُ[٧] منه فَرَقاً، فرجعتُ فقلت: زمِّلوني زمِّلوني، فدثِّروني، فأنزلَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٢، وزاد المسير ٨/ ٣٩٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس٥/ ٦٥ ، وتفسير الرازي٣٠/ ١٨٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٩ .

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): وقال، وفي(م): وقال مقاتل، والمثبت من (خ)

(٥) برقم (١٦١): (٢٥٥)، وهو عند البخاري (٤)، (٤٩٥٤) .

(٦) في(م): فبينما.

(٧) أي: ذعرت وخفت. النهاية (جأث).

. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ ـ في روايةٍ: قبل أنْ تُفرض الصلاة[1] ـ وهي الأوثان. قال: «ثم تتابع الوحي». خرجه الترمذيُّ أيضاً وقال: حديث حسن صحيح[2].

قال مسلم: وحدّثنا زهيرُ بن حرب قال: حدَّثنا الوليدُ بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعيُّ قال: سمعتُ يحيى يقول: سألتُ أبا سلمة: أيُّ القرآن أُنزِل قبلُ؟ قال: «ياأيُّها الْمُدَّثِّرُ». فقلتُ: أو«اقرأ». فقال: سألتُ جابرَ بن عبدالله: أيُّ القرآن أُنزِل قبلُ؟ قال: «يا أيُّهَا الْمُدثِّرُ» فقلتُ: أو«اقرأ»؟ فقال جابر: أُحَدِّثكم ما حَدَّثنا رسولُ الله ﷺ، قال: «جاورتُ بِحِراءٍ شهراً، فلما قضيتُ جواري نَزَلْتُ، فاستبطنتُ بطن الوادي، فنوديتُ، فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أَرَ أحداً، ثمَّ نُوديتُ، فنظرتُ، فلم أرَ أحداً، ثمَّ نُوديتُ، فرفعتُ رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء ـ يعني جبريل ﷺ ـ فأخذتني رَجْفة شديدةٌ، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ: دثِّروني، فدثروني، فَصَبُّو عليَّ ماءً، فأنزلَ الله عزَّوجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[3] خرَّجه البخاريُّ، وقال فيه: «فأتيتُ خديجةَ فقلتُ: دثِّروني، وَصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فدثَّروني وصَبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[4].

ابن العربيّ: وقد قال بعض المفسرين: إنَّه جرى على النبيّ ﷺ من عُقْبة [بن ربيعة] أمرٌ، فرجعَ إلى منزله مغموماً، فقَلِق واضطجع، فنزلت: «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ». وهذا باطل[5].

---

(١) هي في صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٦)، وصحيح البخاري(٤٩٢٥)، ومسند أحمد (١٥٠٣٥).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٢٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٧)

(٤) صحيح البخاري(٤٩٢٢)، وهو عند أحمد (١٤٢٨٧) .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي٤/ ١٨٧٣ . وما سلف بين حاصرتين منه.

وقال القشيريُّ أبو نصر: وقيل: بلغَه قولُ كفار مكَّة: أنت ساحر. فوجَدَ من ذلك غمًّا وحُمَّ، فتدثَّر بثيابه، فقال الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: لاتفكَّر في قولهم، وبلِّغهم الرسالة.

وقيل: اجتمع أبو لهب، وأبو سفيان، والوليدُ بن المغيرة، والنَّضْر بن الحارث، وأميَّةُ بن خَلَف، والعاص بنُ وائل، ومُطعِم بن عديّ، وقالوا: قد اجتمعت وفودُ العرب في أيَّام الحجّ، وهم يتساءلون عن أمر محمد، وقد اختلفتُم في الإخبار عنه، فمِنْ قائلٍ يقول: مجنون، وآخرَ يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر[١]، وتَعلمُ العرب أنَّ هذا كلَّه لايجتمعُ في رجلٍ واحد، فسمُّوا محمداً باسمٍ واحدٍ تجتمعون[٢] عليه، وتُسمِّيه العربُ به، فقام منهم رجلٌ فقال: شاعر، فقال الوليد: سمعتُ كلامَ ابن الأبرص، وأميةَ بن أبي الصَّلْت، وما يشبهُ كلامُ محمدٍ كلامَ واحدٍ منهما، فقالوا: كاهن. فقال: الكاهنُ يَصدُق ويكذب، وما كَذَب محمدٌ قطّ. فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: الجنون[٣] يَخنُق الناسَ، وما خُنِقَ محمدٌ قطّ. وانصرفَ الوليدُ إلى بيته، فقالوا: صبأ الوليدُ بن المغيرة، فدخلَ عليه أبو جهل وقال: مالكَ يا أبا عبد شمس! هذه قريشٌ تجمعُ لك شيئاً يعطونكَه، زعموا أنَّك قد احتجتَ وصبأت. فقال الوليد: مالي إلى ذلك حاجةٌ، ولكني فكَّرتُ في محمد، فقلت: ما يكون من الساحر؟ فقيل: يفرِّقُ بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلتُ: إنَّه ساحر. فشاعَ هذا في الناس وصاحوا يقولون: إنَّ محمداً ساحرٌ. ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته محزوناً، فتدثَّر بقطيفة، ونزلت: «يا أَيُّهَا الْمُدثِّرُ»[٤].

وقال عِكرمة: معنى «يَأَيُّهَا الْمُدثِّرُ» أي: المدَّثِّر بالنبوة وأثقالها[٥]. ابن

(١) بعدها في (ظ): وآخر يقول ساحر.

(٢) في النسخ عدا (خ): يجتمعون.

(٣) في (م): المجنون.

(٤) ذكر هذه الرواية بنحوها الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٩١.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٥، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٠٤.

العربيّ[١]: وهذا مجازٌ بعيد؛ لأنَّه لم يكن تَنَبَّأ بعد، على[٢] أنها أوّل القرآن، [و] لم يكن تمكَّن منها بعد إنْ كانت ثاني مانزل.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: ملاطفةٌ في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذْ ناداه بحاله، وعبَّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللِّين والملاطفةَ من ربِّه كما تقدَّم في سورة المزمل[٣]. ومثلُه قولُ النبيِّ ﷺ لعليٍّ إذْ نام في المسجد: ـ «قم أبا تراب» ـ وكان خرجَ مغاضِباً لفاطمة رضي الله عنها، فسقطَ رداؤه، وأصابه ترابه؛ خرَّجه مسلم[٤]. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفةَ ليلة الخندق: ـ «قُمْ يانَوْمان» ـ وقد تقدَّم[٥].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: خوِّف أهلَ مكَّة، وحذِّرهم العذابَ إنْ لم يُسلِموا. وقيل: الإنذارُ هنا إعلامُهم بنبوَّته؛ لأنَّه مقدمةُ الرسالة. وقيل: هو دعاؤُهم إلى التوحيد؛ لأنَّه المقصود بها[٦].

وقال الفرَّاء[٧]: قم فصلِّ، وأْمُرْ بالصلاة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: سيِّدَكَ ومالكَكَ ومصلحَ أمرِك فعظِّم، وَصِفْهُ بأنَّه أكبرُ من أنْ يكونَ له صاحبةٌ أو ولد.

وفي حديث أنَّهم قالوا: بِم تُفتتح الصَّلاة؟ فنزلت: «وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ»[٨]. أي: صِفْهُ بأنَّه أكبر.

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٣ .

(٢) في النسخ: وعلى. والمثبت من أحكام القرآن، وما سيأتي بين حاصرتين منه .

(٣) ص٣١٦ من هذا الجزء.

(٤) برقم(٢٤٠٩)، وأخرجه أيضاً البخاري(٤٤١). وسلف ص٣١٦ من هذا الجزء .

(٥) ١٧/ ٨٢ و ص٣١٦ من هذا الجزء. والكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٣ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٣٥ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٢٠٠ .

(٨) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز٥/ ٣٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨١ عن أبي هريرة ﷺ، ونسبه لابن مردويه، ولم نقف على إسناده.

قال ابن العربيّ: وهذا القولُ وإنْ كان يقتضي بعمومه تكبيرَ الصلاة، فإنَّه مرادٌ فيه تكبير التقديس[١] والتنزيه؛ بخلع[٢] الأنداد والأصنام دونه، ولاتتخذ وليًّا غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلَّا له، ولانعمةً إلَّا منه.

وقد روي أنَّ أبا سفيان قال يومَ أُحُد: أُعْلُ هُبَل؛ فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا: اللهُ أعلى وأجلّ»[٣]. وقد صار هذا اللفظُ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلِّها أذاناً وصلاةً وذكراً بقوله: «الله أكبر»، وحُمِل عليه لفظُ النبيِّ ﷺ الواردُ على الإطلاق في مواردها[٤]، منها قوله: «تحريمُها التكبير، وتحليلُها التسليم»[٥]، والشرعُ يقتضي بعرفه ما يَقْتضي بعمومه، ومن موارده أوقاتُ الإهلال بالذبائح لله تخليصاً له من الشِّرك، وإعلاناً[٦] باسمه في النُّسُك، وإفراداً لِمَا شرع[٧] لأمره بالسَّفْك[٨].

قلت: قد تقدَّم في أوّل سورة البقرة[٩] أنَّ هذا اللفظَ: ـ «اللهُ أكبر» ـ هو المتعبَّدُ به في الصلاة، المنقولُ عن النبيِّ ﷺ.

وفي التفسير: أنَّه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قام رسولُ الله ﷺ وقال: «اللهُ أكبر»، فكبَّرت خديجة، وعلمتْ أنَّه الوحي من الله تعالى؛ ذكره القشيريّ[١٠].

---

(١) في (م)، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٤ : التكبير والتقديس، والمثبت من النسخ الخطية وهو موافق لنسخة من أحكام القرآن كما ذُكر في حواشيه.

(٢) في النسخ عدا (ظ): لخلع، والمثبت موافق لأحكام القرآن.

(٣) قطعة من حديث البراء بن عازب ﷺ؛ أخرجه أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٤٠٤٣)، وسلف ٥/ ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٤) في (م): موارد.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٠٦)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥) عن علي بن أبي طالب ﷺ، وسلف ١/ ٢٦٩ .

(٦) في (د): وإعلاماً.

(٧) بعدها في (م) و(ي): منه.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٤ .

(٩) ١/ ٢٦٩ .

(١٠) وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٠ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٩١ .

الخامسة: الفاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ دخلت على معنى جواب الجزاء، كما دخلت في «فَأَنْذِرْ» أي: قم فأنذر، وقم فكبِّر ربَّك؛ قاله الزَّجَّاج[١]. وقال ابن جني: هو كقولك زيداً فاضربْ، أي: زيداً اضربْ، فالفاء زائدة[٢].

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: أنَّ المرادَ بالثياب العمل. الثاني: القلب. الثالث: النفس. الرابع: الجسم. الخامس: الأهل. السادس: الخُلُق. السابع: الدين. الثامن: الثيابُ الملبوسات على الظاهر.

فمن ذهب إلى القول الأوّل قال: تأويل الآية: وعملَك فأصلح؛ قاله مجاهد وابن زيد[٣].

وروى منصورٌ عن أبي رَزِين قال: يقول: وعملَك فأصلح؛ قال: وإذا كان الرجلُ خبيثَ العمل؛ قالوا: إنَّ فلاناً خبيثُ الثياب، وإذا كان حسنَ العمل؛ قالوا: إنَّ فلاناً طاهرُ الثياب[٤]؛ ونحوه عن السُّديّ[٥].

ومنه قول الشاعر:

لا هُـمَّ إنَّ عـامـرَ بـن جَـهْـمِ   أَوْذَمَ حَـجًّـاً فـي ثِـيـابٍ دُسْـمِ[٦]

ومنه ما رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يُحشَرُ المرءُ في ثوبيه اللَّذين ماتَ فيهما[٧]».

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٤٥.

(٢) ينظر سرُّ صناعة الإعراب لابن جني ١/ ٢٦٠.

(٣) أخرج قول مجاهد الطبري ٢٣/ ٦٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٩.

(٥) ذكره الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٤١٣، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٨٠.

(٦) ذكره ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ١/ ٤٨١ وابن منظور في اللسان (دسم) دون نسبة، وقال: يعني أنه حجَّ، وهو متدنّسٌ بالذنوب، وأوذم الحج: أوجبه، وتدسيم الشيء: جعل الدسم عليه، وثياب دُسْمٌ: وسخة.

(٧) في (م): عليهما.

يعني عمله الصالح والطالح؛ ذكره الماورديّ[١]. ومن ذهب إلى القول الثاني قال: إنَّ تأويلَ الآية: وقلبَكَ فطهِّر؛ قاله ابنُ عباس وسعيد بن جُبير[٢]؛ دليله قول امرئ القيس:

فَسُلِّي ثيابي من ثيابك تَنْسُلِ[٣]

أي قلبي من قلبك. قال الماوردي[٤]: ولهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما: معناه: وقلبَك فطهِّر مِن الإثم والمعاصي؛ قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: وقلبَك فطهِّر من الغدر، أي: لا تغدر فتكونَ دنس الثياب. وهذا مرويٌّ عن ابن عباس، واستشهدَ بقول غيلانَ بن سلمة الثقفيّ:

فإني بحمد الله لا ثوبَ فاجرٍ لبِستُ ولا من غَدْرَةٍ أتقنَّعُ[٥]

ومن ذهب إلى القول الثالث قال: تأويل الآية: ونفسَك فطهِّر، أي: من الذنوب. والعربُ تكني عن النفس بالثياب؛ قاله ابن عباس[٦]. ومنه قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمح الطَّويلِ ثيابَهُ ليس الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ[٧]

وقال امرؤ القيس:

فَسُلِّي ثيابِي من ثيابِك تَنْسُلِ[٨]

وقال:

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٣٦، وأخرج نحوه أبو داود (٣١١٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٦) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

(٢) قول ابن عباس في النكت والعيون ٦/ ١٣٦، وقول سعيد بن جبير في زاد المسير ٨/ ٤٠١.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٣، وسلف ٣/ ٣٨٦

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٣٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٠٥، والبيت نسبه صاحب الأغاني ١٦/ ٢٣٥-٢٣٦ لبرذع بن عديّ في قصيدة له. وسلف١/ ٤٤.

(٦) أخرجه الطبري٢٣/ ٤٠٦ بنحوه.

(٧) ديوان عنترة ص٢٦، وفيه: الأصم. بدل: الطويل.

(٨) من قوله: وقال امرؤ القيس إلى قوله: تنسل. ساقط من (ظ). وسلف قريباً.

ثِيابُ بَني عوفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ وأَوْجُهُهُمْ عند المشاهد[1] غُرَّانُ[2]

أي: أنفس بني عوف.

ومن ذهب إلى القول الرابع قال: تأويلُ الآية: وجسمَك فطهِّر؛ أي: عن المعاصي الظَّاهرة. وممَّا جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قولُ ليلى وذَكَرت إبلًا:

رموها بأَثْوابٍ خِفافٍ فلا تَرَى لها شَبَهًا إلَّا النَّعامَ المنُفَّرا

أي: ركبوها فرمَوها بأنفسهم[3]

ومن ذهب إلى القول الخامس قال: تأويلُ الآية: وأهلكَ فطهِّرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب؛ والعربُ تُسمِّي الأهلَ ثوباً ولباساً وإزاراً، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧].

الماورديُّ[4]: ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناهُ: ونساءك فطهِّر، باختيار المؤمنات العفائف.

الثاني: الاستمتاعُ بهنَّ في القُبُل دون الدُّبر، في الطهر لا في الحيض. حكاه[5] ابن بحر.

ومن ذهب إلى القول السادس قال: تأويل الآية: وخُلُقَك فحسِّن. قاله الحسنُ والقُرَظيّ[6]؛ لأنَّ خُلُق الإنسان مشتملٌ على أحواله، اشتمالَ ثيابه على نفسه. وقال الشاعر:

---

(١) في (م): بيض المسافر.

(٢) ديون امرئ القيس ص٨٣ ، وسلف الشطر الأول منه ١٥/ ٣٤٢ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص١٠٧ ، ولفظ البيت فيه : رموها بأثواب. بدل: رموها بأثياب.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٣٧ .

(٥) في النكت والعيون: حكاهما .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٣

وَيَحْيَى لا يُلامُ بسوءِ خُلْقٍ ... وَيَحْيى طَاهِرُ الأثوابِ حُرُّ

أي: حسن الأخلاق.

ومن ذهب إلى القول السابع قال: تأويلُ الآية: ودينَك فطهِّر.

وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام قال: «ورأيتُ الناس وعليهم ثياب، منها مايبلغ الثُّدِيّ، ومنها ما دون ذلك، ورأيتُ عمر بن الخطاب وعليه إزار يجرُّه». قالوا: يا رسول الله، فما أوّلتَ ذلك؟ قال: «الدِّين»[(١)].

وروى ابنُ وهبٍ عن مالك أنَّه قال: ما يعجبني أنْ أقرأ القرآن إلَّا في الصلاة والمساجد لا في الطريق، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، يريد مالك أنَّه كَنَى عن الدين بالثياب[(٢)]. وقد رَوى عبدُ الله بن نافع عن أبي بكر بنِ عبد العزيز بنِ عبد الله بن عمرَ بن الخطاب، عن مالك بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لا تَلْبسها على غَدْرة، ومنه قول أبي كَبشة[(٣)]:

ثِيابُ بني عَوْفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ ... وَأوْجُهُهُمْ عندَ الْمَشاهد[(٤)] غُرَّانُ

يعني بطهارة ثيابهم: سلامَتَهم من الدناءات، ويعني بغرة وجوههم: تنزيهَهم عن المحرَّمات، أو جمالهم في الخِلْقة، أو كليهما؛ قاله ابن العربي[(٥)].

وقال سفيانُ بن عيينة: لا تلبس ثيابَك على كذبٍ ولا جَوْرٍ، ولا غَدْرٍ، ولا إثمٍ[(٦)]، وقاله عِكرمة[(٧)]. ومنه قولُ الشاعر:

---

(١) صحيح البخاري (٢٣)، وصحيح مسلم (٢٣٩٠)، ومسند أحمد (١١٨١٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) في النسخ: عن الثياب بالدين، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي٤/ ١٨٧٥ . والكلام منه.

(٣) سلف البيت منسوباً لامرئ القيس قريباً. ونسبه المصنف هنا لأبي كبشة تبعاً لابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥ .

(٤) في (م) بيضُ المسافر، وفي أحكام القرآن: عند المشاعر. والمثبت من النسخ الخطية.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٥ .

(٧) أخرجه بنحوه الطبريُّ ٢٣/ ٤٠٥-٤٠٦ .

أَوْذَمَ حَجّاً في ثيابٍ دُسْمِ[١]

أي: قد دنَّسها بالمعاصي.

وقال النابغة:

رِقَاقُ النِّعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسِبِ[٢]

ومن ذهب إلى القول الثامن قال: إنَّ المرادَ بها الثيابُ الملبوسات، فلهم في تأويله أربعة أوجه:

أحدهما: معناه: وثيابَك فأنْقِ؛ ومنه قول امرئ القيس:

ثيابُ بني عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ[٣]

الثاني: وثيابَك فشمِّرْ وقصِّرْ، فإنَّ تقصيرَ الثياب أبعدُ من النجاسة، فإذا انجرَّت على الأرض لم يُؤمَن أنْ يصيبَها ما يُنجِّسها؛ قاله الزَّجَّاج وطاوس[٤].

الثالث: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» من النجاسة بالماء؛ قاله محمدُ بن سيرين وابن زيد والفقهاء.

الرابع: لا تلبس ثيابك إلَّا من كسبٍ حلال لتكون مطهرةً من الحرام[٥]. وعن ابن عباس: لا تكن ثيابك التي تَلبس من مكسبٍ غير طاهر.

ابنُ العربي[٦] ـ وذكر بعض ما ذكرناه ـ: ليس بممتنعٍ أنْ تُحمَل الآيةُ على عموم

---

(١) سلف ص٣٥٩ من هذا الجزء.

(٢) ديوان النابغة ص١٢، قال البغدادي في الخزانة ٩/ ٤٩٠: أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم، إنما يخصفها من يمشي، والحُجْزة: الوسط. أراد أنهم يشدون أُزُرَهُم على عفَّة، والسباسب: يوم الشعانين. اهـ. وقال ابن الأثير في النهاية (نعل): العرب تمدح برقة النِّعال، وتجعلها من لباس الملوك.

(٣) ديون امرئ القيس ص٨٣، وسلف قريباً.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٥، وقول طاوس في النكت والعيون ٦/ ١٣٧.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٧.

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥.

المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة(١)؛ فهي تتناولُ معنيين:

أحدُهما: تقصيرُ الأذيال؛ فإنَّها(٢) إذا أُرسلت تدنَّست، ولهذا قال عمرُ بن الخطاب ﷺ لغلامٍ من الأنصار ـ وقد رأى ذيلَه مُسترخياً ـ: ارفعْ إزارك، فإنَّه أتقى وأنقى وأبقى(٣).

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصاف ساقيه، لا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفلَ من ذلك ففي النَّار»(٤). فقد جعل النبيُّ ﷺ الغايةَ في لباس الإزار الكعبَ، وتوعَّد ما تحتَه بالنَّار، فما بال رجالٍ يُرسلون أذيالهم، ويُطيلون ثيابَهم، ثمَّ يتكلَّفون رفعها بأيديهم، وهذه حالةُ الكِبْر، وقائدةُ العُجْب، [وأشدُّ ما في الأمر أنَّهم يَعصُون ويحتجُّون، ويُلْحِقون أنفسَهم] بمن لم يجعل الله معه غيره، ولا أَلحق به سواه. قال النبيُّ ﷺ: «لا يَنْظر اللهُ إلى من جرَّ ثوبه خُيَلاء»(٥)، ولفظُ الصحيح: «من جرَّ إزارَه خُيَلاءَ، لم ينظر اللهُ إليه يومَ القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله! إنَّ أحدَ شِقَّيْ إزاري يسترخي إلَّا أنْ أتعاهدَ ذلك منه؟ قال رسول الله ﷺ: «لستَ ممن يصنعُه خُيَلاءَ»(٦). فعمَّ رسول الله ﷺ بالنهي. واستثنى الصدِّيق، فأرادَ الأدنياءُ إلحاق أنفسهم بالرفعاء(٧)، و ليس ذلك لهم.

والمعنى الثاني: غسلُها من النجاسة، وهو ظاهرٌ منها، صحيحٌ فيها(٨).

---

(١) في (د) و(م) و(ي): الطاهرة.

(٢) في (د) و(م): لأنها.

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٣٨٧-٣٨٨ .

(٤) أخرجه أحمد (١١٠١٠)، (١١٠٢٨)، وأبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٩٦٣٢)، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، وهو عند أحمد (٥٣٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) في أحكام القرآن لابن العربي: بالأقصياء.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٥-١٨٧٦ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

المهدويُّ: وبه استدلَّ بعضُ العلماء على وجوب طهارة الثوب. قال ابنُ سيرين وابن زيد: لا تصلِّ إلَّا في ثوبٍ طاهر[١]. واحتجَّ بها الشافعيُّ على وجوب طهارة الثوب. وليست عند مالكٍ وأهلِ المدينة بفرض، وكذلك طهارةُ البدن، ويدلُّ على ذلك الإجماع على جوازِ الصلاة بالاستجمار من غير غسل. وقد مضى هذا القول في سورة براءة مستوفىً[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قال مجاهدٌ وعكرمة: يعني الأوثان؛ دليلُه قولُهُ تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقاله ابنُ عباس وابنُ زيد. وعن ابن عباس أيضاً: والمأثم فاهجر، أي: فاترك. وكذا رَوى مُغيرةُ عن إبراهيم النَّخَعيِّ قال: الرُّجز: الإثم. وقال قتادة: الرُّجز: إسافٌ ونائلة، صنمان كانا عند البيت[٣]. وقيل: الرُّجزُ: العذاب، على تقدير حذف المضاف؛ المعنى: وعَمَلَ الرجز فاهجر، أو العمل المؤدِّي إلى العذاب، وأصلُ الرِّجز العذاب، قال الله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ١٦٢] فسُمِّيت الأوثانُ رِجزاً؛ لأنَّها تؤدِّي إلى العذاب[٤].

وقراءةُ العامة: «الرِّجْزَ» بكسر الراء. وقرأ الحسنُ، وعكرمةُ، ومجاهد، وابن محيصن، وحفص عن عاصم: «والرُّجْزَ» بضمِّ الراء[٥].

---

(١) أخرج قولهما بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٠٩ .

(٢) ١٠/ ٣٨٢-٣٨٣ .

(٣) أخرج الأقوال السابقة الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢ ، عدا قول ابن عباس الثاني فذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٣ .

(٤) الكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن ص٣٦١ ، والكشاف ٤/ ١٨١ .

(٥) رواية حفص عن عاصم في السبعة ص٦٥٩ ، والتيسير ص٢١٦ ، وهي عن الحسن ومجاهد وابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩ ، وزاد المسير ٨/ ٤٠١ .

وهما لغتان مثل الذِّكر والذُّكر. وقال أبو العالية والربيع والكسائيّ: الرُّجز بالضم: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية[١]. وقال الكسائيُّ أيضاً: بالضمِّ: الوثن، وبالكسر: العذاب[٢]. وقال السّديّ: الرَّجْز بنصب الراء: الوعيد[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فيه أحد عشر تأويلاً[٤]؛

الأوّل: لا تمنن على ربِّك بما تتحمَّلُه من أثقال النبوَّة، كالذي يستكثرُ ما يتحمَّله بسبب الغير.

الثاني: لا تعطِ عطيةً تلتمسُ بها أفضلَ منها؛ قاله ابنُ عباس وعِكرمة وقتادة. قال الضَّحَّاك: هذا حرَّمه الله على رسول الله ﷺ؛ لأنَّه مأمورٌ بأشرف الآداب، وأجلِّ الأخلاق، وأباحَه لأمَّته؛ وقاله مجاهد[٥].

الثالثُ؛ عن مجاهدٍ أيضاً: لا تَضْعُفْ أنْ تستكثرَ من الخير؛ من قولك: حبلٌ منين إذا كان ضعيفاً؛ ودليلُه قراءة ابن مسعود: «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرِ مِنَ الْخَيْرِ»[٦].

الرابع: عن مجاهد أيضاً والربيع: لا يعظم[٧] عملك في عينك أنْ تستَكثرَ من الخير، فإنَّه ممَّا أنعمَ الله عليك[٨]. قال ابنُ كَيْسان: لا تستكثر عملَك فتراه من

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٣ عن أبي العالية والربيع.

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ١٠٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣٧ .

(٤) في النسخ الخطية: عشر تأويلات، والمثبت من (م).

(٥) النكت والعيون ٧/ ١٣٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٦٧ ، وينظر الكشاف ٤/ ١٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ٤٠٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤ ، ولفظ قراءة ابن مسعود فيه: ولا تمنن أن تستكثر من الخير. وسيذكرها المصنف عنه بلفظ: ولا تمنن أن تستكثر.

(٧) في (د) و(ظ) و(م): لا تعظم.

(٨) أخرجه الطبري عن الربيع ٢٣/ ٤١٥-٤١٦ .

نفسك، إنَّما عملُك مِنَّةٌ من الله عليك؛ إذْ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته.

الخامس: قال الحسن: لا تمننْ على الله بعملك؛ فتستكثره[١].

السادس: لا تمنن بالنبوَّةِ والقرآن على الناس؛ فتأخذَ منهم أجراً تستكثرُ به.

السابع: قال القُرَظيّ: لا تعطِ مالَك مصانعةً.

الثامن[٢]: قال زيدُ بن أسلم: إذا أعطيتَ عطيةً فأعطها لربِّك.

التاسع: لا تقلْ: دعوت فلم يُستَجب لي.

العاشر: لا تعملْ طاعةً وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكونَ الله هو الذي يثيبُك عليها.

الحادي عشر: لا تفعلْ الخيرَ لترائي به النَّاس[٣].

الثانية: هذه الأقوالُ وإنْ كانت مرادةً فأظهرُها قولُ ابن عباس: لا تعطِ لتأخذَ أكثرَ ممَّا أُعطيتَ من المال؛ يقال: مننتُ فلاناً كذا، أي: أعطيتُه. ويقال للعطية المِنّة؛ فكأنَّه أمر بأنْ تكون عطاياه لله، لا لارتقاب ثوابٍ من الخلق عليها؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام ما كان يجمع الدنيا؛ ولهذا قال: «مالي ممَّا أفاءَ الله عليكم إلَّا الخُمس، والخُمس مردودٌ عليكم»[٤]. وكان ما يَفْضُل من نفقة عياله مصروفاً إلى مصالح المسلمين؛ ولهذا لم يورث؛ لأنَّه كان لا يملكُ لنفسه الادِّخار والاقتناء، وقد عصمَه اللهُ تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا؛ ولهذا[٥] حرمت عليه الصدقةُ، وأُبيحت له الهديَّة، فكان يقبلُها، ويثيبُ عليها. وقال: «لو دعيت إلى كُرَاع[٦]

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤١٥ .

(٢) لفظة: الثامن. من (م) .

(٣) القول الأخير في النكت والعيون ٦/ ١٣٨ .

(٤) أخرجه أحمد (٦٧٢٩) مطولاً، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وسلف ٩/ ٤٤٤ .

(٥) في (م): ولذلك.

(٦) في (ظ) و(ي): ذراع.

لأجبت، ولو أُهدي إليَّ كُراع[١] لقبلت»[٢].

ابن العربيّ: وكانَ يَقبلُها سُنةً ولا يستكثرها شِرعة، وإذا كان لا يُعطي عطيةً يستكثر بها، فالأغنياءُ أولى بالاجتناب؛ لأنَّها بابٌ من أبواب المذلَّة، وذلك[٣] قول من قال: إنَّ معناه[٤]: لا تعطِ[٥] عطيةً تنتظرُ ثوابَها، فإنَّ الانتظار تعلُّق بالأطماع، وذلك في حيِّزه بحكم الامتناع، وقد قال الله تعالى[٦]: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] وذلك جائزٌ لسائر الخلق؛ لأنَّه من متاع الدنيا، وطلب الكسب [فيها]، والتكاثر بها. وأمَّا من قال: أراد به العمل، أي: لا تمننْ بعملك على الله فتستكثرَه؛ فهو صحيح؛ فإنَّ ابنَ آدم لو أطاعَ الله عمرَه من غير فتور، لَمَا بلغَ لنعم الله بعضَ الشكر[٧].

الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَمْنُنْ» قراءةُ العامَّة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السَّمَّال العدوي، وأشهب العُقيليّ، والحسن: «وَلَا تَمُنَّ»؛ مدغمةً مفتوحة[٨].

«تَسْتَكْثِرُ»: قراءةُ العامة بالرفع، وهو[٩] في معنى الحال، تقول: جاء زيدٌ يركض، أي: راكضاً، أي: لا تعطِ شيئاً مقدِّراً أنْ تأخذ بدلَه ما هو أكثرُ منه[١٠].

---

(١) في (م): ذراع.

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٨٥)، و(١٠٦٥١)، والبخاري (٥١٧٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) في (م): وكذلك.

(٤) في (د) و(م): معناها. والمثبت من (ز) و(ظ) و(ي) وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي.

(٥) في النسخ: لا تعطي. والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) بعدها في (م): له.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٧ . وما بين حاصرتين منه.

(٨) قراءة أبي السمَّال والحسن في القراءات الشاذة ص١٦٤ . وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٧١-٣٧٢ .

(٩) بعدها في (ظ): صحيح.

(١٠) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧١ .

وقرأ الحسنُ[١] بالجزم على جواب النهي، وهو رديء؛ لأنَّه ليس بجواب. ويجوز أنْ يكونَ بدلاً من «تَمْنُنْ» كأنَّه قال: لا تستكثر. وأنكره أبو حاتم وقال: لأنَّ المنَّ ليس بالاستكثار فيُبْدَل منه. ويَحتملُ أنْ يكونَ سُكِّن تخفيفاً كعَضْد[٢]. أو أنْ يعتبر حال الوقف.

وقرأ الأعمشُ ويحيى: «تَسْتَكْثِرَ» بالنصب[٣]، تَوَهَّمَ لام كي، كأنَّه قال: ولا تَمننْ لتستكثر. وقيل: هو بإضمار «أنْ» كقوله:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى[٤]

ويُؤيِّده قراءةُ ابن مسعود: «ولَا تَمْنُنْ أن تَسْتَكْثِر»[٥]. قال الكسائيّ: فإذا حذف «أنْ» رفع، وكان المعنى واحداً.

وقد يكون المَنُّ بمعنى التعداد على المُنْعَم عليه بالنِّعم، فيرجع إلى القول [الثاني][٦]، ويَعضُده قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقد يكون مراداً في هذه الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: ولسيِّدك ومالكك فاصبرْ على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد: على ما أُوذيت. وقال ابنُ زيد: حُمِّلت أمراً عظيماً؛ محاربةَ العرب والعجم، فاصبر عليه لله[٧]. وقيل: فاصبر تحتَ موارد القضاء لأجل

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٣٣٧.

(٢) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣.

(٤) هو لطَرَفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٢٣، وسلف ٢/ ٢٢٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠١، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والقراءات الشاذة ص١٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، والكشاف ٤/ ١٨١.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، وهو موافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٧.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧.

الله تعالى[1]. وقيل: فاصبر على البلوى؛ لأنَّه يمتحن أولياءه وأصفياءه. وقيل: على أوامره ونواهيه. وقيل: على فراق الأهل والأوطان.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: إذا نُفِخ في الصور. والناقور: فاعول من النقر؛ كأنَّه الذي من شأنه أنْ يُنْقَر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب: الصوت؛ ومنه قول امرئ القيس:

أُخَفِّضُه بالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُه ... وَيَرْفَعُ طَرْفاً غَيْرَ جَافٍ[2] غَضِيضِ[3]

وهم يقولون: نَقَّر باسم الرجل: إذا دَعاه مختصّاً له بدعائه. قال مجاهدٌ وغيره: هو كهيئة البُوق[4]. ويعني به: النفخة الثانية. وقيل: الأولى؛ لأنَّها أوَّلُ الشدَّةِ الهائلة العامَّة. وقد مضى الكلام في هذا مستوفىً في «النمل» و«الأنعام»[5]، وفي كتاب «التذكرة»[6]، والحمد لله.

وعن أبي جَنَاب[7] قال: أمَّنا زُرارةُ بن أوفى، فلما بلغ: «فَإِذَا نُقِرَ في النَّاقُورِ»، خَرَّ ميتاً[8].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤.

(٢) في (م): خافٍ.

(٣) ديوان امرئ القيس ص٧٥. قال شارحه: يقول: لما نزلت إليه فركبته أبدى شدَّة الحركة والنشاط، فجعلت أُخفِّضه بالنقر، أي: أسكّنه، والنقر: صوت يسكَّن به الفرس. وقوله: ويرفع طرفاً غير جافٍ غضيض، أي: لا يجفو نظره عن شخص، ولا يغضه عنه.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤١٩.

(٥) عند تفسير الآية ٨٧ من سورة النمل، و٨/ ٤٣٠-٤٣٢.

(٦) ص١٧٧-١٧٨.

(٧) في (د) و(ظ): أبي خباب، وفي (ز) و(ي): أبي حباب، وفي (م): أبي حبان، والصواب ما أثبتناه. وهو أبو جناب القصاب، واسمه عون بن ذكوان، وهو بالكنية أعرف. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٥: وُثِّق، وقال ابن طاهر المقدسي: قال الدارقطني: متروك.

(٨) الثقات لابن حبان ٤/ ٢٦٦، وحلية الأولياء ٢/ ٢٥٨، وتهذيب الكمال ٩/ ٣٤١.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: فذلك اليومُ يومٌ شديد ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: على من كفر بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: غير سهل ولا هيِّن؛ وذلك أنَّ عُقَدَهم لا تَنحلُّ إلَّا إلى عُقدةٍ أشدَّ منها، بخلاف المؤمنين الموحِّدين المذنبين، فإنَّها تنحلُّ إلى ما هو أخفُّ منها حتى يدخلوا الجنَّة برحمة الله تعالى.

و«يَوْمَئِذٍ» نصب على تقدير: فذلك يومٌ عسيرٌ يومئذ. وقيل: بتقدير جر، مجازه[1]: فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أنْ يكون رفعاً، إلَّا أنَّه بُني على الفتح لإضافته إلى غير متمكِّن[2].

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ «ذَرْنِي» أي: دعني؛ وهي كلمةُ وعيدٍ وتهديد. «وَمَنْ خَلَقْتُ» أي: دعني والذي خلقتُه وحيداً[3]؛ فـ«وحيداً» على هذا حالٌ من ضمير المفعول المحذوف، أي: خلقتُه وحدَه، لا مالَ له ولا ولد، ثمَّ أعطيتُه بعد ذلك ما أعطيته.

والمفسرون على أنَّه الوليدُ بن المغيرة المخزوميّ، وإنْ كان الناسُ خُلِقُوا مثلَ خَلْقه، وإنما خُصَّ بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاءِ الرسول عليه الصلاة والسلام[4]، وكان يسمَّى الوحيد في قومه.

قال ابنُ عباس: كان الوليدُ يقول: أنا الوحيدُ بن الوحيد، ليس لي في العرب

---

(١) في (م): وقيل: جُرَّ بتقدير حرف جر، مجازه، وفي (ي): وقيل: جر بتقدير مجازه، وفي (ظ): وقيل بتقدير في مجازه. والمثبت من (د) و(ز).

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٦ .

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج٥/ ٢٤٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ .

نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ» بزعمه «وَحِيداً» لا أنَّ الله تعالى صدَّقه بأنَّه وحيد[١]. وقال قوم: إنَّ قوله تعالى: «وَحِيْداً» يرجعُ إلى الرَّب تعالى على معنيين:

أحدُهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كلِّ منتقم.

والثاني: أنِّي انفردتُ بخلقه ولم يشركني فيه أحدٌ[٢]، فأنا أُهلِكه، ولا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكه؛ فـ «وحِيداً» على هذا حالٌ من ضمير الفاعل، وهو[٣] التاء في «خَلَقْتُ»، والأوَّل قولُ مجاهد[٤]، أي: خلقته وحيداً في بطن أمِّه؛ لا مالَ له ولا ولد، فأنعمتُ عليه فكفر؛ فقوله: «وحِيداً» على هذا يرجع إلى الوليد، أي: لم يكن له شيءٌ فملَّكْتُه.

وقيل: أرادَ بذلك ليدلَّه على أنَّه يُبعَثُ وحيداً كما خُلق وحيداً[٥].

وقيل: الوحيدُ الذي لا يُعرَف أبوه، وكان الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيٌّ؛ كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣]؛ وهو في صفة الوليد أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: خَوَّلتُه وأعطيتُه مالاً ممدوداً، وهو ما كان للوليد بين مكَّة والطائف من الإبل والحُجُور[٦]، والنَّعَم والجِنان، والعبيد والجواري، كذا كان ابنُ عباس يقول[٧]. وقال مجاهد: غلَّة ألف دينار؛ قاله سعيد بنُ

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٩٨ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨١ .

(٣) في النسخ الخطية: وهي.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢١ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ .

(٦) جمع حِجْر؛ وهي الفرس الأنثى، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لايشركها فيه المذكر. اللسان (حجر).

(٧) ذكره بنحوه البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٤ .

جبير وابنُ عباس أيضاً[١]. وقال قتادة: ستة آلاف دينار[٢]. وقال سفيانُ الثوري وقتادة: أربعةُ آلاف دينار[٣]. الثوريُّ أيضاً: ألف ألف دينار. مقاتل: كان له بستانٌ لا ينقطعُ خيره شتاءً ولا صيفاً[٤]. وقال عمر ﷺ: «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً»: غلَّة شهرٍ بشهر. النعمانُ بن سالم: أرضاً يزرع فيها[٥]. القشيري: والأظهرُ أنَّه إشارةٌ إلى مالا ينقطع رزقُه، بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة.

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً لا يغيبون عنه في تصرُّف. قال مجاهد وقتادة: كانوا عشرة[٦]. وقيل: اثنا عشر؛ قاله السديّ[٧] والضَّحاك. قال الضحّاك: سبعةٌ ولدوا بمكَّة، وخمسةٌ ولدوا بالطَّائف[٨]. وقال سعيدُ بن جبير: كانوا ثلاثةَ عشر ولدًا[٩].

مقاتل: كانوا سبعةً كلُّهم رجال، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام والوليد بن الوليد[١٠]. قال: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نُقصانٍ من ماله وولده حتى هلك.

---

(١) أخرجه عن مجاهد وسعيد بن جبير الطبريُّ ٢٣/ ٤٢٢ ، وذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٤ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤ .

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤ .

(٧) زاد المسير ٨/ ٤٠٥ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٤٠ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤ .

(١٠) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤ ، وفيه: عُمارة. بدل: الوليد. وذكر الخبر أيضاً الحافظ ابن حجر في الإصابة في القسم الرابع ٨/ ٢٤ ، في ترجمة عمارة بن الوليد، ثم قال: والصواب: خالدٌ، وهشام، والوليد، فأمَّا عمارة فإنَّه مات كافراً.

وقيل: شهوداً، أي: إذا ذُكر ذُكروا معه؛ قاله ابنُ عباس. وقيل: شهوداً، أي: قد صاروا مِثله في شهود ما كان يَشهده، والقيامِ بما كان يباشره. والأوَّل قولُ السُّدِّيِّ[١]، أي: حاضرين مكَّة لا يظعنون عنه في تجارةٍ ولا يغيبون.

قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ أي: بسطتُ له في العيش بسطاً، حتى أقامَ ببلدته مطمئناً مترفهاً يُرجَع إلى رأيه. والتمهيدُ عند العرب: التوطِئة والتهيئة؛ ومنه مَهْدُ الصبيّ.

وقال ابن عباس: «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً» أي: وسَّعتُ له بين اليمن والشام؛ وقاله مجاهد[٢].

وعن مجاهدٍ أيضاً في«وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً»: أنَّه المالُ بعضُه فوقَ بعض كما يُمهَّد الفراش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ أي: ثم إنَّ الوليدَ يطمعُ بعد هذا كلِّه أنْ أزيده في المال والولد.

﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس يكونُ ذلك مع كفره بالنعم. وقال الحسن وغيره: أي: ثم يطمعُ أنْ أدخِله الجنَّة[٣] وكان الوليدُ يقول: إنْ كان محمدٌ صادقاً، فما خُلِقت الجنَّة إلا لي؛ فقال الله تعالى ردًّا عليه وتكذيباً له: «كَلَّا» أي: لستُ أزيدهُ، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك[٤].

و«ثُمَّ» في قوله تعالى: «ثُمَّ يَطْمَعُ» ليست بثم التي للنَّسق، ولكنَّها تعجيب؛ وهي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وذلك كما تقول: أعطيتُك ثمَّ أنت تجفوني؛ كالمتعجِّب من ذلك[٥]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٠ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٤ عن الكلبي.

(٣) زاد المسير ٨/ ٤٠٥ .

(٤) الكلام بنحوه في الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٢ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٩٩ .

وقيل: يطمعُ أنْ أترك ذلك في عقبه؛ وذلك أنَّه كان يقول: إنَّ محمداً مبتور، أي: أبتر؛ وينقطعُ ذِكره بموته، وكان يظنُّ أنَّ ما رُزِق لا ينقطع بموته. وقيل: أي: ثمَّ يَطمع أنْ أنصرَه على كفره.

و«كَلَّا» قطعٌ للرجاء عما كان يطمعُ فيه من الزيادة؛ فيكونُ متصلاً بالكلام الأوّل.

وقيل: «كَلَّا» بمعنى حقًّا؛ ويكون ابتداءً. ﴿إِنَّهُ﴾ يعني الوليد﴿كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ أي: معانداً للنبيِّ ﷺ وما جاء به ـ يقال: عَاند فهو عنِيد، مثل: جالِس فهو جلِيس ـ قاله مجاهد[1]. وعَنَدَ يَعْنِد بالكسر، أي: خالف وردَّ الحقَّ وهو يعرفه، فهو عنِيد وعانِد. والعانِد: البعير الذي يجورُ عن الطريق، ويَعدِل عن القصد، والجمع عُنَّدٌ، مثل: راكِع ورُكَّع، وأنشد أبو عبيدة قول الحارثيّ[2]:

إذا رَكِبتُ فاجْعَلَاني وَسَطا ... إنِّي كَبيرٌ لاأطيقُ الْعُنَّدَا[3]

وقال أبو صالح: «عَنِيداً» معناه: مُباعداً؛ قال الشاعر:

أَرَانا على حالٍ تُفرِّقُ بَيْنَنَا ... نَوىً غَرْبَةٌ[4] إنَّ الفِراقَ عَنُودُ

قتادة: جاحداً. مقاتل: معرضاً[5]. ابن عباس: جَحوداً[6]. وقيل: إنَّه المُجاهر بعدوانه[7].

وعن مجاهد أيضاً قال: مجانباً للحقِّ، معانداً له معرضاً عنه[8]. والمعنى كلُّه متقارب. والعرب تقول: عَنَد الرجل: إذا عَتا وجاوز قدره. والعَنُود من الإبل: الذي

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦ بنحوه.

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥ ، وفيه: الحادي. بدل: الحارثي.

(٣) الصحاح (عند)، والرجز سلف ١١/ ١٤٧ ، ١٢/ ١١٨ .

(٤) نوىً غربة، أي: بعيدة. الصحاح (غرب).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤١ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦ .

لا يخالطُ الإبل، إنّما هو في ناحية [أبداً] . ورجلٌ عَنُود: إذا كان يَحُلُّ وحده لا يخالط الناس. والعنيد من التّجبُّر. وعِرق عاند: إذا لم يَرقأ دمه، كل هذا قياس واحد. وقد مضى في سورة إبراهيم[١]. وجمع العنيد عُنُد، مثل: رَغِيف ورغُفُ[٢].

قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾ أي: سأكلّفه. وكان ابنُ عباس يقول: سأُلجِئُه؛ والإرهاق في كلام العرب: أنْ يُحمل الإنسانُ على الشيء.

﴿صَعُودًا﴾ «الصَّعُودُ: جبلٌ من نار يتصعَّد فيه [الكافر] سَبْعين خَريفاً، ثمَّ يَهْوي كذلك فيه أبداً». رواه أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ ﷺ، خَرَّجه الترمذيُّ وقال فيه: حديثٌ غريب[٣].

ورَوى عطيةُ عن أبي سعيد قال: صخرةٌ في جهنم إذا وَضعوا عليها أيديهم ذابت، فإذا رفعوها عادت[٤].

قال: فيبلُغ أعلاها في أربعين سنةً؛ يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضْرب من خلفه بمقامع، حتى إذا بَلغ أعلاها، رُمي به إلى أسفلها، فذلك دأبُه أبداً. وقد مضى هذا المعنى في سورة «قُلْ أوحِيَ»[٥]

وفي التفسير: أنّه صخرةٌ ملساء يكلّف صعودَها، فإذا صار في أعلاها حُدِر في جهنم، فيقوم يهوِي ألف عام من قبل أنْ يبلُغ قرار جهنَّم، يحترقُ في كل يومٍ سبعينَ مرَّةً، ثُمَّ يُعاد خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: المعنى: سأكلِّفه مشقّةً من العذاب لا راحةَ له فيه. ونحوه عن

---

(١) ١١٨/١٢ ، وينظر تهذيب اللغة ٢/ ٢٢٢ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) الصحاح (عند).

(٣) سنن الترمذي (٢٥٧٦)، (٣٣٢٦)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (١١٧١٢).

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦-٤٢٧ .

(٥) هو قول الكلبي كما سلف ص٢٩٧ من هذا الجزء، والذي ينزل به هذا العذاب هو المغيرة. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٥ .

الحسن وقتادة(١). وقيل: إنَّه تصاعدُ نفسه للنَّزع وإنْ لم يتعقبه موتٌ؛ ليُعذَّب من داخل جسده كما يعذَّبُ من خارجه(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ يعني الوليدَ؛ فكَّر في شأنِ النبيِّ ﷺ والقرآن، و«قَدَّرَ» أي: هيَّأ الكلام في نفسه، والعربُ تقول: قدَّرتُ الشيءَ: إذا هيأته، وذلك أنَّه لما نزل: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣] سمعَه الوليدُ يقرؤها فقال: والله لقد سمعتُ منه كلاماً ما هو من كلامِ الإنس، ولا من كلام الجنِّ، وإنَّ له لَحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمُثمِر، وإنَّ أسفلَه لمُغدق، وإنَّه لَيعلو ولا يُعْلَى عليه، وما يقولُ هذا بشر. فقالت قريش: صَبأ الوليدُ لَتَصْبَوَنَّ قريشٌ كلُّها. وكان يقال للوليد: ريحانةَ قريش؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكُموه. فانطلق(٣) إليه حزيناً؟ فقال له: مالي أراكَ حزيناً. فقال له: ومالي لا أحزن وهذه قريش يَجمعونَ لك نفقةً، يعينونك بها على كِبَر سنِّك، ويزعُمون أنَّك زَيَّنْتَ كلام محمد، وتدخلُ على ابن أبي كبشة، وابن أبي قُحافة، لتنال من فضل طعامهما؛ فغضب الوليدُ وتكبَّر، وقال: أنا أحتاجُ إلى كِسَر محمدٍ وصاحبه! فأنتم تعرفون قدر مالي، واللَّاتِ والعُزَّى مابي حاجةٌ إلى ذلك، وإنَّما أنتم تزعمون أنَّ محمداً مجنون، فهل رأيتموه قطُّ يُخْنَقُ؟ قالوا: لا واللهِ. قال: فتزعُمون أنَّه كاهنٌ، فهل رأيتموه تكهَّن قطُّ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً وتخالُجاً، فهل رأيتموه كذلك؟ قالوا: لا والله. قال: فتزعمون أنَّه شاعرٌ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟ قالوا: لا. قال: فتزعمون أنَّه

(١) أخرجه عن قتادة الطبريُّ ١٩/ ٤٢٧ ، وذكره عن الحسن الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٤١ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤١ .

(٣) في (م): فمضى.

كذّاب، فهل جرَّبتُم عليهِ كذباً قط؟ قالوا: لا[١] ـ وكان النبيُّ ﷺ يُسَمَّى الصادقَ الأمين من كثرة صدقه ـ فقالت قريشٌ للوليد: فما هو؟ ففكَّر في نفسه، ثم نظر، ثم عبس، فقال: ما هو إلَّا ساحر! أمَا رأيتموه يفرِّقُ بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟! فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي: في أمرِ محمدٍ والقرآن، «وَقَدَّرَ» في نفسه ماذا يمكنُه أنْ يقولَ فيهما. ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لُعِن[٢].

وكان بعضُ أهل التاويل يقول: معناها: فقُهِر وغُلِب، وكلُّ مُذَلَّلٍ مُقتَّل؛ قال الشاعر:

وَمَـا ذَرَفَـتْ عـيـنـاكِ إلَّا لِـتَـقْـدَحِـي بِسَهْمَيْكِ في أَعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[٣]

وقال الزهريّ: عُذِّب؛ وهو من باب الدعاء[٤].

﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قال ناسٌ: «كَيْفَ» تعجيب؛ كما يقال للرجل تتعجَّبُ من صنيعه: كيف فعلت هذا؟ وذلك كقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أي: لُعن لعناً بعد لعن. وقيل: فقُتِل بضربٍ من العقوبة، ثمَّ قُتِلَ بضربٍ آخر من العقوبة ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: على أيِّ حالٍ قَدَّر.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ بأي شيءٍ يردُّ الحقَّ ويدفعه. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قَطَّب بين عينيه في وجوه المؤمنين؛ وذلك أنَّه لمَّا حَمَل قريشاً على ما حَمَلَهم عليه من القول في محمد ﷺ بأنَّه ساحر، مرَّ على جماعةٍ من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم. وقيل: عَبَسَ وبَسَر على النبيِّ ﷺ حين دعاه[٥].

---

(١) في (م): لا والله في الموضعين الأخيرين. ووقع في النسخ تقديم وتأخير بين العبارات.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٣. قال شارحه: وأراد بالسهمين: العينين. والأعشار: القطع والكسور، يقول: ما بكيتِ إلَّا لتجرحي قلباً معشَّراً، أي: مكسَّراً، ولم تبكي لأنك مظلومة.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤٢.

والعَبْسُ مخفَّفاً: مصدرُ عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعُبُوساً: إذا قطَّبَ. والعَبَسُ: ما يتعلَّق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها؛ وقال أبو النَّجْم:

كـأَنَّ فـي أَذْنـابِـهِـنَّ الـشُّـوَّلِ مـن عَـبَـسِ الـصَّـيـفِ قُـرونَ الأُيَّـلِ[١]

﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كَلَحَ وجهُه، وتغيَّر لونُه؛ قاله قتادةُ والسُّدِّيّ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم:

صَـبَـحْـنَـا تَـمِـيـمـاً غَـدَاةَ الـجِـفَـارِ بِـشَـهْـبَـاءَ مَـلْـمُـومَـةٍ بـاسِـرَهْ[٢]

وقال آخر[٣]

وقَـدْ رَابَـنـي مِـنْـهـا صُـدودٌ رَأَيْـتُـهُ وإعْـراضُـهـا عَـنْ حـاجـتـي وبُـسُـورُهـا

وقيل: إنَّ ظهورَ العُبوسِ في الوجه [يكون] بعد المحاورة، وظهورَ البُسورِ في الوجه قبل المحاورة[٤].

وقال قوم: «بَسَرَ»: وَقَفَ لا يتقدَّمُ ولا يتأخر، قالوا: وكذلك يقولُ أهلُ اليمن إذا وقف المركب فلم يجيء ولم يذهب: قد بَسَر المركبُ وأَبْسَر، أي: وقف، وقد أبسرنا. والعربُ تقول: وجهٌ باسرٌ بيِّن البُسُور: إذا تغيَّر واسوَدَّ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: ولَّى وأعرضَ ذاهباً إلى أهله. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: تعظَّم عن أنْ يؤمن. وقيل: أدبر عن الإيمان، واستكبرَ حين دُعيَ إليه[٥].

---

(١) ديوان أبي النجم العجلي ص١٩١ . شالت الناقة بذنبها تشوله شولاً، أي: رفعته. والأُيَّل: الذكر من الأوعال، وكذلك الإِيَّل، بكسر الهمزة. اللسان (شول)، (أول) والكلام في إصلاح المنطق ص٩٥-٩٦.

(٢) جاء في حواشي بعض النسخ كما في (م) ما نصه: قوله: بشهباء، أراد بكتيبةٍ شهباءَ؛ ومنه قول عنترة [في ديوانه ص٧٤]:

وكـتـيـبـةٍ لَـبَّـسْـتُـهـا بـكـتـيـبـةٍ شـهـبـاءَ بـاسـلـةٍ يُـخـافُ رَدَاهـا

ويقال: كتيبة ململمة وملمومة أيضاً، أي: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. وصخرة ملمومة وململمة، أي: مستديرة صلبة؛ قاله الجوهري [الصحاح (لمم)].

(٣) هو توبة بن الحُمَير. والبيت في ديوانه ص٣٤ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٤٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا الذي أتى به محمدٌ ﷺ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يأثُره عن غيره.

والسِّحر: الخديعة. وقد تقدَّم بيانُه في سورة البقرة[1]. وقال قوم: السحر: إظهارُ الباطل في صورة الحق.

والأثرُ[2]: مصدرُ قولك: أثرت الحديثَ آثُرهُ: إذا ذكرتَه عن غيرك؛ ومنه قيل: حديثٌ مأثور، أي: ينقله خلفٌ عن سلف[3]؛ قال امرؤ القيس:

ولـو عَـنْ نَـثَـا غَـيـرِهِ جـاءَنِـي وجُـرْحُ الـلِّـسـانِ كَـجُـرْحِ الـيَـدِ
لَـقُـلْـتُ مِـن الـقـول مـالا يـزَا لُ يُـؤْثَـرُ عـنِّـي يَـدَ الْـمُـسْـنَـدِ[4]

يريد: آخر الدهر.

وقال الأعشى[5]:

إنَّ الـذي فـيـه تـمـارَيْـتُـمَـا بُـيِّـنَ لـلـسَّـامِـعِ والآثِـرِ

ويروي: بَيَّنَ[6].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا إلَّا كلام المخلوقين، يَختدع به القلوبَ كما تُختدع بالسحر. قال السُّدِّيّ: يعنون أنَّه من قول سيارٍ[7] عبدٍ لبني الحضرميّ، كان

---

(١) ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) في (م): والأثره.

(٣) الصحاح (أثر).

(٤) ديوان امرئ القيس ص١٨٥-١٨٦ . والنَّثا: ما أخبرتَ به عن الرجل من حسن أو سيئ. والمسند: الدهر. القاموس (نثا، سند).

(٥) ديوانه ص١٩١ ، بلفظ: والناظر. بدل: والآثر، وسلف ١٩/ ١٨١ .

(٦) الصحاح (أثر).

(٧) في (د): بشار، وفي (ظ): يسار، وفي النكت والعيون: أبي اليسر، وفي نسخة كما في حاشية (م): أبي اليسر سيار.

يجالسُ النبيَّ ﷺ، فنسبوه إلى أنَّه تعلم منه ذلك[١]. وقيل: أراد أنَّه تلقَّنه من أهل بابل. وقيل: عن مُسَيلِمة[٢]. وقيل: عن عديّ الحضرميّ الكاهن. وقيل: إنَّما تلقَّنه ممن ادَّعى النبوةَ من قبل، فنسجَ على منوالهم. قال أبو سعيد الضرير: إنْ هذا إلا أمرُ سحرٍ يؤثر، أي: يورث.

قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سأدخلُه سقر كي يَصْلَى حرَّها. وإنَّما سُمِّيت سقر؛ من سَقَرَتْه الشمسُ: إذا أذابته ولوَّحته، وأحرقتْ جِلْدَة وجهه. ولا ينصرفُ للتعريف والتأنيث. قال ابن عباس: هي الطبق السادسُ من جهنم[٣]. ورَوى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سألَ موسى ربَّه فقال: أيْ ربِّ، أيُّ عِبادك أفقر؟ قال صاحبُ سَقَر». ذكره الثعلبيّ[٤].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ هذه مبالغة في وصفها، أي: وما أعلمَك أيُّ شيءٍ هي؟ وهي كلمة تعظيم، ثمَّ فسَّر حالَها فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تتركُ لهم عظماً ولا لحماً ولا دماً إلَّا أحرقته. وكَرَّر اللفظَ تأكيداً. وقيل: لا تُبقي منهم شيئاً، ثمَّ يعادون خلقاً جديداً، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبداً[٥]. وقال مجاهد: لا تُبْقي مَنْ فيها حيًّا، ولا تَذرُه ميتاً، تُحرقُهم كلما جُدِّدُوا. وقال السُّدِّيّ: لا تُبقي لهم لحماً ولا تَذَرُ لهم عظماً[٦].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٢.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٠٢.

(٤) وأخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٣٥-١٣٦ مطولاً، وأخرجه ابن حبان أيضاً في صحيحه (٦٢١٧) بإسناد ابن عساكر، ولفظه عنده: صاحب منقوص بدل: صاحب سقر. ولعلَّ لفظة سقر مُحرَّفة عن لفظة منقوص. والله أعلم. وفي إسناده دراج؛ أبو السمح المصري قال أحمد: أحاديثه مناكير، وليَّنه، وقال أبو حاتم: ضعيف. ميزان الاعتدال ٢/ ٢٤.

(٥) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٤، وزاد المسير ٨/ ٤٠٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي: مُغَيِّرة، من لاحه: إذا غيَّره[(١)].

وقراءةُ العامَّة: «لَوَّاحَةٌ» بالرفع نعتٌ لـ «سَقَرَ» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾. وقرأ عطيةُ العوفيّ ونصرُ بن عاصم وعيسى بن عمر: «لَوَّاحَةً» بالنصب على الاختصاص، للتهويل[(٢)]. وقال أبو رَزِين: تلفحُ وجوهَهم لَفْحةً؛ تدعُها أشدَّ سواداً من الليل[(٣)]؛ وقاله مجاهد[(٤)].

والعربُ تقول: لاحَه البردُ والحرُّ، والسُّقم والحُزْن: إذا غيَّره؛ ومنه قول الشاعر:

تَقُولُ مَا لَاحَكَ يَا مُسَافِرُ يَا ابْنَةَ عَمِّي لَاحَنِي الهَوَاجِرُ[(٥)]

وقال آخر:

وتَعجَبُ هِنْدٌ أنْ رَأَتْنِي شَاحِباً تقولُ لِشَيْءٍ لَوَّحَتْه السَّمائمُ[(٦)]

وقال رُؤبةُ بن العجَّاج:

لَوَّحَ منه بعدَ بُدْنٍ وسَنَقْ تَلْوِيحَكَ الضَّامِرَ يُطْوَى للسَّبَقْ[(٧)]

وقيل: إنَّ اللوح شدَّةُ العطش؛ يقال: لاحَهُ العطشُ ولوَّحه، أي: غيَّره. والمعنى: أنَّها معطِّشةٌ للبشر، أي: لأهلها؛ قاله الأخفش، وأنشد:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٦ .

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٤ ، وقال: حكاه أبو معاذ. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٧ لابن مسعود وابن السميفع وابن أبي عبلة، ونسبها أبو حيان في البحر ٨/ ٣٧٥ للعوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبلة. وينظر الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٤٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

(٥) الرجز في الكشاف ٤/ ١٨٣ ، وذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥ البيت الثاني منه.

(٦) لم نقف عليه .

(٧) ديوان رؤبة ص١٠٤ ، قوله: لوح منه: يقال: لاحه السفر ولوَّحه: غيره وأضمره، والسَّنَق؛ بفتحتين: البشم، يقال: شرب الفصيل حتى سَنِق يسنَق، وهو كالتخمة، قال الأصمعي: والسنق: كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه، وقوله: يُطوى: أي: يجوَّع ويُضمَّر. خزانة الأدب ١/ ٨٧ .

سَقتني على لَوْحٍ منَ الماء شَرْبَةً ... سقاها بها اللهُ الرِّهامَ الغواديا

يعني باللَّوح شدَّةَ العطش[١] والْتاحَ أي: عَطِش[٢]. والرِّهامَ جمع رِهمة؛ بالكسر وهي: المطرةُ الضعيفةُ [الدائمة]، وأرهمت السحابة: أتت بالرِّهام[٣].

وقال ابنُ عباس: «لَوَّاحَةٌ» أي: تلوح للبشر من مسيرة خمس مئة عام.

الحسنُ وابنُ كيسان: تَلوحُ لهم جهنَّم حتى يروها عِياناً. نظيره: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٤] [الشعراء: ٩١].

وفي البَشَر وجهان:

أحدُهما: أنَّه الإنس من أهل النار؛ قالَه الأخفشُ والأكثرون.

الثاني: أنَّه جمعُ بَشرة، وهي جلدةُ الإنسان الظاهرة؛ قاله مجاهد وقتادة[٥].

وجمع البشَر أبشار، وهذا على التفسير الأوَّل، وأمَّا على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلَّا الناس لا الجلود؛ لأنَّه من لاح الشيءُ يَلُوح: إذا لمع.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: على سَقَر تسعةَ عشر من الملائكة يَلْقَون فيها

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

(٢) الصحاح (لوح).

(٣) الصحاح (رهم).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعةَ عشر من الملائكة هم خَزَنتها؛ مالكٌ وثمانيةَ عشَر ملَكاً[(١)].

ويَحتمل أنْ تكون التسعة عشر نقيباً، ويَحتمل أنْ يكون تسعةَ عشر ملَكاً بأعيانهم وعلى هذا أكثرُ المفسرين.

الثعلبيّ: ولا يُنكَر هذا، فإذا كان مَلَكٌ واحدٌ يَقبِض أرواح جميع الخلائق؛ كان أحرى أنْ يكونَ تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق.

وقال ابنُ جريج: نعتَ النبيُّ ﷺ خَزَنة جهنَّم فقال: «كأنَّ أعينَهم البَرْق، وكأنَّ أفواههم الصياصي، يجرُّون أشعارَهم، لأحدهم من القوَّة مثلُ قوةِ الثقلين، يسوقُ أحدهم الأُمَّةَ وعلى رقبته جبل، فيرميهم في النار، ويرمي فوقهم الجبل»[(٢)].

قلت: وذكر ابنُ المبارك قال: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن رجلٍ من بني تميم قال: كنَّا عندَ أبي العوَّام، فقرأ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ . عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾. فقال: ما تسعةَ عَشَر؟ تسعةَ عشرَ ألفِ مَلَك، أو تسعةَ عشر مَلَكاً؟ قال: قلت: لا، بل تسعة عَشَرَ مَلكاً. قال: وأنَّى تعلمُ ذلك؟ فقلت: لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: صدقتَ، هم تسعة عشر مَلَكاً، بِيَدِ كلِّ مَلَكٍ منهم مِرْزَبَةٌ لها شُعْبتان، فيضربُ الضربةَ فيُهوى بها في النار سبعين ألفاً[(٣)].

وعن عمرو بن دينار: كلُّ واحدٍ منهم يدفع بالدَّفعة الواحدة في جهنم أكثرَ من ربيعة ومُضَرَ[(٤)].

---

(١) ينظر تفسير البغوي٤/ ٤١٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٦، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور٦/ ٢٨٥ وعزاه لابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص١٨٠: لم أجده.

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٤٠- زوائد نعيم). وسلفت قطعة منه ١٤/ ٣٤٤. و المرزبة: هي المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد. النهاية (رزب).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤.

وخرَّج الترمذيُّ عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: قال ناسٌ من اليهود لأُناسٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ: هل يعلم نبيُّكم عددَ خَزَنة جهنَّم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا[(٢)]. فجاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمد غُلِب أصحابُك اليوم؛ فقال: «وماذا[(٣)] غُلِبوا»؟ قال: سألَهم يهود: هل يعلمُ نبيُّكم عددَ خَزَنَة جهنم؟ قال: «فماذا قالوا»؟ قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبيَّنا. قال: «أفغُلِب[(٤)] قومٌ سُئِلوا عمَّا لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبيَّنا؟ لكنهم قد سألوا نبيَّهم، فقالوا: أرنا الله جَهْرةً! عليَّ بأعداء الله؛ إني سائِلهم عن تُرْبة الجنَّة وهي الدَّرْمَك». فلمَّا جاؤوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خَزَنة جهنَّم؟ قال: «هكذا وهكذا». في مرةٍ عشرة، وفي مرة تسع[(٥)]. قالوا: نعم. قال لهم النبيُّ ﷺ: «ما تُرْبَةُ الجنَّة» قال: فسكتوا هنيهةً، ثمَّ قالوا: أَخُبْزَةٌ يا أبا القاسم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «الخبزُ من الدَّرْمَك».

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريب، إنَّما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد، عن الشَّعْبيِّ، عن جابر[(٦)].

وذكر ابنُ وهب قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنَّم: «مابين مَنكِبَيْ أحدِهم، كما بين المشرق والمغرب»[(٧)].

وقال ابنُ عباس: مابين مَنكِبي الواحد منهم مسيرةُ سنة، وقوةُ الواحد منهم أنْ يضربَ بالمِقْمَع فيدفع بتلك الضربة سبعينَ ألفَ إنسانٍ في قعر جهنَّم[(٨)].

---

(١) في النسخ الخطية: عن عبد الله. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٢) في النسخ الخطية: نسأله.

(٣) في (ظ) و(ي): وبماذا، وفي نسخة كما في حاشية (م) وسنن الترمذي: وبم.

(٤) في سنن الترمذي: أيغلب.

(٥). في(د) و(م) و(ي): تسعة.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٢٧)، وهو عند أحمد مختصرا (١٤٨٨٣). قال السندي ـ كما في حاشيته على المسند ـ: الدرمك: هو الدقيق الخالص، والخبزة: هي العجين.

(٧) سلف ص٩٥ من هذا الجزء.

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣١٣ ، وسلف ص٩٥ من هذا الجزء.

قلت: والصحيح إنْ شاء الله أنَّ هؤلاءِ التسعةَ عَشَرَ، هم الرؤساء والنقباء، وأمّا جملتُهم فالعبارة[١] عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زِمام، مع كل زِمام سبعون ألفَ مَلَك يجرُّونها»[٢]. وقال ابنُ عباس وقتادة والضَّحَّاك: لما نزل: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهلٍ لقريش: ثَكِلتكُم أمهاتُكم! أسْمعُ ابن أبي كبشة يخبركم أنَّ خَزَنَةَ جهنَّم تسعةَ عشر، وأنتم الدَّهْم[٣] ـ أي: العَدد ـ والشجعان، فيعجز كل عشرة منكم أنْ يبطشوا بواحد منهم![٤] قال السُّدِّيّ: فقال أبو الأشد[٥] بن كَلَدة الجُمحيّ: لايهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة، ثم تمرون إلى الجنَّة. يقولها مستهزئاً.

في رواية: أنَّ الحارث بن كَلَدة قال: أنا أكفيكُم سبعةَ عشر، واكفوني أنتم اثنين[٦].

وقيل: إنَّ أبا جهل قال: أفيعجز كلُّ مئةٍ منكم أنْ يبطشوا بواحدٍ منهم، ثمَّ

---

(١) بعدها في (م): تعجز.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٤٢).

(٣) في النسخ الخطية: الدهماء، والمثبت من (م).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧ ، وأخرجه عن ابن عباس وقتادة الطبريُّ ٢٣/ ٤٣٦ .

(٥) في النسخ ما عدا (ي): الأسود. والمثبت من (ي)، وهو موافق للنكت والعيون ٦/ ١٤٥ ـ وعنه نقل المصنف ـ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٧ . وذكر الخبر الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٤ ووقع فيه: أبو الأشدين، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٨ وقال: قال مقاتل اسمه: أسيد بن كلدة، وقال غيره: كلدة بن خلف الجمحي.

(٦) لم نقف عليها من قول الحارث بن كلدة، والرواية في تفسير البغوي ٤/ ٤١٧ ، والقائل فيه: أبو الأشد أسيد بن كلدة، وذكر الرواية الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٤ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٠٤ ، وعندهما: أبو الأشد ابن أسيد بن كلدة الجمحي، وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠٣-٢٠٤ أن القائل رجل من بني جمح. كان يكنى: أبا الأشدين.

تخرجون من النار[١]؟ فنزل قولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكةً؛ لأنَّهم خلافُ جنس المعذَّبين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذُ المجانِس من الرأفة والرقَّة، ولا يستروِحون إليهم، ولأنَّهم أقوم خلق الله بحقِّ الله وبالغضب له، فتُؤمَن هوادتهم، ولأنَّهم أشدُّ خلق الله بأساً، وأقواهم بطشاً[٢].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: بليَّة. ورُوي عن ابن عباس من غير وجه قال: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلَّا عذاباً، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٣-١٤]. أي: جعلنا ذلك سببَ كفرهم، وسببَ العذاب.

وفي «تِسْعَةَ عَشَرْ» سبعُ قراءات: قراءة العامة: «تِسْعَةَ عَشَرَ». وقرأ أبو جعفر بن القَعْقاع وطلحة بن سليمان: «تِسْعَةَ عْشَرَ» بإسكان العين. وعن ابن عباس: «تِسْعَةُ عَشَر» بضم الهاء[٣]. وعن أنس بن مالك: «تِسْعَةُ وعَشَرْ»[٤]. وعنه أيضاً: «تِسْعَةُ وعْشُر». وعنه أيضاً: «تِسْعَةَ أَعْشُرَ»[٥]. ذكرها المهدويُّ وقال: من قرأ: «تِسْعَةَ عْشَر» أسكنَ العين لتوالي الحركات. ومن قرأ: «تِسْعَةُ وعَشَرْ» جاء به على الأصل قبل التركيب، وعطفَ عشراً على تسعة، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وأسكنَ الراء من عشر على نيَّة السكوت عليها.

ومن قرأ: «تِسْعَةُ عَشَر» فكأنَّه من التداخل؛ كأنَّه أراد العطفَ، وترك التركيب، فرفع هاءَ التأنيث، ثمَّ راجعَ البناء وأسكن.

وأما «تِسعةُ أَعْشُر»: فغير معروف، وقد أنكرها أبو حاتم. وكذلك «تِسْعَةُ وَعْشُر»

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٣٦ عن ابن عباس، وفيه: أفيعجز كل عشرة.

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٩، وقراءة أبي جعفر ـ وهي من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٧٩.

(٤) ذكرها السمين في الدر المصون ١٠/ ٥٤٨ نقلاً عن المهدوي دون نسبة، وذكر ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٩ عن أنس أنه روي عنه: «تسعةُ وَعْشَرَ»، برفع الهاء، وبعدها واو مفتوحة، وعين مجزومة.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

لأنَّها محمولةٌ على «تِسعَةُ أَعْشُر»، والواو بدلٌ من الهمزة، وليس لذلك وجه عند النحويين[١].

الزمخشريّ: وقرئ: «تِسْعَةُ أَعْشُر» جمع عَشِير، مثْل يَمين وأَيْمُن[٢].

قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ليوقن الذين أُعطوا التوارةَ والإنجيل أنَّ عِدَّة[٣] خَزَنة جهنم موافقة لما عندهم؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم[٤].

ثم يَحتمل أنَّه يريدُ الذين آمنوا منهم، كعبدالله بن سلَام. ويَحتمل أنَّه يريد الكلّ.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بذلك؛ لأنَّهم كلَّما صدَّقوا بما في كتاب الله آمنوا، ثم ازدادوا إيماناً لتصديقهم بعدد خَزَنة جهنَّم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: ولا يشكّ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾أي: أُعطوا الكتاب ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: المصدِّقون من أصحاب محمدٍ ﷺ في أنَّ عدد[٥] خزنة جهنَّم تسعةَ عشر.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾أي: في صدورهم شكٌّ ونفاق من منافقي أهلِ المدينة، الذين ينجُمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة، ولم يكنْ بمكَّة نفاقٌ، وإنَّما نَجم بالمدينة.

وقيل: المعنى، أي: وليقولَ المنافقون الذين يَنْجُمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة[٦]. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: اليهود والنصارى[٧].

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يعني بعدد خزنة جهنَّم.

---

(١) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٣٩.

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤، وينظر الدر المصون ١٠/ ٥٤٨.

(٣) في النسخ الخطية: عدد.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٤٣٨-٤٣٩.

(٥) في (م): عدة.

(٦) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٥.

(٧) زاد المسير ٨/ ٤٠٩.

وقال الحسين بن الفضل: السورةُ مكِّيَّةٌ، ولم يكن بمكَّة نفاق؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف، و«الكَافِرُونَ» أي: مشركو العرب. وعلى القول الأوَّل أكثر المفسرين.

ويجوز أنْ يُراد بالمرض: الشكُّ والارتياب؛ لأنَّ أهل مكَّةَ كان أكثرهم شاكِّين، وبعضُهم قاطعين بالكذب[١].

وقوله تعالى إخباراً عنهم: «مَاذَا أَرَادَ اللهُ» أي: ما أراد «بِهَذَا» العدد الذي ذكره حديثاً، أي ما هذا من الحديث[٢]. قال الليث: المَثَل الحديث؛ ومنه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي: حديثُها والخبر عنها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كإضلال الله أبا جهلٍ وأصحابَه المنكرين لخزَنة جهنم؛ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي: يخزي ويعمي من يَشَاءُ ﴿وَيَهْدِى﴾ أي: ويُرْشِد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ كإرشادِ أصحاب محمدٍ ﷺ.

وقيل: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ عن الجنَّة من يَشَاءُ، ويَهْدي إليها من يَشَاء.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: وما يدري عددَ ملائكة ربِّك الذين خلقَهم لتعذيب أهل النار «إِلَّا هُوَ»، أي: إلَّا الله جلَّ ثناؤه. وهذا جوابٌ لأبي جهلٍ حين قال: أمَا لمحمدٍ من الجنود إلَّا تسعةَ عشر[٣]!

وعن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَقْسِم غنائم حُنين، فأتاه جبريلُ فجلس عنده، فأتى مَلَكٌ فقال: إنَّ ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشيَ النبيُّ ﷺ أنْ يكون شيطاناً، فقال: «يا جبريل أتعرفه»؟ فقال: هو مَلَك، وما كلُّ ملائكةِ ربِّك أعرف[٤].

وقال الأوزاعيُّ: قال موسى: يا ربِّ! من في السماء؟ قال: ملائكتي. قال: كم

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٥.

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٠٩.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧. ونسبه لمقاتل.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٣٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٩: وفيه حسين بن الحسن الأشقر، وهو منكر الحديث، ورمي بالكذب، ووثقه ابن حبان. اهـ. وقال ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٢: وهذا حديث منكر بهذا الإسناد، وما أعلم رواه غير حسين الأشقر، عن حسين أبو محذورة الوراق. والبلاء عندي من الحسين الأشقر؛ لأن أبا محذورة لا بأس به.

عدَّتهم يا ربّ؟ قال: اثنا[١] عشر سِبْطاً. قال: كم عدَّةُ كلِّ سِبط؟ قال: عدد التراب[٢]. ذكرهما الثعلبيّ.

وفي الترمذيّ عن النبيّ ﷺ: «أطَّت السماءُ وحُقَّ لها أنْ تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربع أصابع إلَّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه لله ساجداً»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ يعني الدلائلَ والحججَ والقرآن. وقيل: «وَمَا هِيَ» أي: وما هذه النارُ التي هي سقر «إِلَّا ذِكْرَى» أي: عِظَةٌ «لِلْبَشَرِ» أي: للخلق[٤].

وقيل: نارُ الدنيا تذكرةٌ لنار الآخرة. قاله الزجاج[٥].

وقيل: أي: ما هذه العِدَّةُ «إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ»، أي: ليتذكَّروا ويعلموا كمالَ قدرة الله تعالى، وأنَّه لا يحتاجُ إلى أعوانٍ وأنصارٍ؛ فالكنايةُ على هذا في قوله تعالى: «وَمَا هِيَ» ترجعُ إلى الجنودِ؛ لأنَّه أقربُ مذكور.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ قال الفرَّاء: «كَلَّا» صلةٌ للقسم، التقدير: إي والقمر.

---

(١) في (خ) و(د) و(م): اثني.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٢٥)، وذكره الآلوسي في روح المعاني ١٢٨/٢٩، واللفظ فيهما: «يا رب: من معك في السماء». قال الآلوسي: وفي صحة هذا نظر، وإن صح فصدره من المتشابه.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، وسلف بتمامه ٤٢٨/٥-٤٢٩.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٤٢٣/٣.

(٥) في معاني القرآن ٢٤٨/٥.

وقيل: المعنى حقّاً والقمر فلا يوقَفُ على هذين التقديرين على «كَلَّا»، وأجاز الطَّبريُّ الوقف عليها، وجعلها ردًّا للذين زَعموا أنَّهم يُقاومون خَزَنة جهنم، أي: ليس الأمرُ كما يقول من زعم أنَّه يُقاوم خزنَة النَّار. ثم أقسمَ على ذلك جلَّ وعزَّ بالقمر وبما بعده، فقال: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ولَّى[1]، و كذلك «دَبَرَ».

وقرأ نافعٌ وحمزةُ وحفص: «إِذْ أَدْبَرَ»، الباقون: «إِذَا» بألف، و«دَبَرَ» بغير ألف[2]، وهما لغتان بمعنىً؛ يقال: دَبَرَ وأدبر، وكذلك قَبِل الليل وأقبل. وقد قالوا: أمسِ الدابرِ والمدبرِ؛ قال صخر بن عمرو بن الشَّريد السُّلَميّ:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ[3] ثُنَاءَ وَمَوْحَداً وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

ويُروَى: المدبِر[4]. وهذا قولُ الفرَّاء والأخفش[5].

وقال بعض أهل اللغة: دَبَر الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الإدبار.

وقال مجاهد: سألتُ ابنَ عباس عن قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا دَبَرَ﴾ فسكت حتى إذا دَبَرَ قال: يا مجاهد، هذا حينُ دبر الليل[6].

وقرأ محمد بن السميفع: «وَالْلَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ» بألفين، وكذلك في مصحف عبد الله وَأُبَيّ بألفين[7].

وقال قُطرب: من قرأ: «دَبَرَ»، فيعني: أَقْبَلَ، من قول العرب: دَبَرَ فلانٌ: إذا جاء

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤١-٤٤٢، وينظر ما سلف حول الوقوف على كلا عند تفسير قوله تعالى ﴿كلَّا سنكتب ما يقول...﴾ [مريم: ٧٩] ١٣/ ٥٠٨.

(٢) السبعة ص٦٥٩، والتيسير ص٢١٦.

(٣) في (ظ) و(م): قتلناكم، وفي (ز) قبلتكم، والمثبت من (خ) و(د) و(ي). وهو الموافق للمصادر.

(٤) الصحاح (دبر)، والبيت في أدب الكاتب ص٥٦٧ بلفظ الدابر، وفي الأغاني ٥/ ١٠٠، وخزانة الأدب ٥/ ٤٤٨ بلفظ: المدبر.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٤، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٧١٩.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٣. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧.

(٧) قراءة ابن مسعود وأُبيّ في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٤.

من خلفي. قال أبو عمرو: وهي لغةُ قريش[١].

وقال ابنُ عباس في روايةٍ عنه: الصواب: «أَدْبَرَ»، إنَّما يَدْبَرُ ظهر البعير[٢]. واختار أبو عُبيد: «إِذَا دَبَرَ[٣]»، قال: لأنَّها أكثرُ موافقةً للحروف التي تليه؛ ألَا تراه يقول: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾، فكيف يكون أحدهما: «إذ»، والآخر: «إذا»، وليس في القرآن قَسَمٌ تعقبُه «إذ»، وإنَّما يتعقبه «إذا»[٤].

ومعنى «أَسْفَرَ»: ضاء. وقراءةُ العامَّة: «أَسْفَرَ» بالألف. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «سَفَرَ»[٥]. وهما لغتان. يقال: سَفَر وجهُ فلان وأسفر: إذا أضاء. وفي الحديث: «أَسْفِرُوا بالفجر، فإنه أعظمُ للأجر»[٦] أي: صَلُّوا صلاةَ الصبح مُسْفِرين، ويقال: طَوِّلُوها إلى الإسفار، والإسفارُ: الإنارة، وأسفر وجهُه حسناً، أي: أشرق، وَسَفَرَتِ المرأةُ: كشفتْ عن وجهها، فهي سافِر. ويجوز أنْ يكون: سَفَر الظلامَ، أي: كنسَه، كما يُسفَر البيت؛ أي: يُكنَس، ومنه السَّفير: لِمَا سقطَ من ورق الشجر وتَحاتَّ؛ يقال: إنَّما سُمِّي سفيراً؛ لأنَّ الريح تَسفِره، أي: تكنُسه. والمِسْفَرَةُ: المِكْنَسة[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جوابُ القسم، أي: إنَّ هذه النار «لَإِحْدَى الكُبَرِ»، أي: لإحدى الدواهي.

وفي تفسير مقاتل: «الكُبَر»: اسمٌ من أسماء النار.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٢ .

(٢) ذكرها الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٠٨ . ودَبِرَ البعيرُ يَدْبَرُ (كفرح): جُرِحَ وتقرَّح ظهرُه. معجم متن اللغة (دبر).

(٣) في (ظ) و(م): أدبر. وهو خطأ.

(٤) ذكر نحو قول أبي عبيد النحاسُ في إعراب القرآن ٥/ ٧١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٧٧ .

(٦) أخرجه الترمذي (١٥٤)، والنسائي في المجتبى ١/ ٣٧٢ عن رافع بن خَديج، وهو بنحوه عند أحمد برقم (١٥٨١٩).

(٧) الصحاح (سفر).

وروي عن ابن عباس: «إِنَّهَا» أي: إنَّ تكذيبَهم بمحمدٍ ﷺ «لَإِحْدَى الكُبَرِ»، أي: لَكبيرةٌ من الكبائر.

وقيل: أي: إنَّ قيامَ الساعة لإحدى الكُبَر. والكُبَر: هي العظائمُ من العقوبات؛ قال الراجز:

يـابنَ الـمُعَلَّى نَزلتْ إحدى الكُبَرْ داهـيـةُ الـدهْـر وصَـمَّـاءُ الـغَـبَـرْ[1]

وواحدة «الكُبَر»: كُبرى، مثل: الصُّغْرَى والصُّغَر، والعُظْمى والعُظَم[2].

وقرأ العامة «لَإِحْدَى»، وهو اسمٌ بني ابتداءً للتأنيث، وليس مبنياً على المذكَّر؛ نحو: عُقْبَى وأخرى، وألفُه ألفُ قطع، لا تذهب في الوصل.

ورَوى جرير بن حازم عن ابن كثير: «إِنَّهَا لَحْدى الكُبَر» بحذف الهمزة[3].

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ يريد النَّار، أي: إنَّ هذه النار الموصوفة «نَذِيراً لِلْبَشَرِ»، فهو نصبٌ على الحال من المضمر في «إِنَّهَا» قاله الزَّجَّاج[4]. وذُكِّر؛ لأنَّ معناه معنى العذاب، أو أراد: ذاتَ إنذارٍ؛ على معنى النَّسب؛ كقولهم: امرأةٌ طالقٌ وطاهر.

وقال الخليل: النذير: مصدرٌ كالنكير، ولذلك يُوصف به المؤنث[5].

وقال الحسن: والله ما أُنذر الخلائق بشيءٍ أدهى منها. وقيل: المرادُ بالنذير

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٥-١٤٦ ، ووقع في (خ) و(د) و(ز) و(ي): العبر، وفي (ظ): العرب، وفي (م) والنكت والعيون: الغير. والمثبت من المصادر الآتية. والرجز لعبد الله بن الأعور الكذاب الحرمازي كما في كتاب الحيوان للجاحظ ٤/ ١٤٦ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٦٧١ ، والمستقصى للزمخشري ١/ ٤٢١ . وداهية الدهر: الحية لأنها ربما سكنت بقرب ماء، فتحمي ذلك الموضع، وربما غبر [أي: بقي] ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حمته، وفي القاموس (غبر): داهية الغَبَر: داهية لا يُهتدى لمثلها .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٧ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٥ .

(٤) في معاني القرآن له ٥/ ٢٤٩ ، وما بعده منه.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

محمدٌ ﷺ[١]، أي: قم نذيراً للبشر، أي: مُخَوِّفاً لهم، فـ «نَذيراً» حالٌ من «قُمْ» في أوّل السورة حين قال: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ قاله[٢] أبو علي الفارسيّ وابنُ زيد[٣]، ورُوي عن ابن عباس[٤] وأنكره الفرَّاء[٥].

ابن الأنباري: وقال بعضُ المفسرين: معناه: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر، قُمْ نَذِيراً لِلْبَشَر. وهذا قبيح؛ لأنَّ الكلامَ قد طال فيما بينهما[٦].

وقيل: هو من صفة الله تعالى. رَوى أبو معاوية الضرير: حدَّثنا إسماعيلُ بن سميع، عن أبي رَزين: «نَذِيراً لِلْبَشَرِ» قال: يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنا لكم منها نذيرٌ فاتقوها[٧]. و«نَذِيراً» على هذا نصب على الحال، أي: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ مُنْذِراً بذلك البشر[٨].

وقيل: هو حالٌ من «هو» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وقيل: هو في موضع المصدر، كأنَّه قال: إنذاراً للبشر[٩]. قال الفرَّاء: يجوزُ أنْ يكون النذير بمعنى الإنذار، أي: أنذر إنذاراً، فهو كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [تبارك: ١٧] أي: إنذاري[١٠]. فعلى هذا يكون راجعاً إلى أوّل السورة، أي: «قُمْ فَأَنْذِرْ»، أي: إنذاراً.

وقيل: هو منصوبٌ بإضمار فعل[١١]. وقرأ ابن أبي عبْلة: «نَذِيرٌ» بالرفع، على

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٧ .

(٢) في (م): قال.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٤٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٦ .

(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢٠٥ .

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٥ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤٦ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

(٩) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٤ .

(١٠) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥ .

(١١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٥ .

إضمار هو[١] وقيل: أي: إنَّ القرآنَ نذيرٌ للبشر، لِمَا تضمَّنه من الوعد والوعيد[٢].

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ اللام متعلقةٌ بـ «نذيراً»، أي: نذيراً لمن شاءَ منكم أنْ يتقدَّم إلى الخير والطاعة، أو يتأخَّر إلى الشرِّ والمعصية؛ نظيره: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾، أي: في الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ عنه.

قال الحسن: هذا وعيدٌ وتهديدٌ وإنْ خرج مخرجَ الخبر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] [الكهف: ٢٩].

وقال بعضُ أهل التأويل: معناه لمنْ شاء اللهُ أنْ يتقدَّم أو يتأخَّر؛ فالمشيئةُ متَّصلةٌ بالله جلَّ ثناؤه، والتقديمُ الإيمان، والتأخير الكفر.

وكان ابنُ عباس يقول: هذا تهديدٌ وإعلامٌ أنَّ من تقدَّم إلى الطاعة والإيمان بمحمدٍ ﷺ؛ جُوزيَ بثوابٍ لا ينقطع، ومن تأخَّر عن الطاعة وكذَّب محمداً ﷺ؛ عُوقِب عقاباً لا ينقطع.

وقال السُّديُّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى النَّار المتقدِّم ذكرها، «أَوْ يَتَأَخَّرَ» عنْها إلى الجنة[٤].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: مرتهنةٌ بكسبها، مأخوذةٌ بعملها، إمَّا خلَّصها، وإمَّا أَوْبَقَها. وليست «رَهِيْنَةٌ» تأنيثَ رهين في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] لتأنيث النفس؛ لأنَّه لو قُصدت الصِّفةُ لقيل: رهين؛ لأنَّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكَّر والمؤنث. وإنَّما هو اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنَّه قيل: كلُّ نفسٍ بما كسبت رهن[٥]؛ ومنه بيتُ الحماسة:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، ونسبها الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠٥، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٦ لأُبيّ.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٧.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وزاد المسير ٨/ ٤١٠.

(٥) في (ز) و(ظ) و(ي): رهين، وسقطت العبارة من (د)، والمثبت من (خ) والكشاف ٤/ ١٨٦ والكلام منه.

أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رهِينَةُ رَمْسٍ ذِي تُرابٍ وجَنْدَلِ[(١)]

كأنَّه قال: رَهْن رَمْسٍ. والمعنى: كلُّ نفسٍ رهنٌ بكسبها عند الله غير مفكوك[(٢)] ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فإنَّهم لا يُرْتَهنون بذنوبهم. واختُلِفَ في تعيينهم؛ فقال ابن عباس: الملائكة[(٣)].

علي بن أبي طالب: أولادُ المسلمين لم يكتسبوا فيُرتهنوا بكسبهم[(٤)].

الضَّحَّاك: الذين سبقت لهم من الله الحسنى[(٥)]، ونحوه عن ابن جريج؛ قال: كلُّ نفسٍ بعملِها محاسبة إلَّا أصحابَ اليمين؛ وهم أهلُ الجنة، فإنَّهم لا يحاسبون[(٦)]. وكذا قال مقاتلٌ أيضاً: هم أصحابُ الجنَّة الذين كانوا عن يمين آدمَ يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنَّة ولا أُبالي[(٧)].

وقال الحسن وابنُ كَيْسان: هم المسلمونَ المخلصون ليسوا بمرتَهنين[(٨)]؛ لأنَّهم أدَّوا ما كان عليهم.

وعن أبي ظَبْيان عن ابن عباس قال: هم المسلمون[(٩)].

وقيل: إلَّا أصحاب الحقِّ وأهل الإيمان. وقيل: هم الذين يُعطَون كتبهم بأيمانِهم.

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن زيد العدوي، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٢١٧، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥٨، والأغاني ٥/ ١٠٤ والنَّعْفُ: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع من منحدر الوادي. القاموس (نعف). والرَّمْس: القبر، والجندل: الحجارة.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٥٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤٩-٤٥٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٤٨.

(٧) تفسيرالبغوي ٤/ ٤١٨.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٩) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٥ وعزاه لابن المنذر.

وقال أبو جعفر الباقر: نحن وشيعتُنا أصحابُ اليمين، وكلُّ من أبغَضنا أهلَ البيت، فهم المرتهنون[١].

وقال الحكم: هم الذين اختارَهم الله لخدمته، فلم يَدخلوا في الرهن، لأنَّهم خُدَّام الله وصفوتُه، وكسبُهم لم يضرَّهم.

وقال القاسم: كلُّ نفسٍ مأخوذةٌ بكسبِها من خيرٍ أو شر، إلَّا من اعتمدَ على الفضل والرحمة، دون الكسب والخدمة، فكلُّ من اعتمدَ على الكسب؛ فهو مرهونٌ، وكلُّ من اعتمدَ على الفضل، فهو غيرُ مأخوذٍ به[٢].

﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: في بساتين ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يسألون ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أي: أدخَلكُم ﴿فِي سَقَرَ﴾ كما تقول: سلكتُ الخيط في كذا، أي: أدخلته فيه.

قال الكلبي: فيَسألُ الرجلُ مِنْ أهل الجنَّة الرجلَ مِنْ أهل النَّار باسمه، فيقول له: يا فلان.

وفي قراءة عبد الله بن الزُّبير: «يا فلانُ ما سَلَكَك في سَقَرَ»؟ وعنه قال: قرأ عمرُ ابن الخطاب: «يا فلانُ ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ»[٣]، وهي قراءةٌ على التفسير، لا أنَّها قرآنٌ كما زعم من طعن في القرآن؛ قاله أبو بكر بن الأنباري.

وقيل: إنَّ المؤمنين يَسألون الملائكةَ عن أقربائهم، فتسألُ الملائكةُ المشركين فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾. قال الفرَّاء: في هذا ما يُقوِّي أنّ أصحاب اليمِينِ

---

(١) ذكره مختصراً الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ١١٨.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣١، وفيه أن قراءة ابن الزبير ﷺ: «يا فلان ما سلككم في سقر»، بالجمع كقراءة عمر ﷺ، وكذا في الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٥ بالإفراد عن الصحابيين رضي الله عنهما. وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧٣ عن الزبير فقط بالإفراد.

الوِلدان؛ لأنَّهم لا يعرفون الذنوب[١].

﴿قَالُوا﴾ يعني أهلَ النار: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يُصلُّون. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ أي: لم نكُ نتصدَّق.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾أي: كنَّا نخالطُ أهلَ الباطل في باطلهم. وقال ابنُ زيد: نخوضُ مع الخائضين في أمر محمد ﷺ، وهو قولهم ـ لعنَهم الله ـ كاهنٌ، مجنونٌ، شاعرٌ، ساحر.

وقال السُّدِّيُّ: أي: وكنَّا نُكَذب مع المكذّبين. وقال قتادة: كلما غَوَى غاوٍ غَوينا معه. وقيل معناه: وكنَّا أتباعاً ولم نكنْ متبوعين[٢].

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: لم نك نصدّق بيوم القيامة، يوم الجزاء والحكم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي: جاءَنا وَنَزَل بنا الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ هذا دليلٌ على صحَّة الشفاعة للمذنبين؛ وذلك أنَّ قوماً من أهل التوحيد عُذِّبوا بذنوبهم، ثم شُفِعَ فيهم، فرحمَهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأُخرجوا من النَّار[٣]، وليس للكفار شفيعٌ يَشفع فيهم.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: يشفعُ نبيُّكمُ ﷺ رابعَ أربعة: جبريل، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسى أو عيسى، ثمَّ نبيُّكم ﷺ، ثمَّ الملائكة، ثمّ النبيُّون، ثمَّ الصدِّيقون، ثمَّ الشهداء، ويبقى قومٌ في جهنم، فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ قال عبدُ الله بن مسعود: فهؤلاء هم الذين يبقَون في جهنم. وقد ذكرنا إسنادَه في كتاب «التذكرة»[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٨ .

(٣) ينظر حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) ص٣٤٣ ، والحديث أخرجه مطولاً الطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦١)، والحاكم في المستدرك =

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما لأهل مكّة قد أعرضوا، وولّوا عما جئتهم به[١]. وفي تفسير مقاتل: الإعراضُ عن القرآن من وجهين: أحدُهما: الجحودُ والإنكار، والوجه الآخر: ترك العمل بما فيه.

و«مُعْرِضِينَ» نصب على الحال من الهاء والميم في «لَهُمْ»، وفي اللام معنى الفعل؛ فانتصابُ الحال على معنى الفعل[٢].

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: كأنَّ هؤلاء الكفار في فرارهم من محمدٍ ﷺ ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية[٣].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر بفتح الفاء[٤]، أي: مُنَفَّرةٌ مذعورة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. الباقون بالكسر، أي: نافرة. يقال: نَفَرت واسْتَنفرت بمعنىً؛ مثل عَجِبت واسْتَعجبت، وسَخِرت واسْتَسخرت[٥]، وأنشد الفرَّاء:

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّه مُسْتَنْفِرٌ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ[٦]

= ٤/٤٩٨ ، ٦٠٠ . وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: ما احتجا بأبي الزعراء. اهـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٠ : وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح، وقول النبي ﷺ: أنا أول شافع.

(١) في (د) و(م) : جئتم به.

(٢) قال الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ١٦٦ : والتقدير: أيُّ شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة.

(٣) ذكره بنحوه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٧ .

(٤) السبعة ص٦٦١ ، والتيسير ص٢١٦ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦ ، وهو أيضاً في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٧٩٣ ونسبه لنافع بن لقيط الفقعسي. وفيه: اربط بدل: أمسك قال ابن قتيبة: يروى: أزجر حمارك. اهـ. وغرَّب: اسم جبل دون الشام في ديار بين كلب. معجم البلدان ٤/ ١٩٢ .

قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ﴾ أي: نفرتْ وهربت ﴿مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من رُماة يرمونها. وقال بعض أهل اللغة: إنَّ القَسْوَرَ الرامي، وجمعه القَسْوَرَة[١]. وكذا قال سعيدُ بن جبير وعكرمة ومجاهدٌ وقتادة والضَّحَّاك وابنُ كَيْسان: القَسْوَرة: هم الرُّماةُ والصيَّادون[٢]، ورواه عطاءٌ عن ابن عباس وأبو ظَبيان[٣] عن أبي موسى الأشعري.

وقيل: إنَّه الأسد؛ قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً[٤].

ابن عرفة: من القَسْر[٥]؛ بمعنى: القَهْر، أي: إنه يَقْهَرُ السِّباع، والحُمُر الوحشيَّة تهربُ من السباع.

وروى أبو حمزة[٦] عن ابن عباس قال: ما أعلم القسورةَ الأسَد في لغة أحدٍ من العرب، ولكنها عُصَب الرجال: قال: فالقسورةُ جمعُ الرجال، وأنشد:

يا بنتُ كُوني خَيْرةً لِخيِّرهْ ... أخوالُها الجنُّ وأهلُ القَسْوَرَهْ

وعنه: رِكْزُ الناس، أي: حِسُّهم وأصواتهم[٧].

وعنه أيضاً: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من حبال الصيادين[٨].

وعنه أيضاً: القسورةُ بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرماة[٩]، وبلسان

---

(١) في النسخ: القسورة الرامي، وجمعه: قسورة. وفي اللباب لابن عادل ٩/ ٥٣٧ : القسورة الرامي، وجمعه قساوره. والمثبت من فتح القدير ٥/ ٣٣٣، وهو قول الليث كما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٨/ ٣٩٨ وخطَّأه، وينظر تاج العروس (قسر).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٧-٤٥٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٩ ، وزاد المسير ٨/ ٤١٣ .

(٣) في (د) و(ظ): حبان، وفي (خ) و(ز) و(ي): هبان. والمثبت من تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٥ . وقولهما مخرج فيه.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٤٥٩-٤٦٠ .

(٥) تاج العروس (قسر).

(٦) في (م) و(ي): جمرة، والمثبت من (خ) و(د) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٨ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٥٨-٤٥٩ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٤١٩ .

(٩) في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٠ : بلسان الحبشة: القسورة. وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٦ مختصراً وعزاه لابن أبي حاتم.

فارس: شير، وبلسان النَّبَط: أريا.

وقال ابن الأعرابي: القَسْوَرَةُ: أوَّلُ الليل، أي: فرَّتْ من ظُلمة الليل[١]. وقاله عِكرمةُ أيضاً. وقيل: هو أوَّلُ سواد الليل، ولا يُقال لآخر سواد الليل: قَسْورة.

وقال زيد بن أسلم: مِنْ رجالٍ أقوياء، وكلُّ شديدٍ عند العرب فهو قَسْوَرَة وقَسْوَر[٢]. وقال لبيد بن ربيعة[٣]:

إذا ما هَتَفْنا هَتفةً في نَدِيِّنا أتانا الرجالُ العابدونَ[٤] القَسَاوِرُ

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: يُعطى كُتباً مفتوحة؛ وذلك أنَّ أبا جهل وجماعةً من قريش قالوا: يا محمد! ايتنا بكتبٍ من ربِّ العالمين مكتوبٍ فيها: إنِّي قد أرسلتُ إليكم محمداً، ﷺ. نظيره: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال ابن عباس: كانوا يقولونَ: إنْ كان محمدٌ صادقاً فليصبحْ عند كلِّ رجلٍ منَّا صحيفةٌ فيها براءته وأمنهُ من النار[٥].

قال مطر الورَّاق: أرادوا أنْ يُعطَوا بغير عمل.

وقال الكلبيّ: قال المشركون: بلغنا أنَّ الرجلَ من بني إسرائيل كان يُصبِح عند رأسه مكتوباً ذنْبُه وكفارتُه، فأْتِنا بمثل ذلك[٦].

---

(١) ذكره بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٨/ ٣٩٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٩.

(٣) ديوانه ص٣٥١.

(٤) في (م): العائدون، وكذا في تفسير ابن عادل ١٩/ ٥٣٧، ووقع في الديوان بلفظ: الصائدون، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، والدر المصون ١٠/ ٥٥٨: العاندون، والمثبت من النسخ الخطية وفتح القدير ٥/ ٣٣٣.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٨ دون نسبة.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠. وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٨ دون نسبة، وقال: وهذا من الصحف المنشَّرة بمعزل، إلَّا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة.

وقال مجاهد: أرادوا أن يَنزل على كلٍّ واحدٍ منهم كتاب فيه: من الله عزَّ وجلَّ إلى فلان ابن فلان[١].

وقيل: المعنى أنْ يُذكرَ بِذكرٍ جميل، فجُعِلَت الصحف موضعَ الذكرِ مجازاً. وقالوا: إذا كانت ذنوبُ الإنسان تكتبُ عليه، فما بالُنا لا نرى ذلك؟

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس يكون ذلك. وقيل: حقًّا. والأوَّل أجود؛ لأنَّه ردٌّ لقولهم.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: لا أُعطِيهم ما يتمنَّون؛ لأنَّهم لا يخافون الآخرة، اغتراراً بالدنيا.

وقرأ سعيدُ بن جبير: «صُحْفاً مُنْشَرَةً» بسكون الحاء والنون[٢]، فأمَّا تسكين الحاء فتخفيفٌ، وأمَّا تسكينُ[٣] النون فشاذ. إنما يُقَال: نشرتُ الثوبَ وشبهه، ولا يقال أنشَرت. ويجوزُ أنْ يكون شبَّه الصحيفةَ بالميت، كأنَّها ميتةٌ بطيِّها، فإذا نُشِرت حَيِيت، فجاء على أَنشر اللهُ الميت؛ كما شبَّه إِحياء الميت بنشر الثوب، فقيل فيه: نشر الله الميت. فهي لغةٌ فيه[٤].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: حقًّا إنَّ القرآنَ عظةٌ. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: اِتَّعَظَ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: وما يتَّعِظون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكُّر إلَّا بمشيئةِ اللهِ ذلك لهم.

وقراءة العامة: «يَذْكُرُونَ» بالياء، واختاره أبو عبيد؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٦١ مختصراً.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥، والمحتسب ٢/ ٣٤٠.

(٣) لفظة: تسكين. ليست في (م)

(٤) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٤٠.

﴿يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾. وقرأ نافعٌ ويعقوب بالتاء[١]، واختارَه أبو حاتم لأنَّه أعمّ، واتَّفقوا على تخفيفها.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ في الترمذيّ وسنن ابن ماجه عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنَّه قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أهلٌ أنْ أُتَّقَى، فمن اتقاني[٢] فلم يجعلْ معي إلهًا؛ فأنا أهلٌ أنْ أغفر له». لفظُ الترمذيّ، وقال فيه: حديثٌ حسنٌ غريب[٣].

وفي بعض التفسير: هو أهلُ المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهلُ المغفرة أيضًا للذنوب الصغار، باجتنابِ الذنوب الكبار. وقال محمدُ بن نصر: أنا أهلٌ أنْ يتَّقيَني عبدي، فإنْ لم يفعلْ، كنتُ أهلاً أنْ أغفرَ له وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم[٤].

ختمت السورة والحمد لله وحده

---

(١) قراءة نافع في السبعة ص٦٦٠ ، والتيسير ص٢١٦ ، وقراءة يعقوب في تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٨١ ، وهي غير القراءة المشهورة عنه.

(٢) في النسخ الخطية: اتقى. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٣) سنن الترمذي (٣٣٢٨)، دون لفظة حسن، والعبارة في تحفة الأشراف ١/ ١٣٩ موافقةٌ لعبارة المصنف. وتتمة كلام الترمذي: وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت. اهـ. وأخرجه ابن ماجه (٤٢٩٩)، وهو أيضاً عند أحمد (١٢٤٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٥٦٦).

(٤) قوله: وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم، من (م).

سُورَةُ المُدَّثِّر

مكيَّةٌ[1]، وآيُها سِتٌّ وخمسونَ[2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ أي: المُتدثِّرُ، وهو لابسُ الدِّثارِ.

رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ قال: «كنتُ بحِرَاء فنُودِيتُ، فنظَرْتُ عَن يميني وشمالي فلَمْ أَرَ شَيْئًا، فنظرتُ فَوْقي فإذا هو على عرشٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ ـ يعني: الملكَ الذي ناداهُ ـ فرُعبتُ ورجعتُ إلى خديجةَ فقلت: دَثِّرُوني، فنزلَ جبرئيلُ، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»[3].

---

(١) ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٥٨) عن مقاتل: أن سورة المدثر مكية إلا قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية فإنها مدنية، ولعله مقاتل بن حيان فإن الذي في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٤٨٧) أنها مكية ولم يستثن.

(٢) انظر: «البيان» للداني (ص: ٢٥٨)، وفيه: وهي خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشافعي، وست في عدد الباقين.

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٤) و(٤٩٢٦)،، ومسلم (١٦١)، من حديث جابر رضي الله عنه. وقول المؤلف: «يَعني: الملكَ الَّذي نَاداهُ» جاء في الصحيحين بدلاً منه: «..فإذا الملك الذي جاءني بحراء..» فهذا هو المتفق عليه عند الشيخين، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: وهذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا، لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء»،

ولذلك قيل: هي أوَّلُ سُورةٍ نزلَتْ[١].

وقيل: تأذَّى مِن قُرَيشٍ فتَغطَّى بثَوبِه مُفكِّرًا، أو كانَ نائمًا مُتدثِّرًا، فنزلَتْ[٢].

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: المُتَدثِّرُ بالنبوَّةِ والكَمالاتِ النفسانيَّةِ، أو: المُختَفِي - فإنَّه كانَ بحراءٍ كالمُختَفِي فيه - على سبيلِ الاستعارةِ.

وقُرِئَ: (المُدَثَّر)[٣]؛ أي: الذي دُثِّر هذا الأمرَ وعُصِبَ به.

(٢) - ﴿قُمْ﴾ مِن مَضجعكَ، أو: قُمْ قيامَ عزمٍ وجدٍّ ﴿فَأَنذِرْ﴾ مطلقٌ للتَّعميمِ، أو مُقدَّرٌ بمَفعولٍ دلَّ عليهِ قولُه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] أو قولُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد هذا.

قال: ووجه الجمع: أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة.

وكذا قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٨): الصواب أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ﴾، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

(١) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١/ ٢٥٧)، من حديث جابر رضي الله عنه. وقد ذكره المصنف بصيغة التمريض، وقال الشهاب: «ووجهُ تمريضِه ظاهرٌ». وانظر التعليق السابق يظهر لك وجه ذلك.

(٢) روى معناه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٩٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٧٦)، من حديث جابر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب.

وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١): رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك.

(٣) أي: بتخفيف الدال وفتح الثاء المشددة، انظر: «الكشاف» (٩/ ٣٥٧)، و«البحر» (٢١/ ٦٧)، عن عكرمة.

(٣) ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: وخصِّصْ ربَّكَ بالتَّكبيرِ، وهو وَصفُهُ بالكِبرياءِ عقدًا وقَوْلًا.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا نزلَت كبَّرَ رسولُ اللهِ وأيقنَ أنَّه الوَحْيُ[1]، وذلك لأنَّ الشَّيطانَ لا يأمرُ بذلك.

والفاءُ فيه وفيمَا بعدَهُ لإفادةِ معنى الشَّرطِ، وكأنَّه قال: وما كان من شيءٍ فكبِّرْ ربَّكَ، أو الدلالةِ على أنَّ المقصودَ الأوَّلَ مِن الأمرِ بالقيامِ أن يكبِّرَ ربَّهُ عَن الشِّركِ والتَّشبيهِ، فإنَّ أوَّلَ ما يجبُ معرفةُ الصَّانعِ، وأولَ ما يجبُ بعدَ العلمِ بوجودِه تنزيهُهُ، والقومُ كانوا مُقرِّينَ بهِ.

(٤) ـ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ مِن النَّجاساتِ؛ فإنَّ التَّطهيرَ واجبٌ في الصَّلاةِ محبوبٌ في غيرِها، وذلك بغَسْلِها وتحفُّظِها عن النَّجاسةِ كتَقصيرِها مخافةَ جرِّ الذُّيولِ فيها، وهو أوَّلُ ما أُمِرَ بهِ مِن رفضِ العاداتِ المذمومةِ.

أو: طهِّرْ نفسكَ مِن الأخلاقِ الذَّميمةِ والأفعالِ الدَّنيئةِ[2]، فيكونُ أمرًا باستكمالِ القوَّةِ العمليَّةِ بعدَ أمرِهِ باستكمالِ القوَّةِ النَّظريَّةِ والدُّعاءِ إليه.

أو: فطهِّرْ دثارَ النبوَّةِ عمَّا يُدنِّسُه مِن الحقدِ والضَّجرِ وقلَّةِ الصَّبرِ.

(٥) ـ ﴿والرِّجْزَ فاهجُرْ﴾: واهجُر العذابَ بالثَّباتِ على هجرِ ما يؤدِّي إليه مِن الشِّركِ وغيرِه مِن القبائحِ.

وقرأ يعقوبُ وحَفصٌ: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بالضمِّ[3] وهو لغةٌ كالذُّكر.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠). وفي رواية الصحيحين ما يدفعه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «..فإذا الملك الذي جاءني بحراء..»، وقد تقدم في أول السورة.

(٢) في نسخة الفاروقي: «الدميمة»، وفي نسخة التفتازاني: «الذميمة».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣).

(٦) ـ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: لا تعطِ مُستكثِرًا، نهيٌ عن الاستغزارِ ـ وهو أن يهبَ شيئًا طامعًا في عوضٍ أكثرَ ـ نهيَ تنزيهٍ، أو نهيًا خاصًّا به؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «المُستغزِرُ يثابُ مِن هِبَتِه»[1]. والموجِبُ له[2]: ما فيه مِن الحرصِ والضِّنَّةِ.

أو: لا تمنُنْ على اللهِ بعِبادَتِكَ مُستكْثِرًا إيَّاها، أو على النَّاسِ بالتَّبليغِ مُستكثرًا به الأجرَ مِنْهُم، أو مُستكثرًا إيَّاهُ.

وقُرِئَ: (تَستكثِرْ) بالسُّكونِ[3] للوَقفِ، أو الإبدالِ مِن ﴿تَمْنُن﴾ على أنَّه مِن مَنَّ بكذا، و(تَستكثِرْ) بمعنى: تَجِدْه كثيرًا.

وبالنَّصبِ على إضمارِ (أنْ)[4]، وقد قُرِئَ بها[5]، وعلى هـذا يجوزُ أن يكونَ الرَّفعُ بحَذفِها وإبطالِ عملِها كما رُوِيَ:

أَحْضُـــرُ الوَغـــى[6]

بالرَّفعِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٦٥٢٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٧٠٦)، من قول شريح، وتتمته: أو ترد عليه. وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٥٨): لم أجده إلا من قول شريح.

(٢) قولُه: «والمُوجِبُ له»؛ أي: المُقتَضي للنَّهيِ عن الاستِغزارِ. قاله الشهاب.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٧)، عن الحسن.

(٤) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٣٧) عن الأعمش.

(٥) أي: (ولا تمنن أن تستكثر)، ذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٦)، وابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٤)، وهذا محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة وفي مقدمتها ابن مسعود وقراء الصحابة.

(٦) قطعة من بيت لطرفة. وهو في «ديوانه» (ص: ٢٥)، وتقدم غير مرة في هذا الكتاب.

(٧) ـ ﴿وَلِرَبِّكَ﴾: ولوَجْهِهِ أَوْ أَمْرِه ﴿فَٱصْبِرْ﴾: فاستَعمِل الصَّبرَ، أو: فاصبِرْ على مشاقِّ التَّكاليفِ وأذى المشركينَ.

(٨) ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾: نُفِخَ ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: في الصُّورِ، فاعُولٌ مِن النَّقرِ بمَعنى التَّصويتِ، وأصلهُ: القَرعُ الذي هو سَببُ الصَّوتِ، والفاءُ للسَّببيَّةِ كأنَّه قال: اصبِرْ على أذاهم فبينَ أيديهم زمانٌ صَعْبٌ تَلْقَى فيه عاقبةَ صبرِكَ، وأعداؤُكَ عاقبةَ ضرِّهِم.

و(إذا) ظرفٌ لِمَا دلَّ عليهِ قوله:

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنَّ معناهُ: عَسُرَ الأمرُ على الكافرينَ، و(ذلك) إشارةٌ إلى وقتِ النَّقرِ، وهو مبتدأٌ خبرهُ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلُهُ أو ظرفٌ لخبرِه؛ إذ التَّقديرُ: وذلك الوَقتُ[1] وقوعُ يومٍ عسيرٍ.

﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيدٌ يمنعُ أن يكونَ عسيرًا عليهم مِن وجهٍ دونَ وجهٍ، ويُشعِرُ بيُسرِهِ على المؤمنينَ.

(١١) ـ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ نزلَ في الوليدِ بنِ المغيرةِ[2]، و﴿وَحِيدًا﴾ حالٌ مِن الياءِ؛ أي: ذَرْنِي وَحدي معَهُ فإنِّي أكفيكَهُ، أو مِن التَّاءِ؛ أي: ومَن خلقتُه وَحدِي لم يَشْرَكْنِي في خلقِهِ أحدٌ، أو مِن العائدِ المَحذوفِ؛ أي: مَن خلَقْتُه فريدًا لا مالَ لهُ ولا ولدَ، أو ذمٌّ فإنَّه كانَ مُلَقَّبًا بِهِ[3]، فسَمَّاه اللهُ به تهكُّمًا، أو إرادةَ أنَّه وحيدٌ ولكنْ في الشرارةِ، أو عن أبيهِ لأنَّه كانَ زنيمًا.

---

(١) قوله: «الوقت» يحتمل الرفع والنصب كما ذكر الشهاب، وعنده: «وذلك الوقت وقت وقوع...». وضبط «الوقت» في نسخة الفاروقي بالنصب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة.

(٣) أي: بالوحيد. ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٢) ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: مَبسوطًا كثيرًا، أو: مُمَدًّا بالنَّماءِ، وكان له الزَّرعُ والضَّرعُ والتِّجارةُ.

(١٣) ـ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضورًا معه بمكَّةَ يتمتَّعُ بلقائِهم، لا يحتاجونَ إلى سفرٍ لطلبِ المعاشِ استغناءً بنِعمَتِه، ولا يحتاجُ أن يرسِلَهُم في مصالحِه لكثرةِ خدمِه.

أو: في المحافلِ والأنديةِ لوَجاهَتِهِم واعتبارِهِم، قيل: كانَ له عشرةُ بنينَ أو أكثرُ كلُّهم رجالٌ، فأسلمَ مِنْهُم ثلاثةٌ: خالدٌ وعُمارةُ وهِشامٌ[1].

(١٤) ـ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾: وبَسَطْتُ له الرِّياسةَ والجاهَ العريضَ حتى لُقِّبَ «ريحانةَ قُرَيشٍ»، و«الوحيدَ»؛ أي: باستحقاقِ الرِّياسةِ والتَّقدُّمِ.

(١٥) ـ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ على ما أوتيَه[2]، وهو استبعادٌ لطمَعِه: إمَّا لأنَّه لا مزيدَ على ما أُوتِيَ، أو لأنَّه لا يناسِبُ ما هو عليهِ مِن كُفرانِ النِّعَمِ ومُعانَدةِ المنعِمِ، ولذلك قال:

(١٦) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ فإنَّه رَدعٌ له عن الطَّمعِ، وتعليلٌ للرَّدعِ على سبيلِ الاستئنافِ بمُعاندةِ آياتِ المنعِمِ المناسِبةِ لإزالةِ النِّعمةِ المانعةِ عَن الزِّيادةِ.

قيل: ما زالَ بعدَ نزولِ الآيةِ في نقصانِ ماله حتى هلكَ.

(١) قولُه: «أسلَمَ منهم ثلاثةٌ: خالدٌ وعُمارةُ وهشامٌ» قال الشهاب: تبعَ فيه الزَّمخشريَّ، وهو غلطٌ سبقَهم إليه كثيرٌ منَ المُحدِّثينَ والمُفسِّرينَ، قالَ ابنُ حجرٍ في «الإصابةِ» (٥/ ٢١٦): والصواب خالد وهشام والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافراً، لأن قريشاً بعثوه إلى النجاشي، فجرت له معه قصة، فأصيب بعقله، وهام مع الوحش. وهو ممن دعا النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط سلى الجزور على ظهره وهو يصلي.

(٢) في نسخة الخيالي: «آتيته».

(١٧) ـ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: سأُغشيه عقبةً شاقَّةَ المصعدِ، وهو مَثَلٌ لِمَا يَلْقَى من الشدائد، وعنه عليه السَّلامُ: «الصَّعودُ جبلٌ من النارِ يَصْعدُ فيه سبعينَ خريفًا ثم يَهْوي فيه كذلك أبدًا»[١].

(١٨) ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليلٌ للوعيدِ، أو بيانٌ للعِنادِ، والمعنى: فكَّرَ فيما يخيِّلُ طعنًا في القرآنِ، وقدَّرَ في نفسِه ما يقولُ فيه.

(١٩) ـ ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجُّبٌ مِن تَقديرِه استهزاءً به، أو لأنَّه أصابَ أقصَى ما يمكنُ أن يقالَ عليه، مِن قَولِهم: «قتلَهُ اللهُ ما أشجعَهُ!»؛ أي: بلغَ في الشَّجاعةِ مَبلغًا يحقُّ بأن يُحسدَ ويدعوَ عليه حاسدُهُ بذلك.

رُوِيَ أنَّه مرَّ بالنَّبيِّ ﷺ وهو يقرَأُ (حم) السَّجدة، فأتى قومَه وقال: لقد سَمِعْتُ مِن محمَّدٍ آنِفًا كلامًا ما هو مِن كلامِ الإنسِ والجنِّ، إنَّ له لحَلاوةً وإنَّ عليه لطَلاوةً، وإنَّ أعلاهُ لَمُثمِرٌ وإنَّ أسفلَهُ لَمُغدِقٌ، وإنه ليَعْلُو ولا يُعْلَى، فقال قريشٌ: صبأَ الوَليدُ، فقالَ ابنُ أخيه أبو جهلٍ: أنا أكفيكُمُوهُ، فقعدَ إليه حزينًا وكلَّمَه بما أحماهُ، فقامَ فناداهُم[٢] فقال: تزعمونَ أنَّ مُحمَّدًا مجنونٌ، فهل رأيتموهُ يُخنَقُ؟! وتقولونَ: إنَّه كاهنٌ، فهَلْ رأيتموهُ يَتكهَّنُ؟! وتزعمونَ أنَّه شاعرٌ فهل رأيتموهُ يتعاطى شِعرًا؟

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١١٧١٢)، والترمذي (٣٣٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٠٦٥)، قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة، وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفاً.

وقول الترمذي: إنما نعرفه مرفوعاً عن حديث ابن لهيعة تعقبه ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية بأن الطبري [في تفسيره (٢٣/ ٤٢٧)] رواه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج به، لكنه قال: فيه غرابة ونكارة.

(٢) في نسخة الخيالي: «وناداهم» وفي نسخة الفاروقي: «فأتاهم».

وتَزعمُونَ أنَّه كذَّابٌ، فهلْ جَرَّبْتُم عليه شيئاً من الكذِب؟! فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحِرٌ، أمَا رأيتُموهُ يُفرِّقُ بينَ الرَّجُلِ وأهلِهِ وولدِهِ ومَواليهِ، ففَرِحُوا بقولِه وتفرَّقُوا مُتعجِّبينَ منه(١).

(٢٠) ـ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكريرٌ للمُبالغةِ، و﴿ثُمَّ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ الثَّانيةَ أبلَغُ مِن الأولى، وفيما بعدُ على أصلِها(٢).

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾؛ أي: في أمرِ القُرآنِ مرَّةً بعدَ أُخرَى ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قطَّبَ(٣) وجهَهُ لَمَّا لم يَجِدْ فيهِ طَعْنًا ولم يَدْرِ ما يقولُ، أو نظرَ إلى رَسُولِ اللهِ وقطَّبَ في وَجهِه.

﴿وَبَسَرَ﴾ إتْباعٌ لِـ﴿عَبَسَ﴾

(٢٣) ـ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عَن الحقِّ، أو الرَّسُولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عَن اتِّباعِه.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ مع زيادة الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣) عن معمر عن رجل عن عكرمة.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجود إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣).
ورواه بنحوه أيضاً البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٠)، من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٠).

(٢) قولُه: «على أنَّ الثّانيةَ أبلَغُ منَ الأولى»؛ أي: الجملةُ الثّانيةُ أبلَغُ في التَّعجُّبِ من الأولى؛ للعطفِ بـ«ثمَّ» الدّالّةِ على تفاوُتِ الرُّتبةِ، فكأنَّه قيلَ: قُتِلَ بنوعٍ مّا منَ القتلِ، لا بل قُتِلَ بأشدِّه وأبلَغِه، ولذا ساغَ العطفُ فيه مع أنَّه تأكيدٌ، وقولُه: «على أصلِها»؛ أي: مُستعملةٌ في معناها الوضعيِّ، وهو التَّراخي الزَّمانِّي مع مُهلةٍ. قاله الخفاجي.

(٣) في نسخة الخيالي: «قبض».

(٢٤) ـ ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُرْوَى ويُتعلَّمُ، والفاءُ للدَّلالةِ على أنَّه لَمَّا خطرَتْ هذه الكلمةُ بباله تفوَّهَ بها مِن غيرِ تَلبُّثٍ وتَفكُّرٍ.

(٢٥) ـ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كالتَّأكيدِ للجُملَةِ الأُولَى، ولذلك لم يُعْطَف عليها.

(٢٦ ـ ٢٨) ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدلٌ مِن ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾[1] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشَأنِها، وقوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ بيانٌ لذلك، أو حالٌ مِن ﴿سَقَرُ﴾، والعاملُ فيها مَعنى التَّعظيمِ[2]، والمَعنى: لا تُبقي على شَيءٍ يُلقَى فيها ولا تدعُهُ حتى تُهلكَهُ.

(٢٩) ـ ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي: مُسوِّدَةٌ لأعالي الجلدِ، أو: لائحةٌ للناسِ. وقُرِئَت بالنَّصبِ[3] على الاختصاصِ.

(٣٠) ـ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَلَكًا، أو صِنفًا مِن الملائكةِ يَلُونَ أمرَها، والمخصِّصُ لهذا العددِ: أنَّ اختلالَ النُّفوسِ البَشَريَّةِ في النَّظرِ والعملِ بسببِ القُوَى الحيوانيَّةِ الاثنتي عشرةَ، والطبيعيَّةِ السَّبعِ، أو أن جهنَّمَ سبعُ دَركات: سِتٌّ منها لأصنافِ الكُفَّارِ، وكلُّ صنفٍ يعذَّبُ بتركِ الاعتقادِ والإقرارِ والعملِ أنواعًا مِن العَذابِ تُناسِبُها، وعلى كلِّ نوعٍ مَلَكٌ أو صنفٌ يتولَّاهُ، وواحدةٌ لعُصَاةِ الأُمَّةِ يُعذَّبونَ فيها بتركِ العملِ نوعًا يُناسِبُه ويتولَّاهُ مَلَكٌ أو صِنفٌ.

---

(١) قولُه: «بدلٌ من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾...» على المعنيَينِ، وهو بدلُ اشتمالٍ؛ لاشتمالِ «سقَر» على الشَّدائدِ، وعلى الجبلِ منَ النَّارِ. قاله الخفاجي.

(٢) قولُه: «والعاملُ فيها معنَى التَّعظيمِ»؛ أي: أُعظِّمُ سقَرَ وأُهوِّلُ أمرَها حالةَ كونِها مُفْنِيةً لكلِّ ما يُلقَى فيها، وإنَّما جَعلَ العاملَ معنويًّا مأخوذًا من الكلامِ كما ذهبَ إليه أبو البقاءِ؛ لأنَّ سقَرَ مبتدأٌ أو خبرٌ، ولا تجيءُ الحالُ منه؛ لأنَّ الابتداءَ عاملٌ ضعيفٌ لا ينصِبُ الحالَ. قاله الخفاجي.

(٣) حكاها أبو معاذ كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥).

أو أنَّ السَّاعاتِ أربعةٌ وعشرونَ: خمسٌ منها مصروفةٌ في الصَّلاةِ، فيبقى تسعةَ عشرَ قد تُصرَفُ فيما يؤاخَذُ به بأنواعٍ مِن العذابِ يَتولَّاها الزَّبانيَةُ.

وقُرِئَ: ﴿تِسْعَةَ عْشَرَ﴾ بسكونِ العينِ[1] كراهةَ تَوالي الحَركاتِ فيما هو كاسمٍ واحدٍ.

و: (تِسعةَ أَعْشُرٍ)[2]: جمعُ عشيرٍ كيَمينٍ وأَيْمُنٍ؛ أي: تسعةٌ كلٌّ عشيرُ جمعٍ[3]، يعني: نقيبَهُم، أو جمعُ عشرٍ فيكونُ تِسعينَ.

(٣١) - ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليُخالِفُوا جنسَ المعذَّبينَ فلا يَرِقُّوا لهم ولا يستروِحُوا إليهِم، ولأَنَّهُم أقوى الخلقِ بأسًا وأشدُّهُم غضبًا للهِ.

رُوِيَ أنَّ أبا جهلٍ لَمَّا سَمِعَ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال لقُريشٍ: أيعجزُ كلُّ عشرةٍ مِنْكُم أن يبطشُوا برجلٍ مِنْهُم، فنزلَتْ[4].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وما جَعَلْنا عددَهُم إلَّا العددَ الذي اقتضى فتنتَهُم، وهو التِّسعةَ[5] عشرَ، فعبَّرَ بالأثرِ عن المؤثِّرِ تَنبيهًا على أنَّه لا ينفكُّ منه.

وافتِتانُهُم به: استقلالُهُم له، واستهزَاؤُهُم بهِ، واستِبعادُهُم أن يتولَّى هذا العددُ القَليلُ تَعذيبَ أكثَرِ الثَّقلينِ، ولعلَّ المرادَ الجعلُ بالقـولِ ليَحْسُنَ تَعليلُهُ بقولِهِ:

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٣٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قولُه: «كلٌّ» بالتَّنوينِ، و«عشيرُ جمعٍ» بالإضافةِ؛ أي: نقيبُ جماعةٍ منَ الملائكةِ. قاله الخفاجي.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٦٠) عن ابن عباس وقتادة والضحاك، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وعن قتادة، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٤) عن السدي، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٤).

(٥) في نسخة الخيالي: «تسعة».

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: ليكتَسِبُوا اليقينَ بنبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ وصدقِ القرآنِ لمَّا رأَوْا ذلك مُوافِقًا لِمَا في كِتابِهم(١).

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بالإيمانِ بهِ، أو بتَصديقِ أهلِ الكتابِ له.

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: في ذلك، وهو تأكيدٌ للاستيقانِ وزيادةِ الإيمانِ، ونفيٌ لِمَا يَعْرِضُ للمتيقِّن حيثُما عراهُ شبهَةٌ.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، أو: نفاقٌ، فيكونُ إخبارًا بمكَّةَ عمَّا سيكونُ في المدينةِ بعد الهجرةِ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الجازمونَ في التَّكذيبِ: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: أيَّ شيءٍ أرادَ بهذا العددِ المستغرَبِ استغرابَ المثلِ؟

وقيل: لَمَّا استبعَدُوهُ حَسِبُوا أنَّه مَثَلٌ مَضروبٌ.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: مثلَ ذلك المذكورِ مِن الإضلالِ والهدى يضلُّ الكافرينَ ويهدي المُؤمنينَ.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: جموعَ خَلقِه على ما هُـمْ عليهِ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا سبيلَ لأحَدٍ إلى حصرِ المُمكِنَاتِ والاطِّلاعِ على حقائقِها وصِفاتِها، وما يوجِبُ اختِصاصَ كلٍّ مِنها بما يخصُّهُ مِن كمٍّ وكيفٍ واعتبارٍ ونِسبَةٍ

---

(١) قوله: «ولعلَّ المرادَ الجعلُ بالقولِ» فالمعنى: ما قلنا: إن عدتهم تسعة عشر إلا ليسمعوه ويكتسبوا به اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن حين يرون ذلك موافقاً لما في كتابهم، وإنما صرف المعنى إلى الجعل بالقول لأن الجعل بمعنى الفعل ما لم يخبروا به ويسمعوه لا يكون سبباً لاكتسابهم اليقين فإن أحد أسباب العلم سماع القول، والفرق بين الجعل بالقول والجعل بالفعل مثل الفرق بين قولك: «جعلتُ وصفَ زيدٍ أحمرَ» وقولك: «جعلتُ وصفَه الحمرة»، فإن الأول جعلٌ بالقول معناه: وصفتُه بالحمرة، والوصف يكون بالقول؛ أي: قلت: «زيد أحمر»، والثاني جعلٌ بالفعل معناه: صيرته وكونته أحمر. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٩/ ٤٢٧).

﴿وَمَا هِيَ﴾: وما سَقرُ، أو عدةُ الخزنةِ، أو السُّورةُ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ إلا تذكرةٌ لهم.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لِمَن أنكرَهَا، أو إنكارٌ لأَنْ يتذكَّرُوا بها ﴿والقَمرِ واللَّيلِ إذا دَبرَ﴾؛ أي: أدبرَ؛ كقَبَلَ بمعنى: أقبلَ.

وقرأ نافعٌ وحمزةُ ويعقوبُ وحفصٌ: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾[١] على المُضِيِّ.

(٣٤) ـ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: أضاءَ.

(٣٥) ـ ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإِحدَى البَلايا الكُبَرِ؛ أي: البَلايا الكُبَرُ كثيرةٌ وسَقَرُ واحدةٌ منها، وإنَّما جمعَ كُبْرَى على كُبَرٍ إلحاقًا لها بفُعْلَةٍ تَنزيلًا للألفِ مَنزِلَةَ التَّاءِ[٢] كما أُلْحِقَت «قاصِعَاءُ» بقاصِعَةٍ فجُمِعَتْ على: قَواصِعَ.

والجملةُ جوابُ القَسَمِ، أو تَعليلٌ لـ﴿كَلَّا﴾ والقَسَمُ معترِضٌ للتَّأكيدِ.

(٣٦) ـ ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ تمييزٌ لـ(إحدى الكُبَرِ)؛ أي: لإحـدى الكُبرِ إنذارًا، أو حالٌ عمَّا دلَّتْ عليه الجملةُ؛ أي: كَبُرتْ مُنذِرةً، وقُرِئَ بالرفع[٣] خبرًا ثانيًا أو خبرًا لمحذوف.

(٣٧) ـ ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدلٌ من ﴿لِلْبَشَرِ﴾؛ أي: نذيرًا للمُمَكَّنين[٤] من السَّبْقِ إلى الخير والتخلُّفِ عنه، أو ﴿لِمَن شَاءَ﴾ خبرٌ لـ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ فيكونُ في معنى قولِه: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣).

(٢) قولُه: «إلحاقًا لها بفُعْلَةٍ» لأنَّ المُطَّرِدَ جمعُه على «فُعَلٍ»: «فُعْلَةٌ»، دونَ «فُعْلَى»، فنُزِّلتِ الألفُ منزلةَ التَّاءِ. قاله الشهاب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٣) عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه.

(٤) في نسخة التفتازاني: «للمتمكنين».

(٣٨) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونةٌ عندَ اللهِ، مصدَرٌ كالشَّتيمةِ أُطلِقَتْ للمَفعولِ كالرَّهنِ، ولو كانت صِفَةً لقيلَ: رهينٌ.

(٣٩) ـ ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنَّهُم فكُّوا رِقابَهُم بما أحسَنُوا مِن أَعمالِهم، وقيل: هم الملائكةُ أو الأطـفالُ.

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ لا يُكتَنَهُ وَصفُها، وهي حالٌ مِن ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ أو ضميرِهِم في قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: يسألُ بَعضُهُم بَعضًا، أو يسألونَ غيرَهُم عن حالِهم؛ كقولك: تَداعيناهُ؛ أي: دَعَوْناه، وقولُه:

(٤٢) ـ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ بجوابِهِ حكايةٌ لِمَا جرى بينَ المسؤولينَ والمجرمينَ أجابُوا بها.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ الصَّلاةَ الـواجـبةَ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ مـا يَـجِـبُ إعطاؤُهُم، وفيه دليلٌ على أنَّ الكُفَّارَ مُخاطَبونَ بالفُروعِ.

(٤٥) ـ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾: نَشْرَعُ في الباطلِ مع الشَّارعينَ فيه.

(٤٦) ـ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أخَّره لتَعظيمِه؛ أي: وكنَّا بعد ذلك كلِّه مُكذِّبينَ بالقيامةِ.

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾: الموتُ ومُقدِّماتُه ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لو شفَعُوا لهم جميعًا.

(٤٩) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: مُعرِضينَ عَن التَّذكيرِ، يعني: القرآنَ أو مـا يعمُّهُ، و﴿مُعْرِضِينَ﴾ حالٌ.

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ شبَّهَهُم في إعراضِهِم ونِفارِهِم عن استماعِ الذِّكرِ بحُمُرٍ نافرةٍ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾؛ أي: أَسَدٍ، فَعْوَلَةٌ مِن القَسرِ وهو القهرُ. وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء[1].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٥٢) ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: قراطيس تُنشرُ وتُقرأُ، وذلك أنَّهم قالوا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: لن نتَّبعكَ حتَّى تأتيَ كُلًّا منَّا بكتابٍ مِن السَّماءِ فيها: مِن اللهِ إلى فلانٍ اتَّبعْ محمَّدًا.

(٥٣) ـ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن اقتراحِهِم الآياتِ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضُوا عَن التَّذكرَةِ، لا لامتناعِ إيتاءِ الصُّحُفِ.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عن إعراضِهِم ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ وأيُّ تذكرةٍ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: فمَنْ شاءَ أن يذكرَهُ.

(٥٦) ـ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذكرَهُم، أو مشيئتَهُم كقولِه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وهو تصريحٌ بأنَّ فِعْلَ العبدِ بمَشيئَةِ اللهِ.

وقرأ نافعٌ: ﴿تَذْكُرُونَ﴾ بالتَّاءِ[١]، وقُرِئَ بهما مُشدَّدًا[٢].

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيقٌ بأنْ يُتَّقَى عِقابُه ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حقيقٌ بأن يَغفِرَ عبادَهُ[٣] سيَّمَا المتَّقينَ مِنْهُم.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ المدَّثِرِ أعطاهُ اللهُ عشرَ حَسَناتٍ بعددِ مَن صدَّقَ بمُحمَّدٍ وكذَّبَ به بمكَّةَ».

***

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) بالتاء مع التشديد قراءة أبي جعفر في غير المشهور عنه، وبالياء مشدداً قراءة أبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥).

(٣) قوله: «يغفر عباده» ضمَّن «يغفر» معنى (يكرم)، فعداه بنفسه.

سورة المدثر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنّ في [ما] قبلها «وذرني والمكذبين»(٢) وفيه «إن هذه تذكرة»(٣)، فناسب «يا أيها المدثر قم فأنذر» وناسب ذكر يوم القيامة بعدُ وذِكر بعض المكذبين في قوله «ذرني ومن خلقت وحيدا»(٤).

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ المعنى قم قيام تصميم وجدّ. ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي: حذِّر عذاب الله تعالى ووقائعه. والإنذار عامّ لجميع الناس، وبَعْثُه إلى الخَلْق.

﴿فَكَبِّرْ﴾ أي: فعظِّم كبرياءه.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ الظاهر أنه أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة.

---

(١) مكية وهي ست وخمسون آية.

(٢) الآية ١١ من المزمّل.

(٣) الآية ١٩ منها.

(٤) الآية ١١.

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ العذاب. ﴿فَٱهْجُرْ﴾ أي: اهجر ما يؤدي إليه. [٥٦٣/أ] وقرىء بضم الراء[١].

﴿وَلَا تَمْنُن﴾ قال ابن عباس: لا تُعْطِ عطاء لتُعطى أكثر منه، من قولهم: منّ إذا أعطى. وقال الحسن: لا تمنن على الله بجدّك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب. والجملة حالية أي: مستكثراً.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لوجه ربك. ﴿فَٱصْبِرْ﴾ أمره بالصبر، فيتناول الصبر على تكاليف النبوة، وعلى أداء طاعات الله تعالى، وعلى أذى الكفار.

قال الزمخشري[٢]: والفاء في قوله «فإذا نقر» للتسبّب كأنه قيل: فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير، يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك. [انتهى].

والنقر: الصوت. و﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ فاعول منه، كالجاسوس مأخوذ من التجسّس.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ
صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ
ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ

(١) يعني في «الرّجز».
(٢) الكشاف ٤: ١٨١.

كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾.

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي[١]. فروي أنه كان يلقّب بالوحيد[٢]، أي: لا نظير له في ماله وشرفه في بيته. والظاهر انتصاب «وحيد» على الحال من الضمير المحذوف العائد على «مَن» أي: خلقته منفرداً ذليلاً قليلاً لا مال له ولا ولد، فآتاه الله تعالى المال والولد، فكفر نعمته، وأشرك به، واستهزأ بدينه.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ قال ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وحجور[٣] ونَعَم وجِنان وعبيد وجَوارٍ.

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أي: حضوراً معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم، فهو مستأنس بهم، منهم خالد وهشام وعمارة، وقد أسلموا، والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس.

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ أي: وطّأت له وهيّأت، وبسطت له بسطاً حتى أقام ببلده مطمئناً، يُرجع إلى رأيه. وقال ابن عباس: وسّعت له ما بين اليمن إلى الشام.

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أي: على ما أعطيته من المال والولد.

---

(١) انظر القرطبي ١٩: ٧١.

(٢) ق: بالتوحيد.

(٣) الحجور: جمع حَجْرة وهي الأنثى من الخيل.

﴿كَلَّآ﴾ قطع لرجائه وردع، أي: ليس يكون ذلك[١] مع كفره بالنعم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للرّدع على وجه الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: لِمَ لا يُزاد؟. فقال: إنه عاند آيات المنعم، وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أي: سأكلّفه وأعنته[٢] بمشقة وعسر ﴿صَعُودًا﴾ عقبة في جهنم كلما وُضع عليها شيء من الإنسان ذاب ثم يعود. والصَّعود في اللغة: العقبة الشاقة.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ روي أن الوليد حاجَّ أبا جهل وجماعة من قريش في أمر القرآن وقال: إن له لحلاوة، وإن أصله لعَذْق[٣]، وإن فرعه لَجَناة[٤]، وإنه ليَحْطِم ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعلى. فخالفوه وقالوا: هو شعر. فقال: والله ما[٥] هو بشعر، قد عرفنا الشعر هَزَجَه [ورَجَزَه] وبسيطه. قالوا: فهو كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكّهان. قالوا: هو مجنون. قال: والله ما هو بمجنون [٥٦٣/ب] لقد رأينا الجنون وخَنْقَه[٦]. قالوا: هو سحر. قال: أمّا هذا فيشبه أنه سحر[٧].

---

(١) ق: كذلك.

(٢) ق: وأغشيه.

(٣) ق: لمغدق. وتصح أيضاً: لَغَدق، والغَدَق: الماء الكثير. والعَذَق: النخلة.

(٤) يشبّهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعها إذا جُني.

(٥) ق: وما.

(٦) فوقها في ق: كذا.

(٧) انظر السيرة النبوية ١: ٢٨٨.

﴿فَكَّرَ﴾ أي: في القرآن ومن أتى به. ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: في نفسه ما يقول.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قيل: «قُتل» لُعن، وقيل: غُلب وقُهر وذلّ[١].

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي: قطب وكلح لمّا ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقول. وناسب العطف بالواو. وكان العطف في «فقال» بالفاء دلالة على التعقيب[٢]، لأنه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلّبه[٣]، لم يتمالك أن نطق به من غير تمهّل. ومعنى ﴿يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى ويُنقل. ومعنى ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي: يشبه السحر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ تأكيد لما قبله، أي: ملتقط من أقوال الناس.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قاله الزمخشري[٤]: بدل من «سأرهقه صعودا» انتهى. ويظهر أنهما جملتان، اعتقبت كل واحدة[٥] منهما - على سبيل التوعّد للعصيان[٦] - الذي قبل كل واحدة منهما. فتوعّد على كونه عنيداً لآيات الله بإرهاقه[٧] صعوداً، وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ تعظيم لهولها وشدّتها. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تبقي على من أُلقي فيها، ولا تَذَرُ غاية من العذاب إلا أَوْصَلَتْه إليها.

---

(١) ق: وذلك. وفوقها: كذا.

(٢) ق: التعقب.

(٣) ق: بطلبه.

(٤) الكشاف ٤ : ١٨٣.

(٥) ق: واحد.

(٦) ق: العصيان.

(٧) ق: بإرهاق.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال ابن عباس: معناه مغيّرة للبشرات محرقة للجلود مسوّدة لها. والبشر: جمع بشرة. تقول العرب: لاحَتِ النارُ الشيءَ إذا أحرقَتْه وسوَّدَتْه.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن أنه مَلَك. ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد مَلَك حين سمعواذلك؟ فقال أبو جهل لقريش[1]: ثَكِلَتْكُم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة[2] يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم[3]، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟. فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: وما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون. وأنزل الله تعالى في أبي جهل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [القيامة].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سبب فتنة. فـ«فتنة» مفعول ثانٍ لـ«جعلنا» أي: جعلنا تلك العدّة وهي تسعة عشر سبباً لفتنة الكفار، فليست «فتنة» مفعولاً من أجله. وفتنتهم هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطماعية في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكذّبون بالبعث وبالنار وبخزنتها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ هذا مفعول من أجله وهو متعلّق بـ«جعلنا» لا بـ«فتنة».

---

(١) انظر اللباب ص٢٢٤. والقرطبي ١٩: ٨٠.

(٢) انظر في هذه التسمية السيرة النبوية ٢: ١٢٢ (الحاشية٢).

(٣) الدَّهْم العدد الكثير.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى، إذ هم عالمون أن القرآن هو من عند الله، إذ هم يجدون ذلك في كتبهم المنزلة، ويعلمون أن الرسول عليه السلام لم يقرأها [٥٦٤/أ] ولا قرأها عليه أحد. ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ توكيد لقوله «ليستيقن» إذ إثبات اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف، لسكون النفس السكون التام.

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ لمّا سمعوا هذا العدد، لم، يهتدوا، وحاروا فاستفهم بعضهم بعضاً عن ذلك استبعاداً أن يكون هذا من عند الله. وسمّوه ﴿مَثَلًا﴾ استعارة من المثل المضروب استغراباً منهم لهذا العدد. والمعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟. ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله تعالى.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآية، الكاف في محل نصب. و«ذلك» إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضلّ الكافرين فيشكون، فيزيدهم كفراً وضلالاً، ويهدي المؤمنين فيزيدهم إيماناً. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ إعلام بأن الأمر فوق ما يُتوهّم، وأن الخبر إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها. والسماء عامرة بأنواع من الملائكة. وفي الحديث[1]: «أَطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطّ، ما فيها موضع [شبر] إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته لله تعالى ساجداً».

﴿وَمَا هِىَ﴾ أي: النار. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: الذين أُهْلكوا للتذكر والاعتبار.

---

(١) رواه أنس بن مالك مرفوعاً وإسناده ضعيف. انظر النهاية ١: ٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٥٣٢.

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ
الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا
نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ
التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ
تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ قال الزمخشري[1]: «كلا» إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون انتهى.

ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى. وإنما قوله «للبشر» عام مخصوص.

﴿ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أي: ولّى. ويقال: دبر وأدبر بمعنى واحد. أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها.

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ الظاهر أن الضمير في «إنها» عائد على النار. و«لإحدى الكبر» الدّواهي الكبر، أي: لا نظير لها، كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء. و«الكبر» العظائم من العقوبات.

(١) الكشاف ٤ : ١٨٦.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ هو محمد ﷺ. فهو منصوب بفعل مضمر أي: نادِ أو بلّغْ أو أعلنْ.

والظاهر أن ﴿لِمَن﴾ بدل من «البشر» بإعادة الجارّ و«أن يتقدم» منصوب بـ«شاء» والفاعل بـ«شاء» ضمير يعود على «مَن»، وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: لمن شاء هو - أي الله تعالى - أن يتقدّم عن طاعة الله تعالى أو يتأخر عنها.

الظاهر العموم في «كل نفس». و﴿رَهِينَةٌ﴾ بمعنى مرهونة، كالنّطيحة بمعنى المنطوحة، أنّث مراعاة لقوله «كل نفس» كما ذكّر في قوله ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور] مراعاة لـ«امرىء» وهو ذكر.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾[1] استثناء منقطع. ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ خبر. «يتساءلون» حال.

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ خطاب للمجرمين. أطلع الله المؤمنين على أحوال [٥٦٤/ب] المجرمين، فسألوهم سؤال توبيخ وتحسير، وإلاّ فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار. والجواب أنهم لم يكونوا متّصفين بخصائل الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم ارتقوا من ذلك إلى الأعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء و﴿ٱلْيَقِينُ﴾ الموت.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ أي: لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم، من باب[2]:

---

(١) إذا كان الاستثناء منقطعاً فالتقدير: لكن أصحاب اليمين في جنلت. وإذا كان متصلاً فالتقدير: هم في جنات. انظر البحر ٨: ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦.

على لا حبٍ لا يُهتدى بمناره [إذا سافَهُ العَوْد النّباطيُّ جَرْجَرا

أي: لا منار له فيُهتدى به.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ وهي مواعظ القرآن التي تذكر الآخرة. ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أي: والحال المنتظرة هذه الموصوفة.

ثم شبّههم بالحمر المستنفرة في شدة إعراضهم ونفارهم عن الإيمان وآيات الله تعالى. وقرىء بكسر الفاء، اسم فاعل. وبفتحها، اسم مفعول.

وقال ابن الأعرابي: القسورة: أول الليل. والمعنى: فرّت من ظلمة الليل. ولا شيء أشدّ نفاراً من حمر الوحش، ولذلك شبّهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفّتها. وقيل: القسورة: الرّماة والصيادون. وقيل: الأسد[١]، قاله جماعة من اللغويين.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المعرضين عن عظات الله تعالى وآياته. ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: منشورة غير مطوية تُقرأ كالكتب التي يُكاتَب بها، أو كتبت في السماء، نزلت بها الملائكة ساعة كُتبت رطبة لم تُطوَ بعدُ. وذلك أنهم قالوا للرسول عليه السلام: لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منّا بكتب من السماء عنوانها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، يؤمر[٢] فيها باتّباعك. فنزلت هذه الآية[٣].

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إعراضهم عن التذكرة. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾

---

(١) ق: أو الأسد.

(٢) ق: نؤمن.

(٣) انظر اللباب ص ٢٢٤.

ذكّر في «إنه»[١] وفي «ذَكَره» لأن التذكرة ذِكرٌ.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أهل أن يُتّقى ويُخاف، وأهل أن يغفر.

(١) ق: آية. وفوقها وفوق «ذكره»: كذا.

مفردات سورة المدثر

تَدَثَّر: لَبِسَ الدِّثارَ، وهو الثوبُ الذي فوقَ الشِّعار، والشِّعارُ: الثوبُ الذي يلي الجسد، ومنه قوله ﷺ: «الأنصار شِعارٌ والناسُ دِثار»[1].

النَّقْرُ: الصَّوْتُ، قال الشاعر:

أُخَفِّضُهُ بالنَّقْرِ لمَّا عَلَوْتُهُ ويَرْفَعُ طَرْفاً غيرَ جافٍ[2] غَضِيضِ[3]

وقال الراجز:

أنا ابنُ ماوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ[4]

يريد: النَّقْرَ، فنقلَ الحركةَ[5]، فالناقُور فاعُول منه، كالجاسُوس مأخوذٌ من التجسُّس.

عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعُبُوساً: قَطَّبَ، والعَبْسُ: ما تعلَّق بأذناب الإبلِ من أبعارِها وأبوالِها، قال أبو النَّجْم:

---

(١) هو قطعة من حديث عبد الله بن زيد في قصة قَسْم الغنائم يومَ حنين، أخرجه أحمد (١٦٤٧٠) والبخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٢) في (يه): خاف.

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٧٥. قال شارحُه: يقول: لما نزلتُ إليه فركبتُه أبدَى شدة الحركة والنشاط، فجعلتُ أُخفِّضُهُ بالنَّقْر، والنَّقْر: صوتٌ يُسَكِّنُ به الفرس. وقولُه: ويرفعُ طَرْفاً غير جافٍ غضيض، أي: لا يجفُو نظرُه عن شخص، ولا يغضُّه عنه.

(٤) نُسب الرَّجَز في اللسان (نقر) لعُبيد بن ماويَّة الطائيّ، وسلف في تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة.

(٥) قال في «اللسان» (نقر): لما وقفَ نقلَ حركة الراء إلى القاف، وهي لغة لبعض العرب، تقول: هذا بَكُرْ، ومررتُ بِبَكِرْ.

كــأنَّ فـــي أذنـــابِـهِـــنَّ الـــشُّـــوَّلِ   مـن عَـبَـسِ الـصَّـيْـفِ قُـرُونَ الإيَّـلِ[(١)]

بَسَرَ: قبضَ ما بين عينيه وارْبدَّ وجهُه، قال:

صَـبَـحْـنـا تـمـيـمـاً غَـدَاةَ الـجِـفـار   بـشَـهْـبَـاءَ مَـلْـمُـومَـةٍ بـاسِـرَهْ[(٢)]

وأهلُ اليمن يقولون: بَسَرَ المركبُ وأبْسَرَ: إذا وقَفَ، وقد أبْسَرْنا، وتقولُ العرب: وجهٌ باسرٌ بَيِّنُ البُسُور: إذا تغيَّر واسودَّ[(٣)].

لَاحَهُ الشيءُ: غَيَّرَ خِلْقَتَهُ[(٤)]، قال:

تَــقُــولُ مــالَاحَــكَ يــا مـســافـرُ   يـا ابـنـةَ عـمِّـي لَاحَـنـي الـهَـوَاجِـرُ[(٥)]

وقال آخر:

وتَـعْـجَـبُ هـنـدٌ أنْ رَأَتْـنِـيَ شـاحِـبـاً   تـقـول لـشـيء لَـوَّحَـتْـهُ الـسَّـمـائـمُ[(٦)]

وقال الأخفش: اللَّوْحُ شدَّةُ العَطَش، لاحَهُ العطشُ ولَوَّحَهُ: غَيَّرَهُ، قال الشاعر:

سَـقَـتْـنِـي عـلـى لَـوْحٍ مـن الـمـاءِ شَـرْبَـةً   سَـقَـاهـا بـه اللهُ الـرِّهـامَ الـغَـوَادِيـا[(٧)]

ويقال: الْتَاحَ، أي: عَطِشَ.

---

(١) ديوان أبي النَّجم العجلي ص١٩١. قوله: شُوَّل، جمع شائل، وهي الناقة التي تَشُولُ بذنبها للّقاح (أي: ترفعه)، والإيَّل: الذَّكَر من الأوعال، وينظر إصلاح المنطق ص٩٥-٩٦، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٧٦، واللسان (شول).

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٩، ونُسب فيهما لِبشر بن أبي خازم.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٩.

(٤) في (يه): غيَّر حليته واسودَّ.

(٥) الرَّجز في الكشاف ٤/ ١٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢، وجاء البيت الثاني في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢. والسمائم: جمع سَمُوم، وهي الريح الحارَّة، أو الحرّ الشديد.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤٣، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٨٣ وقال: الرِّهام جمع رِهْمة، بالكسر، وهي المطرة الضعيفة.

القَسْوَرَة: الرُّماةُ والصَّيَّادون؛ قاله ابنُ كَيْسان، أو الأسد؛ قاله جماعةٌ من اللغويين(١)، قال:

مُـضَـمَّـرٌ تـحـذَرُهُ الأبـطـالُ
كـأنَّـه الـقَـسْـوَرَةُ الـرِّئـبـالُ(٢)

أو الرِّجالُ الشِّداد(٣)، قال لَبِيد:

إذا ما هَتَفْنَا هَتْفَةً في نَدِيِّنا ... أتانا الرِّجالُ العاندون(٤) القَسَاوِرُ

أو ظُلْمَةُ أوَّلِ الليل، لا ظُلْمَةُ آخِرِه، قاله ابنُ الأعرابيّ وثعلب(٥).

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا
تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا
١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦ سَأُرْهِقُهُۥ
صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٩-٤٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٠.
(٢) الرَّجز في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩. قوله: الرِّئبال (أو الرِّيبال) أي: الأسد.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠١.
(٤) في (أ) ومطبوع البحر: الصائدون، وهو كذلك في ديوان لَبِيد ص٣٥١، وفي (ت) و(ع): العائدون، وهو كذلك في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٢، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠١: العابدون، والمثبت من (يه)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩.
(٥) هو عن ابن الأعرابي في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠١، وعن ثعلب في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩.

وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

هذه السورة مكية، قال ابن عطيَّة: بإجماع[(١)]، وفي «التحرير»[(٢)] قال مقاتل: إلا آية، وهي ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾[(٣)].

ومناسبتُها لما قبلَها أنَّ فيما قبلَها: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ وفيه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ فناسبَ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ وناسب ذكرُ يوم القيامة بعد ذكر[(٤)] بعض المكذبين في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

قال الجمهور: لمَّا فَرَغَ من رؤية جبريلَ على كرسيّ بين السماء والأرض فرُعِبَ منه ورَجَع إلى خديجة فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني[(٥)]، نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾.

قال النَّخعي وقتادة وعائشة: نُودِيَ وهو في حالِ تَدَثُّر، فدُعيَ بحالٍ من أحوالِه، ورُوِيَ أنه كان تدثَّر في قَطِيفة[(٦)].

قيل: وكان سَمِعَ من قريش ما كرهه فاغتمَّ وتغطَّى بثوبه مفكِّراً، فأُمِرَ أن لا يدعَ إنذارَهم وإنْ أسمعُوه وآذَوْه[(٧)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.
(٢) وهو التحرير والتنوير لابن النقيب شيخ المصنف، تكرَّر ذكره مراراً وفي المقدِّمة.
(٣) وقول مقاتل أيضاً في زاد المسير ٨/ ٣٩٨.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: وذكر، والمثبت من النهر الماد بهامش المطبوع ٨/ ٣٦٩.
(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: زَمِّلوني دثِّروني، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وأصل الخبر في صحيح البخاري (٤)، وصحيح مسلم (١٦١).
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.
(٧) الكشاف ٤/ ٣٧٠، وقد ردَّ ابنُ العربي هذا الكلام ونقله عنه القرطبي في تفسيره ٢١/ ٣٥٥.

وقال عكرمة: معناه: يا أيها المُدَثَّر للنبوَّة وأثقالِها، كما قال في المُزَمَّل[(١)].

وقرأ الجمهور: «المدَّثِّر» بشدِّ الدَّال، وأصلُه المُتَدَثِّر، فأدغم، وكذا هو في حرف أُبيّ على الأصل[(٢)].

وقرأ عكرمة بتخفيف الدَّال كما قُرِئ بتخفيف الزاي في «المُزَمِّل» أي: دَثَّرَ نفسَه[(٣)]، وعن عكرمة أيضاً فتحُ التاء، اسمُ مفعول[(٤)]، وقال: دُثِّرتَ هذا الأمرَ وعُصِبَ بك[(٥)].

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ أي: قُمْ من مضجعك، أو «قُمْ» بمعنى الأخذ في الشيء، كما تقول: قام زيدٌ يضربُ عَمراً، أي: أخذَ، وكما قال:

عـلـى مـا قـامَ يَـشْـتِـمُـنـي لَـئِـيـمٌ[(٦)]

أي: أخذَ، والمعنى: قُم قيامَ تصميم وجِدٍّ ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي: حَذِّرْ عذابَ الله ووقائعَه.

والإنذارُ عامّ لجميع الناسِ وبِعْثةٌ إلى الخلق.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ أي: فعَظِّمْ كبرياءَه، وقال الزمخشريّ[(٧)]: واختصَّ ربَّك بالتكبير، وهو الوصفُ بالكبرياء، وأن يقال: الله أكبر. انتهى.

---

(١) هو معنى قول عكرمة مُفَسَّراً به قراءتَه بتخفيف الدال وتشديد الثاء المفتوحة على أنه اسم مفعول من «دَثَّرَ»، كما سيرد، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، والكشاف ٤/ ١٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٥٤، وزادَ ابنُ الجوزي نسبتها في زاد المسير ٨/ ٣٩٩ لأبي عِمْران والأعمش. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣-١٦٤، والمحتسب ٢/ ٢٣٥.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٤، والكشاف ٤/ ١٨٠، وبعده في الطبري: فقُمْ به.. اهـ. ومعنى: عُصِبَ بك، أي: شُدَّ. قاله الآلوسي.

(٦) هو صدرُ بيت لحسان، وعجزُه: كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ. وهو في ديوانه ص٧٩.

(٧) الكشاف ٤/ ١٨٠.

وهذا على مذهبه من أنَّ تقديمَ المفعول على الفعل يدلُّ على الاختصاص. قال: ودخلت الفاء لمعنى الشرط، كأنه قيل: وما كان فلا تَدَعْ تَكْبِيرَهُ. انتهى.

وهو قريبٌ ممَّا قَدَّرَه النُّحاة في قولك: زيداً فاضرِبْ، قالوا: تقديرُه تَنَبَّهْ فاضْرِبْ زيداً، فالفاء هي جوابُ الأمر، وهذا الأمرُ إمَّا مضمَّنٌ معنى الشرط، وإمَّا الشرطُ بعده محذوفٌ على الخلاف الذي فيه عند النُّحاة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ الظاهرُ أنه أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات، لأنَّ طهارةَ الثِّياب شرطٌ في صحَّة الصلاة، ويقبُح أن تكون ثيابُ المؤمن نجسةً، والقولُ بأنها الثيابُ حقيقةً هو قولُ ابنِ سِيرِين وابنِ زيد والشافعيّ[1]، ومن هذه الآية ذهبَ الشافعيُّ إلى وجوبِ غسلِ النّجاسةِ من ثيابِ المصلِّي.

وقيل: تطهيرُها تقصيرُها ومخالفةُ العربِ في تطويل الثيابِ وجَرِّهِم الذُّيُولَ على سبيل الفخر والتكبُّر، قال الشاعر:

ثُمَّ راحُوا عَبَقُ المِسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الأرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ[2]

ولا يُؤمنُ إصابتُها النجاسة، وفي الحديث: «إِزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصافِ ساقَيه، لا جُناحَ عليه فيما بينَه وبينَ الكعبين، ما كان أسفلَ من ذلك ففي النار»[3].

وذهب الجمهور إلى أنَّ الثيابَ هنا مجاز، فقال ابنُ عبَّاس والضحَّاك: تطهيرُها أن لا تكون تتلبَّس بالغدر والفجور[4].

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.

(٢) البيت لطَرفَةَ بن العبد، وهو في ديوانه ص٥٥، وسلف في تفسير البقرة (٢٧٣)، قوله: يُلْحِفُون الأرض، أي: يجعلونها كاللِّحاف، أي: يُلبسونها إيَّاها، وهُدَّاب: خَمَلُ الثوب.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١١٠١٠) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وصحَّحه ابنُ حبان (٥٤٤٧)، وتتمة الحديث: لا ينظرُ الله إلى من جَرَّ إزارَهُ بَطَراً.

(٤) لفظة «والفجور» من (يه)، والقول بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣. وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٠.

وقال ابن عبَّاس وابن جُبير أيضاً: كَنَى بالثياب عن القلب كما قال امرؤ القيس:

فسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تَنْسُلِ[١]

أي: قلبي من قلبك.

وعلى الطهارة من الغَدْر، وأنشَدَ قولَ غيلانَ بنِ سَلَمَةَ الثقفيّ:

فإني بحمدِ اللهِ لا ثَوْبَ غادرٍ لَبِسْتُ ولا من غَدْرَةٍ[٢] أتقنَّعُ[٣]

وقيل: كناية عن طهارةِ العمل، المعنى: وعملَكَ فأَصْلِحْ. قاله مجاهد وابنُ زيد.

وقال ابنُ زيد: إذا كان الرجلُ خبيثَ العمل قالوا: فلانٌ خبيثُ الثياب، وإذا كان حَسَنَ العمل قالوا: فلان طاهرُ الثياب، ونحوُ هذا عن السُّدِّيّ، ومنه قولُ الشاعر:

لا هُمَّ إنَّ عامِرَ بنَ جَهْمِ أوْذَمَ حَجًّا في ثيابٍ دُسْمِ[٤]

أي: دَنِسة بالمعاصي.

وقيل: كَنَى عن النَّفس بالثياب، قاله ابنُ عباس، قال الشاعر:

فشَكَكْتُ بالرُّمح الطويلِ ثيابَه[٥]

---

(١) ديوان امرئ القيس ص١٣، وسلف في تفسير الآية (٢٠٥) من سورة البقرة.

(٢) في المطبوع: خزية، وهي رواية كما في التعليق التالي.

(٣) سلف في تفسير الآية (٥٢) من سورة الإسراء، ونسبه صاحب الأغاني ١٦/ ٢٣٥-٢٣٦ لبرذع بن عديّ في قصيدة له، برواية: فاجر، بدل: غادر، وخزية، بدل: غدرة.
وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٥، والنكت والعيون ٦/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٠.

(٤) سلف الرجز في تفسير الآية (٣٠) من سورة آل عمران.

(٥) هو صدرُ بيت لعنترة، وعجزُه: ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ، وهو في ديوانه ص٢٦، وقول ابن عباس في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٦، والقرطبي ٢١/ ٣٦٠، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٣٦.

وقال آخر:

ثيابُ بني عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وأوْجُهُهُمْ عندَ المَشاهِدِ غُرَّانُ[(١)]

أي: أنفسُهم.

وقيل: كَنَى بها عن الجسم، قالت ليلى وقد ذَكَرَتْ إبلاً:

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلا تَرَى لها شَبَهاً إلا النَّعامَ المُنَفَّرَا

أي: ركبُوها فرَمَوْها بأنفسهم[(٢)].

وقيل: كناية عن الأهل؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والتَّطَهُّرُ فيهنَّ اختيارُ المؤمنات العفائف، وقيل: وطئهنَّ[(٣)] في القُبُل لا في الدُّبُر، في الطُّهْر لا في الحيض، حكاه ابنُ بحر.

وقيل: كناية عن الخُلُق، أي: وخُلُقَكَ فحسِّنْ. قاله الحسن والقُرَظيّ[(٤)]، ومنه قوله:

ويَحْيَى ما يُلامُ بسوءِ خُلْقٍ ويَحْيَى طاهِرُ الأثوابِ[(٥)] حُرُّ[(٦)]

أي: حسنُ الأخلاق.

وقرأ الجمهور: «والرِّجْزَ» بكسر الراء، وهي لغةُ قريش، والحسنُ ومجاهدٌ

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٣، وسلف في تفسير آل عمران (٢٤).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص١٠٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٣) كذا اللفظة بالجرّ، على تقدير: كنايةٌ عن وطئهنَّ. وينظر القولان في النكت والعيون ٦/ ١٣٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٤) هو محمد بن كعب القُرَظي، وتحرَّف في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: القرطبي. والقول في تفسير البغوي ٤/ ٤١٣، وزاد المسير ٨/ ٤٠١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٥) في (ت): الأثياب.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٢، ونسب المبرّد في الكامل ١/ ٦١ أربعة أبيات لكثيّر، وفيها:

وما بي أنْ أكونَ أعِيبُ يحيى ويحيى طاهرُ الأثوابِ بَرُّ

والسُّلَميُّ وأبو جعفر وشيبة[١] وابنُ مُحَيْصِن وابنُ وثّاب وقتادة والنَّخَعي وابنُ أبي إسحاق والأعرج وحفص بضمِّها[٢]، فقيل: هما بمعنًى واحدٍ يُرادُ بهما الأصنام والأوثان، وقيل: الكسر للنَّتَنِ والنقائصِ والفجور، والضمُّ لصنمين إساف ونائلة.

وقال عكرمة ومجاهد والزُّهري: للأصنام عموماً.

وقال ابن عباس: الرِّجْز: السُّخْط، أي: اهْجُرْ ما يؤدِّي إليه.

وقال الحسن: «الرِّجْز» كلُّ معصية[٣].

والمعنى في الأمر: اثْبُتْ ودُمْ على هَجْرِهِ، لأنه ﷺ كان بريئاً منه[٤].

وقال النخعي: «الرِّجز» الإثم[٥]، وقال القُتَبيّ: «الرِّجز» العذاب، أي: اهْجُرْ ما يؤدِّي إليه[٦].

وقرأ الجمهور: «ولا تَمْنُنْ» بفكّ التضعيف، والحسنُ وأبو السَّمَّال بشدّ النون[٧].

قال ابنُ عبَّاس وغيرُه: لا تُعْطِ عطاءً لتُعْطَى أكثرَ منه، كأنَّه من قولهم: مَنَّ: إذا أَعْطَى.

قال الضحَّاك: هذا خاصٌّ به ﷺ، ومباحٌ ذلك لأمَّتِه، لكنه لا أجرَ لهم.

---

(١) في المطبوع: أبو شيبة، وهو خطأ.
(٢) قراءة حفص عن عاصم من السبعة، ينظر السبعة ٦٥٩، والتيسير ص٢١٦، وقراءة أبي جعفر (وهو من العشرة) في النشر ٢/ ٣٩٣، وقرأ بها أيضاً يعقوب من العشرة، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وزاد المسير ٨/ ٤٠١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ (ولفظ الأقوال منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.
(٤) الكشاف ٤/ ١٨١.
(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٥.
(٦) ينظر تأويل مشكل القرآن ص٣٦١.
(٧) القراءات الشاذة ص١٦٤، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٦٨.

وعن ابن عباسٍ أيضاً: لا تَقُل: دعوتُ فلم أُجَبْ.

وعن قتادة: لا تُدِلَّ بعملِك.

وعن ابن زيد: لا تَمْنُنْ بنبوَّتِك تستكثرُ بأجْرٍ أو كَسْبٍ تطلبُه منهم.

وقال الحسن: لا تَمْنُنْ على اللهِ بِجِدِّكَ تستكثرُ أعمالَك ويقعُ لك بها إعجاب.

وهذه الأقوال كلُّها من المنِّ تعدادِ اليدِ وذكرها[1].

وقال مجاهد: «ولا تمنن»: لا تَضْعُفْ تستكثرُ ما حمَّلْناكَ من أعباءِ الرِّسالة، أو تستكثر من الخير، من قولهم: حَبْلٌ مَنِين، أي: ضعيف.

وقيل: ولا تُعْطِ مستكثراً رائياً لما تعطيه.

وقرأ الجمهور: «تستكثرُ» برفع الراء، والجملة حالية، أي: مستكثراً.

قال الزمخشريّ: ويجوزُ في الرفع أن تحذف «أنْ» ويبطلَ عملُها كما رُوِيَ: أحضرُ الوَغَى، بالرفع. انتهى[2].

وهذا لا يجوز أن يُحمل القرآنُ عليه، لأنه لا يجوزُ ذلك إلا في الشِّعر، ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال، أي: مستكثراً.

وقرأ الحسن وابنُ أبي عَبْلة بجزم الراء[3]، ووجهُه أنه بدلٌ من «تَمْنُنْ»، أي: لا تَسْتَكْثِرْ، كقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الفرقان:٦٩] في قراءة من جَزَم بَدَلاً من قوله: «يَلْقَ» وكقوله:

متى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا في دِيارِنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تَأَجَّجَا[4]

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ (والكلام فيه): من المنِّ الذي هو تعديدُ اليد وذكرها، وتنظر الأقوال بنحوها (مع اختلاف في نسبة بعضها) في تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٥-٤١٦، وزاد المسير ٨/ ٤٠٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨١. وقولُه: أحضر الوغى، قطعة من بيت لطَرَفَةَ بن العَبْد؛ صدرُه: ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوغى. وسلف في تفسير البقرة (٨٣) والروم (٢٤).

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٢٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣.

(٤) سلف في تفسير البقرة (٤٩) والفرقان (٦٩).

ويكون من المَنِّ الذي في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] لأن من شأن المنَّانِ أن يستكثر ما يعطي، أي: يراه كثيراً ويعتَدُّ به.

وأجازَ الزمخشريّ[١] فيه وجهين:

أحدهما: أن تشبَّه «ثِرُوَ»[٢] بـ «عَضُد» فيُسكَّن تخفيفاً[٣].

والثاني: أن يعتبرَ حالَ الوقف. يعني فيُجرِي الوصلَ مُجرى الوقف.

وهذان لا يجوزُ أن يُحْمَلَ القرآنُ عليهما مع وجودِ ما هو راجحٌ عليهما، وهو البَدَل.

وقرأ الحسن أيضاً والأعمش: «تَسْتَكْثِرَ» بنصب الراء[٤] على إضمار «أنْ» كقولهم: مُرْهُ يَحْفِرَها، بنصب الراء[٥]، أي: أن يَحْفِرَها[٦]، وقرأ ابنُ مسعود: «أن تستكثر» بإظهار «أنْ»[٧].

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ أي: لوجْهِ ربِّك، أمرَهُ بالصَّبر، فيتناولُ الصبرَ على تكاليف النبوَّة، وعلى أداء طاعة الله، وعلى أذى الكفار.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨١.

(٢) يعني أخذ الثاء والراء آخر «تستكثر» مع واو العطف التي بعدها في قوله: «ولربِّك».

(٣) وذكر السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٣٧ مثالاً آخر وهو تسكين باء «أشْرَب» في بيت امرئ القيس:
فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ؛ أخذوا الراء والباء من «أشْرَبُ» مع الغين من «غير»: «رَ بُ غَ» فسُكِّنت الباء تخفيفاً تشبيهاً بـ «عَضُد». وذكر صاحب القاموس في «العَضد» ستَّ لغات؛ قال: بالفتح وبالضم وبالكسر، وككَتِف ونَدُس وعُنُق، وذكر شارحُه أن ثعلباً زاد العَضَد، بفتح العين والضاد.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ عن الأعمش، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩ عنه وعن يحيى.

(٥) من قوله: على إضمار «أن»... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تحرَّف في (أ) والمطبوع إلى: لن يحفرها.

(٧) معاني الفراء ٣/ ٢٠١، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والقراءات الشاذة ص١٦٤، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩. وقراءةُ ابن مسعود هذه تؤيّد قراءة الأعمش قبلها بنصب الراء.

قال ابنُ زيد: على حربِ الأحمر والأسود[١]، فكلٌّ مصبورٍ عليه ومصبورٍ عنه يندرجُ في الصبر[٢].

وقال الزمخشريّ: والفاء في قوله: «فإذا نُقِرَ» للتسبيب، كأنه قيل: فاصبر على أذاهم، فبَيْنَ أيدِيهم يومٌ عسيرٌ يَلْقَوْن فيه عاقبةَ أذاهم وتَلْقَى عاقبةَ صبرِك عليه.

وقال الزمخشريّ: والفاء في «فذلك» للجزاء. فإنْ قلتَ: بِمَ انتصبَ «إذا»، وكيف صَحَّ أن يقع «يومئذ» ظرفاً لـ «يوم عَسِير»؟

قلت: انتصب «إذا» بما دلَّ عليه الجزاء، لأنَّ المعنى: فإذا نُقِرَ في النَّاقور عَسُرَ الأمرُ على الكافرين، والذي أجازَ وقوعَ «يومئذ» ظرفاً لـ «يوم عَسِير» أنَّ المعنى: فذلك وقتُ النَّقْر وقوعُ يومٍ عسير، لأنَّ يومَ القيامة يأتي ويقعُ حين يُنْقَرُ في الناقور.

ويجوزُ أن يكون «يومئذ» مبنيًّا مرفوعَ المحلّ بدلاً من «ذلك» و«يومٌ عَسِير» خبر، كأنه قيل: فيومُ النَّقْرِ يومٌ عَسِير.

فإن قلت: فما فائدةُ قولِه: «غيرُ يَسِير» و«عَسِير» مُغْنٍ عنه؟

قلت: لمَّا قال: «على الكافرين» فقَصَرَ العُسْرَ عليهم قال: «غير يسير» ليُؤْذِنَ بأنه لا يكونُ عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيِّناً فيجمع[٣] بين وعيدِ الكافرين وزيادة غيظِهم وبِشارةِ المؤمنين وتسليتِهم.

ويجوزُ أن يرادَ أنه عَسِيرٌ لا يُرْجَى أن يرجعَ يسيراً كما يُرْجَى تيسيرُ العسيرِ من أمور الدنيا. انتهى.

وقال الحَوْفيّ: «فإذا»: «إذا» متعلِّقة بـ «أَنْذِرْ» أي: فأنذِرْهُمْ إذا نُقِرَ في النَّاقور[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والنكت والعيون ٦/ ١٣٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦٩.

(٢) ينظر الكشاف ٤/ ١٨١.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٨١ (والكلام منه): ليجمع.

(٤) نظر فيه السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٣٨ وقال: الفاء تمنع من ذلك.

وقال أبو البقاء: يجري[١] على قول الأخفش أن تكون «إذا» مبتدأ، والخبر «فذلك»، والفاء زائدة، فأمّا «يومئذ» فظرفٌ لـ «ذلك».

وأجازَ أبو البقاء أن يتعلَّق «على الكافرين» بـ «يسير» أي: غيرُ يسير، أي: غير سهل[٢] على الكافرين. وينبغي أن لا يجوز، لأنَّ فيه تقديمَ معمول العامل المضاف إليه «غير» على العامل، وهو ممنوع على الصحيح، وقد أجازَه بعضُهم فيقول: أنا بزيدٍ غيرُ راضٍ.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، فرُوِيَ أنه كان يلقَّبُ بالوحيد، أي: لأنه لا نظيرَ له في مالِه وشرفِه في بيته[٣].

والظاهر انتصابُ «وحيداً» على الحال من الضمير المحذوف العائد على «مَنْ» أي: خلقتُه منفرداً ذليلاً قليلاً، لا مالَ له ولا ولد، فآتاه الله تعالى المالَ والولدَ، فكفرَ نعمتَه وأشركَ به واستهزأ بدينِه.

وقيل: حال من ضمير النصب في «ذَرْني»قاله مجاهد، أي: ذَرْني وَحْدِي معه، فأنا أَجْزِيك في الانتقام منه.

أو حال من التاء في «خلقتُ» أي: خلقتُه وَحْدِي لم يَشْرَكْني في خلقه[٤] أحد، فأنا أُهْلِكُه لا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكه.

وقيل: وحيداً لا يتبيَّن أبوه، وكان الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيّ كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] وإذا كان يُدْعَى وحيداً فقيل:

(١) في الإملاء ٢/ ٢٧٢-٢٧٣: يخرّج.
(٢) وقع في (يه) كلمة يحتمل رسمها لفظة «يتثاقل»، ولفظة «غير» لم ترد في (ع).
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢١-٤٢٢، والنكت والعيون ٦/ ١٣٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧١.
(٤) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: خلقي، والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٨١.

لا يجوزُ أن ينتصبَ على الذَّمّ، لأنه لا يجوزُ أن يُصَدِّقَه الله تعالى في أنه وحيدٌ لا نظيرَ له[١]، ورُدَّ ذلك بأنه لمَّا لُقِّبَ بذلك صارَ عَلَماً، والعَلَمُ لا يُفيدُ في المسمَّى صفة. وأيضاً فيمكنُ حملُه على أنه وحيدٌ في الكفرِ والخُبثِ والدَّناءة.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ قال ابنُ عبَّاس: كان له بين مكةَ والطائفِ إبلٌ وحُجُورٌ ونَعَم وجِنَانٌ وعَبيدٌ وجَوَارٍ[٢].

وقيل: كان صاحبَ زَرْعٍ وضَرْعٍ وتجارة.

وقال النعمانُ بنُ بشير[٣]: المالُ الممدودُ هو الأرض، لأنها مُدَّت.

وقال عمر بنُ الخطاب ﷺ: هو الرَّيْعُ المستغلُّ مشاهرةً[٤]، فهو مدٌّ في الزَّمان لا ينقطع.

وقيل: هو مقدارٌ معيَّن، واضطربُوا في تعيينِه، فممَّا قيل: ألفُ دينار، وقيل: ألفُ ألفِ دينار[٥]، وكل هذا تحكُّم.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ أي حضُوراً معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم، فهو مستأنسٌ بهم، أو شهوداً، أي: رجالاً يشهدُون معه المجامعَ والمحافلَ، أو تُسمع شهادتُهم فيما يُتحاكم[٦] فيه.

---

(١) في تفسير الرازي ٣٠/١٩٨: كان يقول: أنا الوحيد بنُ الوحيد، ليس لي في العرب نظير ولا لأبي نظير، فالمراد: ذَرْني ومن خلقتُ أعني وحيداً، وطعنَ كثيرٌ من المتأخِّرين في هذا الوجه وقالوا: لا يجوز أن يُصَدِّقَهُ اللهُ في دَعْواه أنه وحيدٌ لا نظير له... وينظر تمام كلامه.

(٢) بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤١٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٢. والحجُور جمع حِجْر، وهي الفرس الأنثى.

(٣) كذا في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، وفي تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٢٣، والثعلبي ٦/ ٣١٤، والقرطبي ٢١/ ٣٧٣: النعمان بن سالم، وهو الأشبه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤، ولفظُه في المصادر السالفة: غلَّة شهر بشهر.

(٥) وقيل غير ذلك، تنظر المصادر السالفة، والنكت والعيون ٦/ ١٣٩.

(٦) في (به): يتحاكمون. وينظر الكشاف ٤/ ١٨٢.

واختلف في عددهم، فذُكر منهم خالدٌ وهشامٌ وعُمارةُ، وقد أسلموا[١]، والوليدُ والعاصي وقيسٌ وعبدُ شمس.

قال مقاتل: فما زالَ الوليدُ بعد نزول هذه الآية في نقص في مالِه وولدِه حتى هَلَك[٢]. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ أي: وطَّأتُ وهيَّأتُ وبسطتُ له بَسْطاً حتى أقامَ ببلدتِه مطمئناً يُرْجَعُ إلى رأيه.

وقال ابنُ عبَّاس: وسَّعْتُ له ما بين اليمن إلى الشام.

وقال مجاهد مهَّدتُ له المالَ بعضَه فوقَ بعض كما يمهَّد الفراش.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾ أي: على ما أعطيتُه من المال والولد.

«كلا» أي: ليس يكونُ كذلك مع كفره بالنِّعم.

وقال الحسن وغيرُه: «ثم يطمع» أنْ أُدْخِلَهُ الجنة! لأنه كان يقول: إنْ كانَ محمدٌ صادقاً فما خُلِقَتِ الجنةُ إلَّا لي[٣].

«ثم يطمع» قال الزمخشري: استبعادٌ لطمعِه واستنكار، أي: لا مزيد على ما أوتيَ كثرةً وسَعَةً.

«كلَّا» قطعٌ لرجائه ورَدْعٌ. انتهى[٤].

وطمعُه في الزيادة دليلٌ على جَشَعِهِ وحُبِّهِ للدُّنيا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ تعليلٌ للرَّدْعِ على وَجْهِ الاستئناف، كأنَّ قائلاً قال: لِمَ لا يُزاد؟ فقال: إنه عانَدَ[٥] آياتِ المُنعِم وكفَرَ بذلك نعمتَه[٦]، والكافرُ لا يستحقُّ المزيد.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٢، وذكر ابن حجر في الإصابة ٨/ ٢٤ أن عُمارة بنَ الوليد مات كافراً، وأنَّ الصواب فيمن أسلموا: خالد وهشام والوليد.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٣.

(٣) ينظر ما سلف في المصدر السالف.

(٤) الكلام في الكشاف ٤/ ١٨٢ باختلاف يسير.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كان يعاند، بدل: عاندَ، والكلام في المصدر السالف.

(٦) لفظة «نعمته» ليست في (أ) و(ت) والمطبوع.

وإنَّما جُعلت الآياتُ بالنسبة إلى الإنعام لمناسبةِ قولِه: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ إلى آخر ما آتاهُ الله، والأحسنُ أن يُحمَلَ على آياتِ القرآن؛ لحديثِه في القرآن وزعمِهِ أنه سِحْرٌ.

﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ أي: سأكلِّفُه وأُغشِّيهِ بمشقَّةٍ وعُسْر ﴿صَعُودًا﴾: عقبةً في جهنَّم؛ كلَّما وُضِعَ عليها شيءٌ من الإنسان ذابَ، ثم يعودُ. والصَّعُود في اللغة: العَقَبة الشاقَّة.

وتقدّم شرحُ «عَنِيد» في سورة إبراهيم عليه السلام [١٥].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ رُوِيَ أنَّ الوليدَ حاجَّ أبا جهل وجماعةً من قريش في أمرِ القرآن وقال: إنَّ له لحَلَاوةً، وإنَّ أصْلَه(١) لَمُغْدِقٌ(٢)، وإنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ(٣)، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحتَه، وإنه لَيَعْلُو وما يُعْلَى، ونحوُ هذا من الكلام. فخالفوه فقالوا له: هو شعر، فقال: واللهِ ما هو بشعر، قد عرفنا الشِّعرَ هَزَجَهُ وبسيطَه، قالوا: فهو كاهن، قال: واللهِ ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكُهَّان، قالوا: هو مجنون، قال: واللهِ ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون(٤) وخنقَه، قالوا: هو سِحْر، قال: أمَّا هذا فيُشبه أنه سِحْر ويقولُ أقوالَ نفسه.

ورُوِيَ هذا بألفاظ غيرِ هذه، ويقرُب من حيث المعنى، وفيه: وتزعُمون أنه كذاب(٥)، فهل جَرَّبتُم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كلِّ ذلك: اللهمَّ لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكَّر فقال: ما هو إلا ساحر. أما رأيتُموه يفرِّق بين الرَّجلِ وأهلِه

(١) في المطبوع: أسفله.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ (والكلام منه): لَعَذْقٌ (أي: نخلة) وهي كذلك في رواية سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٠.

(٣) الجَنَاةُ: ما يُجْنَى من الشجر.

(٤) في (ع) و(يه): الجنون، والمثبت من (أ) و(ت)، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ والكلام منه.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كذب، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٨٢، والرواية هذه منه.

وولدِه ومواليه؟ وما الذي يقولُه إلا سحرٌ يأثُرُه عن مُسَيْلِمةَ[١] وعن أهل بابل. فارتجَّ النادي فَرَحاً، وتفرقُوا مُعْجَبِين بقوله، مُتَعَجِّبين منه.

ورُوِيَ أنَّ الوليدَ سَمِعَ من القرآن ما أعجبَهُ، ومَدَحَهُ، ثم سمعَ كذلك مِرَاراً حتى كادَ أن يُقارِبَ الإسلام، ودخلَ إلى أبي بكر الصِّدِّيق مِرَاراً، فجاءَهُ أبو جهل فقال: يا وليد، أشعَرْتَ أنَّ قُريشاً قد ذَمَّتْكَ بدخولك إلى ابنِ أبي قُحافة، وزعَمَتْ أنك إنما تَقصِدُ أن تأكلَ طعامَه؟ وقد أبغضَتْكَ لمقاربتِك أمْرَ محمد، وما يُخَلِّصُك عندهم إلا أن تقول في هذا الكلام قولاً يُرْضِيهم، ففَتَنَه أبو جهل، فافتُتِن وقال: أفعلُ[٢].

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليلٌ للوعيد في قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ⑰﴾ قيل: ويجوزُ أن يكون ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بياناً لِكُنْهِ عِنَادِه[٣].

و«فكَّر» أي: في القرآن ومَنْ أتى به ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: في نفسه ما يقولُ فيه.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑲﴾ قيل: «قُتل»: لُعِنَ، وقيل: غُلب وقُهر، وذلك من قوله:

بِسَهْمَيْكِ في أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[٤]

أي: مذلَّلٍ مقهورٍ بالحبّ، فلُعِنَ دعاءٌ عليه بالطَّرْد والإبعاد، وغُلبَ، وذلك إخبارٌ بقهرِهِ وذِلَّتِه.

و«كيف قَدَّرَ» معناه: كيف قدَّرَ ما لا يصحُّ تقديرُه وما لا يَسُوغُ أن يُقَدِّره عاقل؟

وقيل: دعاءٌ مقتضاهُ الاستحسان والتعجُّب؛ فقيل: ذلك لمَنزِعِهِ الأوَّل في مَدْحِه القرآنَ وفي نفيه الشِّعرَ والكَهانةَ والجُنونَ عنه، فيجري مَجْرَى قولِ عبدِ الملكِ بنِ مروان: قاتلَ اللهُ كُثَيِّراً، كأنَّه رآنا حين قال كذا[٥].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: عن مثل مسيلمة. وينظر المصدر السالف.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤.

(٣) الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٤) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدرُه: وما ذرفَتْ عيناكِ إلا لتقدحي. وهو في ديوانه ص١٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥.

وقيل: ذلك لإصابتِه ما طلَبَتْ قريشٌ منه.

وقيل: ذلك ثناءٌ عليه على جهة الاستهزاءِ به.

وقيل: ذلك حكايةٌ لِما كرَّرُوهُ من قولهم: قُتِلَ كيف قدَّرَ، تهكُّماً بهم وبإعجابِهم بتقديرِه واستعظامِهم لقوله[1]. وهذا فيه بُعدٌ.

وقولهم: «قاتَلَهُ الله» مشهورٌ في كلام العرب أنه يقال عند استعظام الأمرِ والتعجُّبِ منه، ومعناه أنه قد بلغَ المبلغَ الذي يُحْسَدُ عليه ويُدْعَى عليه من حُسَّادِه.

والاستفهام في «كيف قدَّر» في معنى: ما أَعْجَبَ تقديرَه وما أغرَبَه! كقولهم: أيُّ رجلٍ زيدٌ أي: ما أَعْظَمَهُ!

وجاء التكرار بـ «ثمَّ» ليدلَّ على أنَّ الثانيةَ أبلغُ من الأولى للتراخي الذي بينهما، كأنَّه دَعَى عليه أوَّلاً ورَجَا أن يُقْلِعَ عمَّا كان يرومُه فلم يفعل، فدَعَى عليه ثانياً.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ أي: فكَّر ثانياً، وقيل: نظرَ إلى وجوهِ الناس ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قَطَّبَ وكَلَحَ لمَّا ضاقَتْ عليه الحِيَلُ ولم يَدْرِ ما يقول. وقيل: قَطَّبَ في وجهِ رسول الله ﷺ[2].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ رجع مُدْبِراً، وقيل: أدبرَ عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ قيل: تَشَاوَسَ[3] مستكبراً، وقيل: استكبرَ عن الحقّ، وصفَه بالهيئات التي تشكَّل بها حين أرادَ أن يقول ما قال، كلُّ ذلك على سبيل الاستهزاء به وأنَّ ما يقولُه كذبٌ وافتراء، إذْ لو كان ممكناً لكانَ له هيئاتٌ غيرُ هذه من فرحِ القلبِ وظهورِ السُّرور والجَذَلِ والبِشْرِ في وجهِه، ولو كان حقًّا لم يحتَجْ إلى هذا الفكر لأنَّ الحقَّ أبلج يتضح بنفسه[4] من غير إكداد فِكر ولا إبطاء تأمّل، ألا ترى إلى ذلك الرجل وقولِه حين رأى

---

(١) الأقوال الثالثة في الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٢) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٧٨.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تشارس، والمثبت من (يه)، والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٣٧٤.

(٤) في (ع) و(يه): يتضح يكاد بنفسه.

رسولَ الله ﷺ: «فعلمتُ أنَّ وجهَه ليس بوجهِ كذَّاب»[١] وأسلمَ من فورِه.

وقيل: «ثم نظر» فيما يحتجُّ به للقرآن، فرأى ما فيه من الإعجاز والإعلام بمرتبة الرسول ﷺ، ودام نظرُه في ذلك.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ دلالةٌ على تأنِّيهِ وتمهُّلِهِ في تأمُّلِه، إذْ بين ذلك تراخٍ وتباعدٌ، وكان العطفُ في «وبَسَرَ» وفي «واستكبر» لأنَّ البُسُورَ قريبٌ من العُبُوس، فهو كأنَّه على سبيل التوكيد. والاستكبارُ يظهر أنه سببٌ للإدبار، إذ الاستكبارُ معنًى في القلب، والإدبارُ حقيقةٌ من فعل الجسم، فهما سببٌ ومسبَّب، فلا يعطف بـ «ثمَّ»، وقَدمَ المسَبَّبَ على السَّبب لأنه الظاهرُ للعين وناسب العطف بالواو، وكان العطف في «فقال» بالفاء دلالةٌ على التعقيب، لأنه لمَّا خطرَ ببالِه هذا القول بعد تطلُّبِه لم يتمالك أنْ نطقَ به من غيرِ تمهُّل.

ومعنى «يُؤْثَرُ» أي: يُرْوَى ويُنْقَلُ، قال الشاعر:

لَقُلْتُ من القولِ ما لا يَزَا لُ يُؤْثَرُ عنِّي يَدَ المُسْنَدِ[٢]

وقيل: «يُؤْثَرُ» أي: يُختار ويَرْجَحُ على غيره من السِّحْر، فيكون من الإيثار.

ومعنى «إلا سِحْر» أي شبيهٌ بالسِّحر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ تأكيدٌ لِما قبلَه، أي: ملتقطٌ[٣] من أقوال الناس، ويظهرُ أن كفر الوليد إنَّما هو عِناد، ألا ترى ثناءَهُ على القرآن ونفيَه عنه جميعَ ما نسبُوا إليه من الشِّعْرِ والكَهَانةِ والجُنونِ، وقصَّتَه مع رسول الله ﷺ حين قرأ عليه

---

(١) هو قطعة من حديث عبد الله بنِ سَلَام رضي الله عنه قال: لمَّا قدم النبيُّ ﷺ انجفلَ الناسُ عليه، فكنتُ فيمن انجفلَ، فلما تبيَّنتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب... الحديث، أخرجه أحمد (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) وغيرهم.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٨٦، وقبلَه:

ولو عن نَثَا غيرِهِ جاءني وجُرْحُ اللسانِ كجُرْحِ اليَدِ

النَّثا: ما يُخْبَرُ به عن الرَّجل من حَسَنٍ أو سَيِّئ، والمُسْنَدُ: الدَّهر و«يَدَ المُسْنَد» أي: الدَّهْرَ كلَّه.

(٣) في (أ) والمطبوع: يُلتقط.

الصلاةُ والسلام أوائلَ «فصّلت»[١] إلى قوله تعالى[٢]: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ وكيف ناشدَهُ بالله والرَّحِم أن يسكت[٣].

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ قال الزمخشريّ[٤]: بدلٌ من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ انتهى. ويظهر أنهما جملتان اعتقبت كلٌّ واحدة منهما على سبيل التوعُّد للعصيانِ[٥] الذي قبلَ كلٍّ واحدة منهما، فتُوُعِّدَ على كونه عنيداً لآياتِ الله بإرهاقِ صَعُود، وعلى قوله بأنَّ القرآن سِحْرٌ يُؤْثَرُ بإصْلائِهِ سَقَرَ.

وتقدَّمَ الكلام على «سَقَر» في أواخر سورة القمر [٤٨].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تعظيمٌ لهَوْلِها وشدَّتِها ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا تُبقي على مَنْ أُلْقِيَ فيها ولا تذرُ غايةً من العذاب إلا وَصَلَتْهُ إليه.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابنُ عبَّاس ومجاهد وأبو رَزِين والجمهور: معناه مغيِّرةٌ للبَشَرَات مُحرِقةٌ للجلود مسوِّدةٌ لها[٦]، والبَشَر جمعُ بَشَرَة، وتقول العرب: لاحتِ النارُ الشيءَ: إذا أحرقَتْهُ وسَوَّدَتْهُ[٧].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: حين قرأ عليه أوائلَ فصّلت. وهو خطأ. فالنبي ﷺ لم يقرأ عليه أوائل «فصّلت»، وإنما سمعه الوليدُ يقرؤها في المسجد. وقد قرأ النبي ﷺ أوائل «فصّلت» على عُتبة بن ربيعة في خبر آخر، ينظر خبر الوليد في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٣١٥، والبغوي ٤/ ٤١٦، والقرطبي ٢١/ ٣٧٨. وينظر الكلام بعد تعليق.

(٢) في (ع) و(يه): وقرأ، بدل: «إلى قوله تعالى».

(٣) قوله: ناشدَه بالله والرَّحِم أن يسكت، هو في خبر عُتبة بن ربيعة كما سلفت الإشارة إليه قبل تعليق، وينظر خبره في تفسير أوائل «فصّلت».

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٣.

(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: التوعّد العصيان، وفي (يه): التوعّد والعصيان، وفي روح المعاني ٢٨/ ٦٤ عن أبي حيان: توعُّد العصيان، والمثبت من الدُّرّ اللقيط بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٧٥.

(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٤-٤٣٥ وتفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والنكت والعيون ٦/ ١٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٥.

وقال الحسن وابنُ كَيْسان: «لوّاحة» بناء مبالغة من: لاحَ إذا ظَهَرَ، والمعنى أنها تظهر للناس - وهم البشر - من مسيرة خمس مئة عام، وذلك لعِظَمِها وهَوْلِها وزَفِيرِها[1]، كقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]. وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧].

وقرأ الجمهور: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ بالرفع، أي: هي لواحةٌ، وقرأ[2] العَوْفيُّ وزيد بنُ عليّ والحسنُ وابن أبي عَبْلَة: «لوَّاحةً»[3] بالنصب على الحال المؤكِّدة لأنَّ النارَ التي لا تُبقي ولا تَذَر لا تكونُ إلا مغيِّرةً للأبشار.

وقال الزمخشريّ[4]: نصباً على الاختصاص للتهويل.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ التمييزُ محذوف، والمُتبادِرُ إلى الذِّهْن أنه مَلَكٌ، ألا تَرَى العربَ - وهم الفصحاء - كيف فهِمُوا منه أنَّ المرادَ مَلَكٌ حين سمعوا ذلك، فقال أبو جهل لقريش: ثَكِلَتْكُم أمَّهاتُكم! أسْمَعُ ابنَ أبي كبشةَ يُخبرُكم أنَّ خَزَنَةَ النارِ تسعةَ عَشَرَ وأنتم الدَّهْم، أيَعْجِزُ كلُّ عَشَرَةٍ منكم أن يَبْطِشُوا برجلٍ منهم؟ فقال أبو الأشدّ بنُ أسيد بن كَلَدَة الجُمَحِيّ[5] - وكان شديدَ البطش -: أنا أكفيكم سبعةَ عشرَ، فاكْفُوني أنتم اثنين. فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسِكم يُطاقون[6]. وأنزلَ الله تعالى في أبي جهل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾[7] [القيامة: ٣٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٣ والمصدر السالف.
(٢) في (ع) و(يه): عطيَّة، بدل: قرأ.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وزاد المسير ٨/ ٤٠٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٢. والعوفيّ: هو عطية.
(٤) الكشاف ٤/ ١٨٣.
(٥) كذا في المصدر السالف، وجاء في الرَّوْض الأُنُف أنه أبو الأشَدَّيْن، واسمه كَلَدَة بنُ أسيد بن خلف، وفي زاد المسير ٨/ ٤٠٨ عن مقاتل أنَّ اسمه أُسيد بن كَلَدَة.
(٦) الكشاف ٤/ ١٨٤، وهو بنحوه أطولُ منه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٧، وينظر التعليق التالي.
(٧) هذا القول هو من رواية أخرى كما في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٣٦-٤٣٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

وقيل: التمييزُ المحذوف: صِنْفاً من الملائكة، وقيل: صفّاً[١]، وقيل: نقيباً.

ومعنى «عليها» أي: يَتولَّوْنَ أمرَها، وإليهم جِماعُ زَبانِيَتِها، فالذي يظهرُ من العدد ومن الآية بعدَ ذلك ومن الحديث أنَّ هؤلاء هم النُّقَباء، ألا تَرى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقولِه عليه الصلاة والسلام: «يُؤْتَى بجهنَّمَ يَوْمَئِذٍ لها سبعون ألفَ زِمام، مع كلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها»[٢].

وقد ذكر المفسِّرون من نعوت هؤلاء الملائكة وخَلْقِهم وقوَّتِهم وما أقدَرَهُم الله تعالى عليه من الأفعال ما اللهُ أعلمُ بصحَّته، وكذلك ذكرَ أبو عبد الله الرازيّ حِكَماً على زعمه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المخصوص، يوقفُ عليها في «تفسيره».

وقرأ الجمهور: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَبْنِيَّيْنِ على الفتح على مشهور اللغة في هذا العدد.

وقرأ أبو جعفر وطلحة بنُ سليمان بإسكان العين كراهةَ توالي الحَرَكات[٣].

وقرأ أنس بنُ مالك وابنُ عبَّاس وابنُ قطيب وإبراهيم بن قَتَّة بضمِّ التاء[٤]، وهي حركةُ بناء عُدِلَ إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات، ولا يُتوهَّم أنها حركةُ إعراب، لأنها لو كانت حركةَ إعراب لأُعْرِبَ «عَشَر».

وقرأ أنس أيضاً «تَسعةُ» بالضمّ «أعْشُرَ» بالفتح[٥]؛ قال صاحب «اللَّوامح»:

---

(١) قوله: وقيل: صفًّا، من (ع) و(يه)، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٦، والكشاف ٤/ ١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وقراءة أبي جعفر هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٢٧٩.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٥ عن ابن عباس وابن قطيب، والمحتسب ٢/ ٣٣٩ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧ عن ابن عباس، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦ عن أنس وأبي حَيْوة، وأما إبراهيم بن قَتَّة فنُسب له في القراءات الشاذة قراءة: تسعةُ وَعْشَرَ، وينظر ما سيرد.

(٥) أي فتح الراء، وبضم الشين كما سيرد، وهي في المحتسب ٢/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وينظر الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٤٨.

فيجوزُ أنه جمعَ العَشَرة على أعْشُر، ثم أجراه مُجْرَى «تسعةَ عَشَرَ»[١].

وعنه أيضاً: «تسعةُ وَعْشُرَ» بالضمّ وقلبِ الهمزةِ من «أعْشُرَ» واواً خالصة تخفيفاً[٢]، والتاءُ فيهما مضمومةٌ ضمَّةَ بناء لأنها معاقِبةٌ للفتحة فِراراً من الجمع بين خمس حركات على جهة واحدة.

وعن سليمانَ بنِ قَتَّةَ ـ وهو أخو إبراهيم[٣] ـ أنه قرأ: «تسعةُ أعْشُرٍ» بضمّ التاء ضمةَ إعراب، وإضافتِه إلى «أعْشُرٍ»، و«أعْشُر» مجرور منوَّن، وذلك على فكّ التركيب؛ قال صاحب «اللوامح»: ويجيءُ على هذه القراءة ـ وهي قراءة من قرأ: «أعْشُر» مبنيًّا أو معرباً من حيث هو جمعٌ ـ أنَّ الملائكةَ الذين هم على سقر[٤] تسعونَ مَلَكاً. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص.

وقال الزمخشريّ[٥]: وقُرِئ «تسعةُ أعْشُر» جمع عَشِير، مثل: يمين وأيْمُن. انتهى.

وسليمانُ بن قَتَّة هذا هو الذي مَدَحَ أهلَ بيتِ رسولِ الله ﷺ، وهو القائل:

مَرَرْتُ على أبياتِ آلِ محمَّدٍ ... فلم أرَ أمثالاً لها يَوْمَ حَلَّتِ
وكانوا ثِمالاً ثم عادُوا رَزِيَّةً ... لقد عَظُمَتْ تلك الرَّزَايا وجَلَّتِ[٦]

---

(١) نقلَ ابنُ جنّي في المحتسب ٢/ ٣٣٩ عن أبي حاتم قوله في هذه القراءة: لا وجه له نعرفُه إلا أن يعني تسعة أعْشُر جمع العَشْر.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، وهي بضم الشين أيضاً، وينظر الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٤٨، وقد ضُبطت اللفظة في القراءات الشاذة ص١٦٤ بفتح الشين، ونُسبت فيه لإبراهيم بن قَتَّة، وذكرتُها قبل تعليقين.

(٣) لم أقف على ترجمة لإبراهيم بن قَتَّة، وذكره ابن خالويه عندما ذكر قراءته كما سلف، وأما أخوه سليمان فهو مقرئ شاعر، ترجمَ له ابنُ الجزري في طبقات القرَّاء. وينظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٦.

(٤) لم ترد لفظة «سقر» في (أ)، ووقع في المطبوع بدلها كلمة: النار.

(٥) الكشاف ٤/ ١٨٤.

(٦) ذكرهما ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٤، وهما من قصيدة مشهورة له في رثاء الحسين ؓ، ورواية عجز الأول منهما في الحماسة (بشرح المرزوقي) ٢/ ٩٦١: فلم أرَها

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: جعلناهم خَلْقاً لا قِبَلَ لأحدٍ من الناس بهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: سببَ فتنة، و«فتنة» مفعولٌ ثانٍ لـ «جَعَلْنا» أي: جَعَلْنا تلك العِدَّةَ ـ وهي «تسعةَ عشرَ» ـ سبباً لفتنةِ الكفار، فليس «فتنة» مفعولاً من أجله. وفتنتُهم هي كونُهم أظهرُوا مقاومتَهم والطَّماعِيةَ[١] في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم يكذبون بالبعث وبالنار وبخَزَنَتِها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ هذا مفعولٌ من أجله، وهو متعلِّق بـ «جَعَلْنا» لا بـ «فتنة» فليست الفتنة معلولةً للاستيقان، بل المعلولُ جعلُ العِدَّة سببَ فتنة[٢] ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهم اليهود والنصارى أنَّ هذا القرآنَ هو من عند الله[٣]، إذْ هم يجدون هذه العِدَّةَ في كتبهم المنزلة، ويعلمون أنَّ الرسول لم يقرأها ولا قرأها عليه أحد، ولكنَّ كتابَه يُصَدِّقُ كتبَ الأنبياء، إذْ كلُّ ذلك حقّ يتعاضَدُ، من عند الله تعالى[٤]؛ قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد.

وبورود الحقائق من عند الله تعالى يزدادُ كلُّ ذي إيمانٍ إيماناً ويزولُ الرَّيب[٥] عن المصدِّقين من أهل الكتاب ومن المؤمنين.

وقيل: إنما صارَ جعلُها فتنةً لأنهم يستهزئون ويقولون: لِمَ لَمْ يكونوا عشرين؟ وما المقتَضَى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟

= أمثالَها يومَ حلَّت، ورواية صدرِ الثاني فيها: وكانوا لنا غُنْماً فعادُوا رَزِيَّةً، وينظر أيضاً الاستيعاب، والبداية والنهاية ٨/ ٢١١. قوله: ثِمالاً، أي: مَلْجأً وغِياثاً، وجاء في شعرِ أبي طالب يمدحُ النبي ﷺ: ثِمالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأراملِ.

(١) قوله: والطماعية، من (يه)، وهي أيضاً في النهر الماد بهامش البحر ٨/ ٣٧٠.

(٢) في (أ) والمطبوع: سبباً لفتنة.

(٣) عبارة النهر الماد للمصنف بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٧٠: والذين أوتوا الكتاب هم اليهودُ والنصارى، إذ هم عالمون أن القرآن هو من عند الله... إلخ. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

(٤) عبارة المصدر السالف (والكلام فيه بنحوه): «منزَّل من عند الله» وهي أحسن، إذ يتوضّح فيها تعلُّق الجارّ.

(٥) في (يه): وتزول الريبة، والكلام في المصدر السالف.

ويقولون: هذا العدد القليل كيف يَفُونَ[١] بتعذيب أكثرِ العالم من الجنّ والإنس من أوَّل ما خلقَ الله تعالى إلى قيام الساعة؟!

وقال الزمخشريّ[٢]: فإن قلتَ: قد جعلَ افتتانَ الكافرين بعِدَّة الزَّبانية سبباً لاستيقانِ أهلِ الكتاب وزيادةِ إيمان المؤمنين واستهزاءِ الكافرين والمنافقين، فما وَجْهُ صحةِ ذلك؟

قلت: ما جعلَ افتتانَهم بالعِدَّةِ سبباً لذلك، وإنَّما العِدَّةُ نفسُها هي التي جُعلت سبباً، وذلك أنَّ المرادَ بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وما جعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلا تسعةَ عَشَرَ، فوضعَ «فتنةً للذين كفروا» موضِعَ «تسعةَ عَشَرَ» لأنَّ حالَ هذه العِدَّةِ الناقصةِ واحداً من عَقْدِ العشرين أن يَفْتَتِنَ بها من لا يؤمنُ بالله وبحكمته ويعترضَ ويستهزئَ، ولا يُذْعِنَ إذعانَ المؤمنِ وإنْ خَفِيَ عليه وَجْهُ الحكمة، كأنَّه قيل: ولقد جَعَلْنا عِدَّتَهم عِدَّةً من شأنها أن يُفتتن بها لأجلِ استيقانِ المؤمنين وحَيْرَةِ الكافرين. انتهى.

وهو سؤالٌ عجيبٌ وجوابٌ فيه تحريف كتاب الله تعالى، إذْ زَعَمَ أنَّ معنى «إلا فتنةً للذين كفروا»: إلا تسعةَ عشرَ، وهذا لا يذهبُ إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء، وكفى ردًّا عليه تحريفُ كتابِ الله، ووضعُ ألفاظِ مخالفةٍ لألفاظ، ومعنًى مخالفٍ لمعنًى.

وقيل: «ليستيقنَ» متعلِّق بفعل مضمر، أي: فعلنا ذلك ليستيقنَ.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ توكيد لقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ إذْ إثباتُ اليقين ونفيُ الارتياب أبلغُ وآكدُ في الوصف لسُكون النفس السُّكونَ التامّ.

و ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال الحسينُ بنُ الفضل: السُّورةُ مكّيّة، ولم يكن بمكَّة نفاقٌ فإنَّما المرضُ في الآية الاضطرابُ وضعفُ الإيمان[٣].

---

(١) في (ت) والمطبوع: يقوون، وسقطت لفظة «كيف» من (أ) والمطبوع. وعبارة الرازي (والقول فيه): كيف يكونون وافين بتعذيب. . .

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦.

وقيل: هو إخبارٌ بالغيب، أي: وليقولَ المنافقون الذين يَنْجُمُونَ في مستقبل الزَّمانِ بالمدينة بعد الهجرة(١).

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ لمّا سمعُوا هذا العددَ لم يهتدُوا وحارُوا، فاستفهمَ بعضُهم بعضاً عن ذلك استبعاداً أن يكونَ هذا من عند الله، وسَمَّوْهُ مثلاً استعارةً من المَثَل المضروب استغراباً منهم لهذا العدد، والمعنى: أيُّ شيء أرادَ الله بهذا العددِ العجيبِ؟

ومرادُهم إنكارُ أصلِه، وأنه ليس من عند الله(٢).

وتقدَّم إعرابُ مثل هذه الجملة في أوائل البقرة [٢٦].

* * *

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

الكاف في محلِّ نصب، و«ذلك» إشارة إلى ما قبلَه من معنى الإضلال والهدى، أي: مِثْلَ ذلك المذكورِ من الإضلال والهُدى يُضِلُّ الكافرين، فيشكُّون، فيَزيدُهم كفراً وضلالاً، ويهدي المؤمنين، فيزيدُهم إيماناً.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ إعلامٌ بأنَّ الأمرَ فوقَ ما يُتَوَهَّم، وأنَّ الخبرَ(٣) إنما هو

(١) الكشاف ٤/ ١٨٥.
(٢) المصدر السالف.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: الجزاء، وهو خطأ. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧.

عن بعضِ القدرة لا عن كلِّها، والسماءُ عامرةٌ بأنواعٍ من الملائكة. وفي الحديث: «أَطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ، ما فيها موضعُ قَدَمٍ(١) إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه للهِ ساجداً»(٢).

﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: النار، قاله مجاهد، أو المخاطبةُ والنِّذَارة، أو نارُ الدنيا، أو الآياتُ التي ذُكرت، أو العِدَّةُ التسعةَ عَشَرَ، أو الجنودُ، أقوالٌ، راجحُها الأوَّل، وهي «سَقَر»(٣) ذَكَّرَ بها البَشَر ليخافُوا ويطيعوا، وقد جرى ذِكرُ النارِ أيضاً في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾.

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: الذين أُهِّلُوا للتذكُّر والاعتبار.

﴿كَلَّا﴾ قال الزمخشريّ(٤): «كلَّا» إنكارٌ ـ بعدَ أن جعلَها ذِكْرَى ـ أن تكونَ لهم ذِكْرى، لأنهم لا يتذكَّرون. انتهى.

ولا يَسُوغُ هذا في حَقِّ الله تعالى أن يُخبر أنها ذِكْرَى للبشر، ثم يُنكر أن تكون لهم ذِكْرَى، وإنما قوله: «للبشر» عامٌّ مخصوص.

وقال الزمخشريّ: أو رَدْعٌ لمن يُنكر أن تكون إحدى الكُبَرِ نذيراً.

وقيل: رَدْعٌ لقولِ أبي جهل وأصحابِه: إنهم يَقْدِرُون على مقاومةِ خَزَنَةِ جهنَّم.

وقيل: رَدْعٌ عن الاستهزاء بالعِدَّة المخصوصة.

وقال الفرَّاء: هي صلة للقَسَم(٥)، وقدَّرَها بعضُهم بـ «حَقّاً» وبعضُهم بـ «أَلَا» الاستفتاحية.

---

(١) كلمة «قدم» ليست في (يه).

(٢) قطعة من حديث أبي ذرّ ﷺ أخرجه أحمد (٢١٥١٦) والترمذي (٢٣١٢) وغيرهما. وله طرق أخرى، وسلف في تفسير البقرة (١٦٤) والأعراف (٢٠٦).

(٣) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٠.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٥) نقله القرطبي في تفسيره ٢١/ ٣٩٠ عن الفراء وقال: التقدير: إي والقمر.

وقد تقدَّم الكلامُ عليها في آخر سورة مريم [٧٩] عليها السلام.

﴿وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وَلَّى، ويقال: دَبَرَ وأَدْبَرَ بمعنًى واحد، أقسمَ تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما يظهرُ بها وفيها من عجائب الله وقدرته، وقِوامُ الوجود بإيجادها.

وقرأ ابنُ عبَّاس وابنُ الزُّبير ومجاهد وعطاء وابنُ يَعْمَر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزِّناد وقتادة وعمر بنُ عبد العزيز والحسن وطلحة والنَّحْويَّان والابنان[١] وأبو بكر: «إذا» ظرف زمان مستقبل «دَبَرَ» بفتح الدال.

وابنُ جُبير والسُّلَميُّ والحسنُ بخلاف عنهم وابنُ سِيرِينَ والأعرجُ وزيدُ بنُ علي وأبو شيخ وابنُ مُحَيْصِن ونافعٌ وحمزةُ وحفصٌ: «إذْ» ظرف زمان ماض «أَدْبَرَ» رباعياً[٢].

والحسنُ أيضاً وأبو رَزِين وأبو رجاء وابنُ يَعْمَر أيضاً والسُّلَميُّ أيضاً وطلحةُ أيضاً والأعمشُ ويونسُ بنُ عُبيد ومطرٌ: «إذا» بالألف «أَدْبَرَ» بالهمز، وكذا هو في مصحف عبدِ الله وأُبيّ[٣]، وهو مناسبٌ لقوله: ﴿إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ ويقال: كأَمْسِ الدَّابِرِ وأمسِ المُدْبِرِ بمعنًى واحد[٤].

وقال يونُس بنُ حَبِيب: «دَبَرَ»: انقضَى، و«أدبر» تولَّى، وقال قتادة: دَبَرَ الليلُ: ولَّى[٥].

---

(١) النحويَّان: أبو عَمرو والكسائي، والابنان: ابن كثير وابن عامر.
(٢) ينظر السبعة ص٦٥٩، والتيسير ص٢١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ (والكلام منه).
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩١.
(٤) ورد قول: كأمس الدابر، في الشعر، مثل بيت صخر بن عَمرو السُّلَمي:

ولقد قَتَلْتُكُمُ ثُنَاءَ ومَوْحَداً وتركتُ مُرَّةَ مثلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

قال القرطبي ٢١/ ٣٩١: ويُروى: المُدْبِر. اهـ. والبيت في اللسان (دبر - أمس) وفيه عن ابن برِّي أن الصواب فيه: المدبِر، قلت: وهي في تفسير الطبري (النساء: ٣) و(فاطر: ١).
(٥) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وقول قتادة في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٢.

وقال الزمخشري: و«دَبَرَ» بمعنى: أدْبَرَ، كقَبَلَ بمعنى: أقْبَلَ، وقيل: هو من: دَبَرَ الليلُ النهارَ: إذا خَلَفَهُ[(١)].

وقرأ الجمهور: «أَسْفَرَ» رباعياً، وابنُ السَّمَيْفَع وعيسى بنُ الفضل: «سَفَرَ» ثلاثياً[(٢)]، والمعنى: طَرَحَ الظُّلمةَ عن وجهه.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥﴾ الظاهرُ أنَّ الضمير في «إنها» عائدٌ على النار، قيل: ويحتمل أن يكون للنِّذارَة وأمرِ الآخرة، فهو للحال والقصَّة، وقيل: إنَّ قيامَ الساعة لَإحْدَى الكُبَر، فعادَ الضمير إلى غير مذكور.

ومعنى «إحْدَى الكُبَر»: الدَّوَاهي الكُبَر، أي: لا نظيرَ لها كما تقول: هو أحد الرِّجال، وهي إحدى النِّساء.

و«الكُبَر»: العظائمُ من العقوبات، وقال الرَّاجز:

يا ابنَ المُعَلَّى نَزَلَتْ إحْدَى الكُبَرْ

داهيةُ الدَّهْرِ وصَمَّاءُ الغَبَرْ[(٣)]

والكُبَرُ جمع الكُبْرَى، طُرحت ألفُ التأنيث في الجمع كما طُرحت همزته في قاصِعاء، فقالوا: قَوَاصِع[(٤)]. وفي كتاب ابن عطيَّة[(٥)]: والكُبَر جمع كبيرة، ولعله من وهم الناسخ.

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: أخلفه، بدل: إذا خَلَفَهُ، وهو خطأ والمثبت من (يه)، والكلام في الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٢.

(٣) المثبت من (ت). وفي (يه): العِبَر، وفي (أ) والمطبوع: الغِيَر، وهي غير مظهَّرة في (ع). والرَّجَز لعبد الله بن الأعور الكذاب، كما في حيوان الجاحظ ٤/ ١٤٦، ومعاني ابن قتيبة ٢/ ٦٧١، والمستقصى ١/ ٤٢١. وداهية الدهر: الحيَّة. وصَمَّاء الغَبَر ـ كما في ثمار القلوب ص٤٢٢ ـ هي الحيَّة، يُضرب مَثَلاً للداهية العظيمة، وقال ابن قتيبة في المعاني: صَمَّاء الغَبَر: داهية تبقى، والغَبَر: البقاء.

(٤) قاصِعاء ـ كما في القاموس ـ جُحْرٌ لليَرْبُوع يدخلُه. وينظر الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧.

وقرأ الجمهور: «لَإِحْدَى» بالهمز، وهي منقلبة عن واو؛ أصلُه: «لَوِحْدَى»، وهو بدلٌ لازم.

وقرأ نصر بنُ عاصم وابنُ مُحَيْصِن ووَهْبُ بنُ جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة[١]، وهو حذف لا ينقاس وتخفيفُ مثل هذه الهمزة أن تُجعل بينَ بين.

والظاهر أن هذه الجملة جوابٌ للقَسَم، وقال الزمخشريُّ[٢]: أو تعليلٌ لـ «كلّا»، والقَسَم معترِض للتوكيد. انتهى.

وقرأ الجمهور: «نذيراً» واحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار، كالنَّكير بمعنى الإنكار، فيكون تمييزاً، أي: لَإِحْدَى الكُبَرِ إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النِّساءِ عَفافاً، لمَّا ضمَّن «إحدى» معنى «أعظَم» جاء عنه التمييز.

وقال الفرَّاء[٣]: هو مصدر نُصب بإضمار فعل، أي: أَنْذِرْ إنذاراً.

واحتمل أن يكون اسمَ فاعل بمعنى مُنْذِر؛ فقال الزجَّاج: حال من الضمير في «إنَّها»[٤].

وقيل: حال من الضمير في «إحْدَى»[٥].

ومَنْ جعلَه متصلاً بـ «قُمْ» في أوَّلِ السورة أو بـ «فأَنْذِرْ» في أول السورة، أو حالاً من الكُبَرِ، أو حالاً من ضمير الكُبَر، فهو بمعزل عن الصواب.

قال أبو البقاء[٦]: والمُختارُ أن يكون حالاً ممَّا دلَّت عليه الجملة، تقديرُهُ: عَظُمَتْ نذيراً. انتهى. وهو قولٌ لا بأس به.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٥ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ عن ابن كثير دون ذكر الراوي عنه، وهي في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣ من رواية جرير بن حازم عنه.
(٢) الكشاف ٤/ ١٨٦.
(٣) ينظر معانيه ٣/ ٢٠٥.
(٤) معاني القرآن ٥/ ٢٤٩.
(٥) قال السمين: لِتأَوُّلها بمعنى العظيم. ينظر الدُّرّ المصون ١٠/ ٥٥٢.
(٦) الإملاء ٢/ ٢٧٣.

قال النَّحاس: وحُذفت الهاء من «نذيراً» وإنْ كان للنار على معنى النَّسب، يعني ذاتَ الإنذار[١].

وقال عليّ بنُ سليمان: أعني نذيراً.

وقال الحسن: لا نَذِيرَ أَدْهَى من النار[٢]؛ قال ابنُ عطيَّة[٣]: وهذا القولُ يقتضي أنَّ «نذيراً» حال من الضمير في «إنَّها» أو من قوله: «لَإِحْدَى».

وقال أبو رَزِين: «نذير» هنا هو الله تعالى[٤]، فهو منصوب بإضمار فعل، أي: أدْعُوا نذيراً.

وقال ابن زيد: «نذير» هنا هو محمدٌ ﷺ[٥]، فهو منصوبٌ بفعل مضمر، أي: نادِ، أو: بَلِّغْ، أو أعْلِنْ[٦].

وقرأ أُبيّ وابنُ أبي عَبْلَة: «نذيرٌ» بالرفع[٧]، فإنْ كان من وصف النارِ جاز أن يكون خبراً بعدَ خبر[٨]، وخبرَ مبتدأ محذوف، أي: هي نذيرٌ، وإنْ كان من وصفِ اللهِ أو الرَّسول؛ فهو على إضمار «هو».

والظاهر أن «لِمَنْ» بدلٌ من «للبَشَر» بإعادة الجارّ[٩]، و«أنْ يتقدَّمَ» منصوبٌ بـ

(١) في (يه): ذات إنذار.
(٢) تحرَّف في (أ) والمطبوع إلى: لأنذر إذ هي من النار.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وقول الحسن فيه وفي النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣.
(٤) بنحوه في تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٤٦، والثعلبي ٦/ ٣١٩، والقرطبي ٢١/ ٣٩٤.
(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩، والنكت والعيون ٦/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣-٣٩٤.
(٦) وهو بنحو القول الذي استبعدَه المصنف، وهو في اتصاله بـ «قُمْ» أو «أنذر» أول السورة. وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٣-٣٩٤.
(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥، والكشاف ٤/ ١٨٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٤-٣٩٥.
(٨) قوله: بعد خبر، سقط من (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع.
(٩) كقوله في الأعراف (٧٥) ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾، وفي الزخرف (٣٣) ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾. ينظر الدر المصون ١٠/ ٥٥٣.

«شاء»، والفاعل بـ «شاء»[1] ضميرٌ يعودُ على «مَنْ»، وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: لمن شاء هو، أي: الله تعالى.

وقال الحسن: هو وعيدٌ، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] قال ابن عطية[2]: هو بيانٌ في النِّذارة، وإعلامٌ بأنَّ كلَّ أحدٍ يسلكُ طريقَ الهدى والحقّ إذا حقَّق النظرَ، إذْ هو[3] بعينِهِ يتأخَّر عن هذه الرُّتبة بغفلته وسوءِ نظرِهِ، ثم قَوِيَ هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾.

وقال الزمخشريّ[4]: «أنْ يتقدَّمَ» في موضع الرَّفع بالابتداء، و«لمن شاء» خبر مقدَّم عليه، كقولك: لمن تَوضَّأ أنْ يُصلّي، ومعناه: مطلقٌ لمن شاء التقدُّمَ أو التأخُّر أن يتقدَّم أو يتأخَّر، والمرادُ بالتقدُّم والتأخُّر السَّبْق إلى الخير والتخلُّفُ عنه، وهو كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ انتهى. وهو معنًى لا يتبادرُ إلى الذِّهْن، وفيه حذفٌ.

قيل: والتقدُّم الإيمان، والتأخُّر الكفرُ[5].

وقال السُّدِّيُّ: أن يتقدَّم إلى النار المتقدِّمِ ذكرُها، أو يتأخَّر عنها إلى الجنة[6].

وقال الزجَّاج[7]: أن يتقدَّم إلى المأمورات، أو يتأخَّر عن المنهيَّات.

والظاهر العمومُ في كلِّ نفس، وقال الضَّحَّاك: كلُّ نفسٍ حَقَّ عليها العذابُ[8]،

---

(١) قوله: والفاعل بـ «شاء» سقط من (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، وقول الحسن فيه وفي تفسير الثعلبي ٦/ ٣١٩.

(٣) في المحرر الوجيز: أي هو، بدل: إذ هو.

(٤) الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٥.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وزاد المسير ٨/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٥.

(٧) معاني القرآن ٥/ ٢٤٩.

(٨) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: حقيق، بدل: حقَّ. وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨ (والقول فيه): «حقت عليها كلمة العذاب». وقولُ الضحَّاك بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٤٨، وزاد المسير ٨/ ٤١١.

ولا يَرْتَهِنُ الله تعالى أحداً من أهل الجنة.

و«رَهِينة» بمعنى «رَهْن» كالشَّتِيمة بمعنى الشَّتْم، وليست بمعنى مفعول لأنها بغير تاء للمذكَّر والمؤنَّث، نحو: رجلٌ قَتِيل، وامرأة قَتِيل، فالمعنى: كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهْنٌ، ومنه قول الشاعر:

أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينةِ رَمْسٍ ذي تُرابٍ وجَنْدَلِ[1]

أي: رَمْس رَهْن[2]، والمعنى أنَّ كلَّ نفسٍ رَهْنٌ عندَ الله غيرُ مفكوك.

وقيل: الهاءُ في «رَهِينة» للمبالغة، وقيل: على تأنيث اللفظ لا على معنى[3] الإنسان.

والذي أختارُه أنها ممَّا دخلت فيه التاء وإن كان بمعنى مفعول في الأصل، كالنَّطِيحة، ويدلُّ على ذلك أنه لمَّا كان خبراً عن المذكَّر كان بغير هاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] فأنتَ ترى حيث كان خبراً عن المذكَّر أتى بغير تاء، وحيث كان خبراً عن المؤنَّث أتى بالتاء كما في هذه الآية، فأمَّا الذي في البيت فأُنِّث على معنى النفس.

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ قال ابنُ عباس: هم الملائكة، وقال عليّ: هم أطفال المسلمين[4]، فعلى هذين القولين يكون استثناءً منقطعاً، أي: لكنْ أصحابُ اليمينِ في جنَّات.

وقال الحسنُ وابنُ كَيْسَان: هم المسلمون المُخلصون، ليسوا بمرتَهَنين لأنَّهم أدَّوا ما كان عليهم[5]، وهذا كقول الضحَّاك الذي تقدَّم.

(١) البيت لعبد الرحمن بن زيد العدوي، ينظر البيان والتبيين ٣/٢٥٨، والأغاني ٥/١٠٤، والحماسة البصرية ١/٢١٧. قوله: النَّعف: هو ما انحدر من حُزُونَة الجبل وارتفع من منحدر الوادي، والرَّمْس: القبر، والجَنْدل: الحجارة.

(٢) في الكشاف ٤/١٨٦ (والكلام فيه بنحوه): كأنه قال: رَهْن رَمْس.

(٣) كلمة «معنى» من (يه). والقولان في المحرر الوجيز ٥/٣٩٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/٤٤٩-٤٥٠، والمحرر الوجيز ٥/٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/٣٩٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/٣٩٦.

وقال الزمخشري[1]: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ فإنَّهم فكُّوا عنه رِقَابَهم بما أَطَابُوه من كَسْبِهم؛ كما يُخلِّصُ الرَّاهِنُ رَهْنَهُ بأداءِ الحقّ. انتهى. فظاهرُ هذا أنه استثناءٌ متَّصل.

﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي: هم في جنات ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يسألُ بعضُهم بعضاً، أو يكون «يتساءلُ» بمعنى «يسألُ» أي: يسألون عنهم غيرَهم كما يقال: دعوتُه وتداعيتُه بمعناه.

وعلى هذَيْن التقديرَيْن كيف جاء ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ بالخطاب للمجرمين؟ وفي الكلام حذف، المعنى: أنَّ أصحابَ اليمين يسألُ بعضُهم بعضاً، أو يسألون غيرَهم عمَّن غابَ من معارفهم، فإذا عرفُوا أنهم مجرمون في النار قالوا لهم، أو قالت لهم الملائكة. هكذا قدَّره بعضُهم، والأقربُ أن يكون التقدير: يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعد التساؤل: ما سَلَكَكُم في سَقَر؟

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: كيف طابقَ قولُه: «ما سَلَكَكُم» ـ وهو سؤالٌ للمجرمين ـ قولَه: «يَتَسَاءلون عن المجرمين» وهو سؤالٌ عنهم، وإنما كان يتطابقُ ذلك لو قيل: يتساءلونَ المجرمين: ما سَلَكَكُم؟

قلت: «ما سَلَكَكُم» ليس ببيانٍ للتساؤل عنهم، وإنَّما هو حكايةُ قولِ المسؤولين عنهم، لأنَّ المسؤولين يُلْقُون إلى السائلين ما جَرَى بينَهم وبينَ المجرمين، فيقولون: قلنا لهم: ما سَلَكَكُم في سَقَر؟ قالوا: لم نَكُ من المصلِّين، إلا أنَّ الكلامَ جِيءَ به على الحذف والاختصار كما هو نهجُ التنزيلِ في غَرَابةِ نظمه. انتهى.

وفيه تعسُّف، والأظهر أنَّ السائلين هم المتسائلون، و«ما سَلَكَكَمْ» على إضمار القول كما ذكرنا، وسؤالهم: «ما سَلَكَكُمْ» سؤالُ توبيخ لهم وتحير[2]، وإلَّا فهُم عالمون ما الذي أدخلَهم النار.

والجواب أنهم لم يكونوا متَّصفين بخصائل الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاءِ

(١) الكشاف ٤/١٨٦.

(٢) المثبت من (يه). وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تحقير.

الزكاة، ثم ارْتَقَوْا من ذلك إلى الأعظم، وهو الكفرُ والتكذيبُ بيوم الجزاء، كقولِهِ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١١-١٧].

و«اليقين» أي: يقيناً على إنكار يومِ الجزاء، أي: وقت الموت.

وقال ابنُ عطية[١]: و«اليقين» عندي صحَّةُ ما كانوا يكذِّبون [به] من الرُّجوع إلى الله تعالى والدارِ الآخرة، وقال المفسِّرون: «اليقين» الموت، وذلك عندي هنا متعقَّب، لأنَّ نَفْسَ الموت يقينٌ عند الكافر وهو حيّ، فإنَّما اليقينُ الذي عَنَوْا في هذه الآية الشيءَ الذي كانوا يكذِّبون به وهم أحياءٌ في الدُّنيا، فتيقَّنُوه بعد الموت، وإنَّما يتفسَّر اليقينُ بالموت في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ليس المعنى أنهم يُشْفَعُ لهم فلا تنفعُ شفاعةُ مَنْ يشفعُ لهم، وإنَّما المعنى نفيُ الشفاعة لهم، فانتفَى النفعُ، أي: لا شفاعةَ شافعينَ لهم فتنفعَهم من باب:

عـلـى لاحِـبٍ لا يُـهـتَـدَى بـمـنـارِهِ[٢]

أي: لا مَنَارَ له فيُهتَدَى به.

وتخصِيصُهم بانتفاءِ شفاعةِ الشَّافعين يدلُّ على أنه قد تكونُ شفاعاتٌ ويُنتفعُ بها، ووردَتْ أحاديثُ في صحَّة ذلك[٣].

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ وهي مواعظُ القرآنِ التي تُذَكِّرُ الآخرة. ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أي:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، ولفظة «به» الآتية بين حاصرتين منه.

(٢) هو صدرُ بيت لامرئ القيس، وعَجُزُهُ: إذا سافَهُ العَوْدُ النُّباطِيُّ جَرْجَرا، وهو في ديوانه ص٦٦. اللاحِبُ: الطريق الواسع، وسافَهُ، أي: شَمَّهُ، والعَوْدُ: المُسِنُّ من الإبل، والنُّباطيُّ: نسبة إلى النَّبَط، وهو أشدُّ الإبل وأصبرُها، وجَرْجَر، أي: صوَّت. وسلف الصدر في تفسير البقرة (٧١) و(٢٧٣) وتفسير آل عمران (١٥١) وغيرهما.

(٣) ينظر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ المطوَّل في الرؤية والشفاعة، أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

والحالُ المنتظرَة [هي] هذه الموصوفة[١]، ثم شبَّههم بالحُمُر المُستنفِرة في شدَّة إعراضِهم ونِفَارِهم عن الإيمان وآياتِ الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «حُمُرٌ» بضمّ الميم، والأعمشُ بإسكانها[٢].

قال ابن عبّاس: المرادُ الحُمُر الوحشيَّة[٣]، شبَّههم تعالى بالحُمُر مذمَّةً وتهجيناً لِحالِهم[٤].

وقرأ نافع وابنُ عامر والمفضَّل عن عاصم: «مُسْتَنْفَرة» بفتح الفاء، والمعنى: استنفرَها فَزَعُها من القَسْوَرَة. وباقي السبعة بكسرها[٥]، أي: نافرة، نَفَرَ واستنفر بمعنى [مثل] عَجِبَ واستَعْجَبَ، وسَخِرَ واسْتَسْخَرَ، ومنه قولُ الشاعر:

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ   في إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ[٦] لِغُرَّبِ[٧]

ويُناسِبُ الكسر قوله: «فَرَّتْ».

وقال محمد بنُ سلّام: سألتُ أبا سَوَّار الغَنَوِيَّ ـ وكان أعرابيًّا فصيحاً ـ فقلتُ: كأنَّهم حُمُرٌ ماذا؟ فقال: مُسْتَنْفَرَة طَرَدَها قَسْوَرَة، فقلتُ: إنَّما هو: «فَرَّتْ من قَسْوَرَة» قال: أَفَرَّتْ؟ قلتُ: نعم، قال: فمُسْتَنْفِرةٌ إذَنْ[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، ولفظة «هي» السالفة بين حاصرتين منه.

(٢) المصدر السالف.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٩، وبنحوه في الوسيط ٤/ ٣٨٨، وزاد المسير ٨/ ٤١٧.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: لهم.

(٥) السبعة ص٦٦١، والتيسير ص٢١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في (أ) والمطبوع: عهدن. وهو خطأ.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٥، ونسبه ابن قُتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٧٩٣ لنافع بن لقيط الفقعسي، وفيه: اربط، بدل: أمسك. قوله: غُرَّب: هو جبل دون الشام في ديار بني كلب كما في معجم البلدان ٤/ ١٩٢.

(٨) قال السمين: يعني أنها مع قوله: «طَرَدَها» تُناسب الفتح لأنها اسم مفعول، فلما أُخبر بأن التلاوة: «فَرَّتْ من قَسْوَرَة» رجع إلى الكسر للتناسب، إلا أنَّ بمثل هذه الحكاية لا تُرَدُّ القراءة المتواترة. ينظر الدر المصون ١٠/ ٥٥٨.

قال ابن عبَّاس وأبو موسى الأشعريّ وقتادة وعكرمة: القَسْوَرَة الرُّماة.

وقال ابنُ عبَّاس أيضاً وأبو هريرة وجمهورٌ من اللغويِّين: الأسد[1].

وقال ابنُ جُبير: رجالُ القَنْص[2]، وهو قريبٌ من القول الأوَّل، وقالَه ابنُ عبَّاس أيضاً.

وقال ابنُ الأعرابيّ: القَسْوَرةُ أوَّلُ الليل[3]، والمعنى: فَرَّتْ من ظُلمة الليل.

ولا شيءَ أشَدُّ نِفاراً من حُمُرِ الوَحْش، ولذلك شَبَّهَتْ بها العربُ الإبلَ في سرعة سيرِها وخِفَّتِها[4].

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٕ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المُعرِضِين عن عظات اللهِ وآياتِه ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: منشورةً غيرَ مطويَّة تُقرأ، كالكتب التي يُتكاتَبُ بها، أو كُتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعةَ كُتبت رطبةً لم تُطْوَ بعد، وذلك أنهم قالوا لرسولِ الله ﷺ: لن نَتَّبِعَكَ حتى يُؤْتَى كلُّ واحدٍ منَّا بكُتُبٍ[5] من السماء عنوانُها[6]: من ربِّ العالمين إلى فلان بنِ فلان، نُؤْمَرُ فيها باتِّباعِك. ونحوُه: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[7] [الإسراء: ٩٣].

---

(١) ينظر ما سلف في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٩-٤٦٠، والنكت والعيون ٦/ ١٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ (والكلام منه)، وزاد المسير ٨/ ٤١٢-٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٠.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩، وهو في النكت والعيون ٦/ ١٤٩ دون نسبة، وقرنه القرطبي ٢١/ ٤٠٠بقول قتادة وعكرمة السالف.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٤٠١، وبنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ عن ثعلب.

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٨٨.

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: كتاباً.

(٦) في المطبوع: عنوانه.

(٧) وقع في النسخ الخطية والمطبوع: لن نؤمن لك حتى... الخ، وهو خطأ، ولفظ الخبر في الكشاف ٤/ ١٨٨، وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٢، وزاد المسير ٨/ ٤١٣، وبنحوه أيضاً مختصر في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ وقال: كان هذا من قول عبد الله بن أبي أمية وغيره، وينظر تفسير كل من الطبري ٢٣/ ٤٦١، والقرطبي ٢١/ ٤٠١.

ورُوِيَ أنَّ بعضَهم قال: إن كانَ يُكتبُ في صحفٍ ما يَعملُ كلُّ إنسان فلتُعرض تلك الصُّحف علينا. فنزلت هذه الآية[١].

وقرأ الجمهور: «صُحُفاً» بضم الحاء «مُنَشَّرة» مشدَّداً، وابنُ جُبير بإسكانها «مُنْشَرَة» مخفَّفاً[٢]، ونَشَّرَ وأنْشَرَ مثل: نَزَّلَ وأنْزَلَ[٣]، شبَّهَ نَشْرْتُ الصحيفةَ بـ: أَنْشَرَ اللهُ الموتى، فعبَّر عنه بـ «مُنْشَرَة» من أنْشَرْتُ[٤]، والمحفوظُ في الصحيفة والثوب: نَشَرَ، مخفَّفاً ثلاثياً[٥]، ويقال في الميِّت: أنْشَرَهُ الله ونَشَرَهُ، ويقال: أَنْشَرَهُ اللهُ فَنَشَرَ[٦] هو، أي: أحْيَاهُ فَحيِيَ.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إرادتهم تلك وزَجْرُهم[٧] عن اقتراحِ الآيات ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ولذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاءِ الصُّحُف.

وقرأ الجمهور: «يخافون» بياء الغَيْبة، وأبو حَيْوَة بتاء الخطاب التفاتاً[٨].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ عن إعراضِهم عن التَّذكرة ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ ذكَّر في «إنَّه» وفي «ذَكَرَهُ» لأنَّ التَّذكرةَ ذِكْرٌ[٩].

وقرأ نافع وسلَّام ويعقوب: «تَذْكُرُون» بتاء الخطاب ساكنةَ الذال، وباقي السبعة

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥، والمحتسب ٢/ ٣٤٠، والكشاف ٤/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٢.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٨٨: أنْشَرَ الصُّحفَ ونَشَّرَها واحد، كأنزلَه ونَزَّلَهُ.

(٤) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠: ولا يقال في الميّت يحيا: منشور، إلا على تشبيهٍ بالثوب.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز٥/ ٤٠٠، ونقله السمين في الدُّرّ ١٠/ ٥٥٩ عن أبي حيان وتعقَّبه بقوله: وهذا مردود بالقرآن المتواتر.

(٦) قوله: «ونشره ويقال أنشره الله» ليس في المطبوع.

(٧) المثبت من (يه)، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وزجر لهم، وينظر الكشاف ٤/ ١٨٨.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠.

(٩) وقال في الكشاف ٤/ ١٨٨: لأنها في معنى الذِّكر أو القرآن.

وأبو جعفر والأعمش وطلحة وعيسى والأعرج بالياء[١].

ورُوِيَ عن أبي حَيْوَة: «يَذَّكَّرُونَ» بياء الغَيبة وشدِّ الذال[٢]، ورُوِيَ عن أبي جعفر «تَذَّكَّرُونَ» بالتاء وإدغام التاء في الذال[٣].

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أهلٌ أنْ يُتَّقَى ويُخاف، وأهلٌ أنْ يَغْفِرَ، ورَوَى أنس بنُ مالك رضي الله تعالى عنه أنَّ النبيَّ ﷺ فَسَّرَ هذه الآيةَ فقال: «يقولُ ربُّكم جَلَّتْ قدرتُه وعَظَمَتُه: أنا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فلا يُجْعَلْ معي[٤] إلهٌ غيري، ومَنِ اتَّقَى أنْ يَجْعَلَ معي إلهاً غيري فأنا أغفرُ له»[٥].

وقال الزمخشريّ[٦] في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: يعني إلا أنْ يَقْسِرَهُم على الذِّكْرِ ويُلْجِئَهم إليه، لأنهم مطبوعٌ على قلوبهم معلومٌ أنهم لا يؤمنون اختياراً.

---

(١) ينظر السبعة ص٦٦٠، والتيسير ص١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، ورواية يعقوب بتاء الخطاب فيه وفي تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠، وقرأ أيضاً بالياء كما في النشر ٢/ ٣٩٣.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥.

(٣) يعني بشدِّ الذَّال كسابقتها، وذلك على أنَّ الأصل: تَتَذَكَّرون، والقراءة في المصدر السالف، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠.

(٤) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يتقى، بدل: معي، وهو تحريف.

(٥) أخرجه بنحوه أحمد في المسند (١٢٤٤٢) والترمذي (٣٣٢٨) والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠) وابن ماجه (٤٢٩٩)، ولفظُه من المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٢٣.

(٦) الكشاف ٤/ ١٨٨.

(٧٤) سورة المدثر مكية
وآياتها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن
تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

روى البخاري، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري، هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني وصبوا عليَّ ماء بارداً–قال– فدثروني وصبوا عليَّ ماء بارداً، قال، فنزلت: ﴿ يا أيها المدثر * قُمْ فأنذر * وربك فكبِّر ﴾[1]. وعن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي إذْ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني. زملوني، فزملوني، فأنزل: ﴿ يا أيها المدثر * قُمْ فأنذر – إلى – فاهجر ﴾، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، «ثم حمي الوحي وتتابع»[2]. وهذا السياق يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله: «فإذا الملك الذي كان بحراء،» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ اقْرَأْ باسْمِ ربِّك الذي خلق ﴾، ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا، كما قال الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت لهم: زملوني. زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر *

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

قُمْ فأنذر * وربك فكبِّر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر﴾ ثم حمي الوحي وتتابع »[1]. وروى الطبراني، عن ابن عباس قال: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل ساحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحزن وقنّع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾ وقوله تعالى ﴿قم فأنذر﴾ أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس ﴿وربك فكبر﴾ أي عظِّم ﴿وثيابك فطهِّر﴾ سئل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿وثيابك فطهر﴾ فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

وفي رواية عنه: فطهر من الذنوب، وقال مجاهد: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: نفسك ليس ثيابه، وفي رواية عنه: أي عملك فأصلح، وقال قتادة: ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهرها من المعاصي، وقال محمد بن سيرين: ﴿وثيابك فطهر﴾ أي اغسلها بالماء، وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه. وقال سعيد بن جبير ﴿وثيابك فطهر﴾ وقلبك ونيتك فطهر.

وقوله تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ قال ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر[2]، وقال الضحّاك ﴿والرجز فاهجر﴾: أي اترك المعصية، وعلى كل تقدير، فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾. وقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾، قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، واختاره ابن جرير، وقال مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب تضعف، وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا، فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عزَّ وجلَّ، قاله مجاهد. وقال إبراهيم النخعي: اصبر عطيتك لله عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ﴿الناقور﴾ الصور، قال مجاهد: وهو كهيئة القرن، وفي الحديث: « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »[3]، وقوله تعالى: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي شديد، ﴿على الكافرين غير يسير﴾ أي غير سهل عليهم، كما قال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾، وقد روينا عن (زرارة بن أوفى)

(١) خرجه أحمد والشيخان.

(٢) وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد أن الرجز يراد به الأوثان.

(٣) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم.

قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شهق شهقة، ثم خرّ ميتاً رحمه الله تعالى.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث، الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله وبدلها كفراً، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وقد عدّد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله تعالى: ﴿ مالاً ممدوداً ﴾ أي واسعاً كثيراً، قيل: ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار، وقيل أرضاً يستغلها، وقيل غير ذلك، وجعل له ﴿ بنين شهوداً ﴾ قال مجاهد: لا يغيبون، أي حضوراً عنده لا يسافرون، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيما ذكره السدي ثلاثة عشر، وقال ابن عباس ومجاهد: كانوا عشرة، وهذا أبلغ في النعمة، وهو إقامتهم عنده، ﴿ ومهدت له تمهيداً ﴾ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾ أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم. قال الله تعالى: ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾. روى ابن أبي حاتم، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت»(1)، وقال ابن عباس ﴿ صعوداً ﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه، وقال السدي: ﴿ صعوداً ﴾: صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها، وقال مجاهد: ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ أي مشقة من العذاب، وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه، واختاره ابن جرير، وقوله تعالى: ﴿ إنه فكر وقدر ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكّر ﴿ وقدّر ﴾ أي تروّى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكّر ماذا يختلق من المقال ﴿ وقدّر ﴾ أي تروّى ﴿ فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر ﴾ دعاء عليه ﴿ ثم نظر ﴾ أي أعاد النظرة والتروي ﴿ ثم عبس ﴾ أي قبض بين عينيه وقطّب ﴿ وبسر ﴾ أي كلح وكره، ومنه قول توبة بن حمير:

وقد رابني منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتي وبُسُورها

وقوله تعالى: ﴿ ثم أدبر واستكبر ﴾ أي صرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿ إن هذا

(1) رواه ابن أبي حاتم والبزار وابن جرير.

إلا قول البشر﴾ أي ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو (الوليد بن المغيرة) المخزومي، أحد رؤساء قريش لعنه الله، قال ابن عباس: «دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر، فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا، وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال الوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ إلى قوله ﴿لا تبقي ولا تذر﴾[1] وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل، فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله: ﴿فقتل كيف قدّر﴾ الآية، ﴿ثم عبس وبسر﴾ قبض ما بين عينيه وكلح، وروى ابن جرير عن عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: يعطونكه، فإنك أتيت محمداً تعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنك كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ حتى بلغ ﴿تسعة عشر﴾[2]. وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر، وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، كما قال تعالى: ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، فقال: (إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر) قال الله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأغمره فيها من جميع جهاته، ثم قال تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر﴾؟ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقوله تعالى: ﴿لواحة للبشر﴾ قال مجاهد: أي للجلد، وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل، وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان، وقوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خُلُقهم، روى ابن أبي حاتم، عن البراء في قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال: إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء رجل فأخبر

(١) أخرجه العوفي عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير.

النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ فأخبر أصحابه[1]. وروى الحافظ البزار عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، غلب أصحابك اليوم ، فقال: « بأي شيء » ؟ قال: سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ، قال رسول الله ﷺ: « أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم، حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ عليّ بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » ، فأرسل إليهم فدعاهم، قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال: « هكذا » وطبّق كفيه، ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: « إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار ، قال لهم رسول الله ﷺ: « ما تربة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال: « الخبز من الدرمك »[2] .

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي خزانها ﴿ إلا ملائكة ﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً ، وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل: إن (أبا الأشدين) قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن[3] ، وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس، ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله، وقوله تعالى: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ﴾ أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم ﷺ، ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي من المنافقين، ﴿ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ ؟

---

(١) رواه ابن أبي حاتم .

(٢) رواه البزار وأحمد والترمذي .

(٣) نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم .

أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وقوله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، وقد ثبت في حديث الإسراء في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»(١)

وروى الإمام أحمد، عن أبي ذر قال، قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد(٢)، وعن جابر بن عبدالله قال، قال رسول الله ﷺ: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»(٣). وعن ابن مسعود أنه قال: إن من السماوات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم، ثم قرأ: ﴿وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون﴾(٤). وروى محمد ابن نصر، عن عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عزَّ وجلَّ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(٥). وقوله تعالى: ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ أي النار التي وصفت ﴿إلا ذكرى للبشر﴾، ثم قال تعالى: ﴿كلا والقمر * والليل إذ أدبر﴾ أي ولّى ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أي أشرق ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أي العظائم يعني النار، قاله ابن عباس ومجاهد، ﴿نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ

(١) أخرجاه في الصحيحين.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) أخرجه الحافظ الطبراني.

(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة. (٥) أخرجه محمد بن نصر، قال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

ٱلْأَخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً أن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ أي معتقلة بعملها يوم القيامة ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فإنهم ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات، وأولئك في الدركات قائلين لهم ﴿ ما سَلَكَكُمْ في سقر ۝ قالوا لم نَكُ من المصلِّين ۝ ولم نَكُ نُطعِمُ المسكين ﴾ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا، ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه، ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ يعني الموت كقوله تعالى: ﴿ وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾، وقال رسول الله ﷺ: « أما هو – يعني عثمان بن مظعون – فقد جاءه اليقين من ربه » قال تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه، لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً، فإن له النار لا محالة خالداً فيها. ثم قال تعالى: ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾ أي كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد[1]؛ وقوله تعالى: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴾ أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قال مجاهد وغيره كقوله تعالى: ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى يؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾، وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل، فقوله تعالى: ﴿ كلا بل لا يخافون الآخرة ﴾ أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال تعالى: ﴿ كلا إنه تذكرة ﴾ أي حقاً إن القرآن تذكرة، ﴿ فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ كقوله: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ الآية ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ وقال: « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له »[2]

[آخر تفسير سورة المدثر، ولله الحمد والمنة]

✲ ✲ ✲

---

(١) قاله أبو هريرة وابن عباس وزيد بن أسلم، وهو قول الجمهور.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب.

تفسير سورة المدثر

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ﴾ .

ثبت فى صحيح البخارى [من حديث يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة] (١) ، عن جابر أنه كان يقول : أول شىء نزل من القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وخالفه (٢) الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾، كم سيأتى [بيان] (٣) ذلك هنالك .

قال البخارى : حدثنا يحيى ، حدثنا وَكِيع ،عن على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . قلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ؟ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلتُ له مثل ما قلتَ لى ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال : « جاورت بحراَء ، فلما قضيت جوارى هبطتُ فنُوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامى فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً . فرفعت رأسى فرأيت شيئاً،فأتيت خديجة فقلت : دَثرونى . وصبُّوا على ماء باردا . قال : فدثَّرونى وصبُّوا على ماء باردا قال : فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ » (٤).

هكذا ساقه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم (٥) من طريق عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة قال : أخبرنى جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى : « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى قبَلَ السماء ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فَجَئِثْتُ (٦) منه حتى هَوَيتُ إلى الأرض ، فجئت إلى أهلى ، فقلت : زملونى زملونى . فزملونى ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إلى : ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ ـ

---

(١) زيادة من م . (٢) فى م:« وخالف » . (٣) زيادة من م .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٢) .

(٥) صحيح مسلم برقم (١٦١) .

(٦) فى م:« فجثيت » .

قال أبو سلمة : والرجز: الأوثان ـ ثم حَمىَ الوحىُ وتَتابع » .

هذا لفظ البخارى [(١)] . وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا ، لقوله : « فإذا الملك الذى جاءنى [(٢)] بحراء » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شىء نزل بعد فترة الوحى هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حجاج ، حدثنا لَيْث ، حدثنا عُقَيل ، عن ابن شهاب[(٣)] قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرنى جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثم فتر الوحى عنى فترة ، فبينا أنا أمشى سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى قِبَل السماء ، فإذا الملك الذى جاءنى [بحراء الآن] [(٤)]قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فَجُئِثْت [(٥)] منه فَرَقاً ، حتى هَوَيت إلى الأرض ، فجئت أهلى فقلت لهم : زملونى زملونى . فزملونى ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ . ثم حمى الوحى [بعدُ] [(٦)] وتتابع » .أخرجاه من حديث الزهرى ، به [(٧)] .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بشر [(٨)] البَجَلى ، حدثنا المعافى بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبى مُلَيْكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا . قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم ليس بشاعر . وقال بعضهم : [بل] [(٩)] سحر يؤثر .فأجمع رأيهم على أنه سحر يُؤثر . فبلغ ذلك النبى ﷺ فحزَن وقَنع رأسه ، وتَدثَّر ، فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾[(١٠)] .

فقوله : ﴿ **قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ أى : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . ﴿ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أى : عظم . وقوله : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾، قال الأجلح الكندى، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾،

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٦) .
(٢) فى م : « الذى كان » .
(٣) فى أ : « ابن هشام » .
(٤) زيادة من م ، أ ، والمسند .
(٥) فى م :« فجثيت » .
(٦) زيادة من المسند .
(٧) المسند (٣/ ٣٢٥) ، وصحيح البخارى برقم (٤٩٢٦) ، وصحيح مسلم برقم (١٦١) .
(٨) فى أ : الحسن بن بشير » .
(٩) زيادة من م .
(١٠) المعجم الكبير للطبرانى (١١/ ١٢٥) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣١) :« وفيه إبراهيم بن يزيد الخورى وهو ضعيف » .

قال: لا تلبسها [١] على معصية ولا على غَدْرَة . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى :

فَإنى بحمد الله لا ثَوبَ فَاجر لبستُ ، ولا من غَدْرَة أتقنَّعُ [٢]

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس [فى هذه الآية] [٣] : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : فى كلام العرب : نَقِى الثياب . وفى رواية بهذا الإسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والشعبى ، وعطاء .

وقال الثورى ، عن رجل ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى هذه الآية : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : من الإثم . وكذا قال إبراهيم النخَعى .

وقال[٤] مجاهد : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : نفسك ، ليس ثيابه . وفى رواية عنه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : عملك فأصلح، وكذا قال أبو رَزِين . وقال فى رواية أخرى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا.

وقال قتادة : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : طهرها من المعاصى ، وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يَفِ بعهد الله إنه لَمُدَنس [٥] الثياب . وإذا وفى وأصلح : إنه لمطهر الثياب .

وقال عكرمة ، والضحاك : لا تلبسها على معصية .

وقال الشاعر [٦] :

إذا المرءُ لم يَدْنَس منَ اللؤم عرْضُه فَكلّ رداء يـرْتَـديـه جَـمـيلُ

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [يعنى] [٧] : لا تك ثيابك التى تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لا تلبس ثيابك على معصية .

وقال محمد بن سيرين : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : اغسلها بالماء .

وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره الله أن يتطهر ،وأن يطهر ثيابه .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه ، كما قال امرؤ القيس :

أفاطمَ مَهـلاً بعض هـذا التَدلُّـل وَإن كُنت قَد أزْمَعْت هَجْرى فأجْملى

وَإن تَكُ قَد سَـاءتك منى خَليقَةٌ فَسُلّى ثِيَـابـى مِـن ثيابـك تَنسُلِ [٨]

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : وقلبك ونيتك فطهر .

---

(١) فى أ : « لا تسلبها » .

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٩١) .

(٣) زيادة من م .
(٤) فى م :« وعن» .
(٥) فى م :« لدنس » .

(٦) هو دكين بن رجاء ، وانظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/ ٦١٢) مستفاداً من حاشية الشعب .

(٧) زيادة من م.

(٨) ديوان امرئ القيس (ص٣٧) مستفاداً من حاشية الشعب .

وقال محمد بن كعب القرظى ، والحسن البصرى : وخُلُقَك فَحسّن .

وقوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾، قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿وَالرُّجْز ﴾ ،وهو الأصنام ، فاهجر .وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهرى ، وابن زيد : إنها الأوثان .

وقال إبراهيم ، والضحاك : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى : اترك المعصية .

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١] . ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٢] .

وقوله : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ : قال ابن عباس : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعى ، والضحاك ، وقتادة ، والسدى، وغيرهم .

وروى عن ابن مسعود أنه قرأ : « ولا تمنن أن تستكثر » .

وقال الحسن البصرى : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .وقال خُصَيف ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن فى كلام العرب : تضعف .

وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس ، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

فهذه أربعة أقوال ، والأظهر القول الأول ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى : اجعل صبرك على أذاهم لوجه الله عز وجل ،قاله مجاهد .

وقال إبراهيم النخعى : اصبر على عطيتك لله تعالى (١) .

وقوله :﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، والشعبى ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدى ، وابن زيد : ﴿ النَّاقُور ﴾ : الصور .قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط ، به (٢) . ورواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب ، عن ابن فضيل

---

(١) فى أ :« لله عز وجل » .

(٢) المسند (١/ ٣٢٦) ، وقال الحافظ عند تفسير الآية : ١٧٣ من سورة آل عمران :« حديث جيد » .

وأسباط ، كلاهما عن مطرف ، به. ورواه من طريق أخرى ، عن العوفى ، عن ابن عباس، به[١] .

وقوله : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ أى : شديد ، ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ أى : غير سهل عليهم . كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر:٨] .

وقد روينا عن زُرَارة بن أوفى ـ قاضى البصرة ـ : أنه صلى بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلى قوله : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ : شَهِقَ شهقة ، ثم خر ميتا ، رحمه الله[٢] .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ .

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم الله ، وبدلها كفرا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر. وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ أى : خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم رزقه الله، ﴿ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ أى : واسعا كثيراً . قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل: أرضا يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له ﴿ بَنِينَ شُهُودًا ﴾ ، قال مجاهد : لا يغيبون ، أى: حضورا عنده لا يسافرون فى التجارات ، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتَملَّى بهم.وكانوا ــ فيما ذكره السدى ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة ــ ثلاثة عشر . وقال ابن عباس ، ومجاهد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ فى النعمة [وهو إقامتهم عنده][٣] .

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ أى : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ، ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أى : معاندا ، وهو الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله :﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ ، قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن دَرَّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٥) .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩) .

(٣) زيادة من م، أ.

ﷺ قال : « ويل : واد فى جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصَّعُود: جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » .

وقد رواه الترمذى عن عبد بن حُمَيد ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، به[١] . ثم قال : غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهيعة عن دراج . كذا قال . وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرَّاج [٢] . وفيه غرابة ونكارة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة وعلى بن عبد الرحمن ــ المعروف بعلان المصرى [٣] ــ قال: حدثنا مِنْجاب ، أخبرنا شريك ، عن عمار الدُّهَنِىّ ، عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ ، قال : « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده ، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت » .

ورواه البزار وابن جرير ، من حديث شريك ، به[٤] .

وقال قتادة ، عن[٥] ابن عباس : صعود : صخرة [فى جهنم] [٦] عظيمة يسحب عليها الكافر على وجهه .

وقال السدى : صعودا : صخرة ملساء فى جهنم ، يكلف أن يصعدها .

وقال مجاهد : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ أى : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذابا لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ أى : إنما أرهقناه صعودا ، أى : قربناه من العذاب الشاق ؛ لبعده عن الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أى : تَرَوَّى ماذا يقول فى القرآن حين سُئِل عن القرآن ، ففكر ماذا يختلق من المقال ، ﴿ وَقَدَّرَ ﴾ أى : تروى ، ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه ، ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ أى : أعاد النظرة [٧] والتروى ، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ أى : قبض بين عينيه وقطب ، ﴿ وَبَسَرَ ﴾ أى: كلح وكره ، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشاعر :

وَقَد رَابَنِى منها صُدُودٌ رَأيتُه ... وَإِعرَاضُها عَن حاجَتِى وبُسُورُها [٨]

وقوله : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ أى : صُرِف عن الحق ،ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن، ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ أى : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم؛ ولهذا قال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ أى : ليس بكلام الله .

(١) المسند (٣/ ٧٥) ، وسنن الترمذى برقم (٣١٦٤) .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٧) .
(٣) فى م :« البصرى » .
(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٧) ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤٠٩) « مجمع البحرين » من طريق منجاب بن الحارث به مرفوعاً . وقال الطبرانى :« لم يرفع هذا الحديث عن عمار الدهنى إلا شريك، ورواه سفيان بن عيينة عن عمار الدهنى فوافقه » .
(٥) فى م :« وقال » . (٦) زيادة من م . (٧) فى م :« النظر » .
(٨) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٨) .

وهذا المذكور فى هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومى ، أحد رؤساء قريش ـ لعنه الله ـ وكان من خبره فى هذا ما رواه العوفى ، عن ابن عباس قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله [1] عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبى كبشة. فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذْىٍ من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله . فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصبُوَنَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدَقة ؟ فقال : ألستُ أكثرهم مالا وولدا . فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد [2] تحدث به عشيرتى ؟! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ، ولا عمر ، ولا ابن أبى كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله : ﴿ لا تُبْقِى وَلا تَذَرُ ﴾ .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وما أشك أنه سحر . فأنزل الله : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ الآية ، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ : قبض ما بين عينيه وكلح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن عبَّاد بن منصور ، عن عكرمة : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال : أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمداً تَتَعَرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أنى أكثرها مالا. قال : فقل فيه قولا يعلم قومك أنك [3] منكر لما قال ، وأنك كاره له . قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من ذلك . والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى .قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأثره عن غيره .فنزلت : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ ، [قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا] [4] حتى بلغ : ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [5] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوا من هذا . وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفودُ العرب للحج ليصدّوهُم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء:٤٨] ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ، قال الله عز وجل:﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ أى : سأغمره فيها من جميع جهاته . ثم

(١) فى م ، أ : « يسأله » . (٢) فى أ : « أوقد » . (٣) فى م :« أنه » .
(٤) زيادة من تفسير الطبرى .
(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٨) .

قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ ؟ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أى : تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك ، وهم فى ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما .

وقوله : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ ، قال مجاهد : للجلد ، وقال أبو رَزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل. وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ أى : حراقة للجلد . وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان .

وقوله : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ أى : من مُقَدّمى الزبانية ، عَظيم خَلْقهم ، غليظ خُلُقُهم .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبى زائدة ، أخبرنى حريث ، عن عامر ، عن البراء فى قوله : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ، قال : إن رهطا من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأخبر النبى ﷺ فنزل عليه ساعتئذ : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ، فأخبر أصحابه وقال : « ادعهم ، أما إنى سائلهم عن تُربَة الجنة إن أتونى، أما إنها [(١)] دَرْمَكة بيضاء » . فجاؤوه فسألوه عن خزنة جهنم ، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام فى الثانية ، ثم قال : « أخبرونى عن تربة الجنة » . فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام . فقال : كأنها خُبزَة بيضاء . فقال رسول الله ﷺ : « أما إن الخبز إنما يكون من الدّرمَك »[(٢)] .

هكذا وقع عند ابن أبى حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا منده ، حدثنا أحمد بن عَبدَة ، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد ، غلبَ أصحابك اليوم . فقال : « بأى شىء ؟ » قال : سألتهم يَهُود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ . قال رسول الله ﷺ : « أفغلب قوم سُئلوا عما لا يدرون فقالوا : لا ندرى [(٣)] حتى نسأل نبينا ؟ علىَّ بأعداء الله ، لكن سألوا [(٤)] نبيهم أن يريهم الله جهرة». فأرسل إليهم فدعاهم . قالوا : يا أبا القاسم ، كم عدد خزنة أهل النار ؟ قال : « هكذا» ، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه ،مرتين ، وعقد واحدة ، وقال لأصحابه : « إن سُئلتم عن تُربة الجنة فهى الدَّرمك » . فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار ، قال لهم رسول الله ﷺ : « ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا : خبزة يا أبا القاسم . فقال : « الخبز من الدَّرمَك » .

وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبى عمر ، عن سفيان ، به[(٥)]. وقال هو والبزار :

---

(١) فى م :« إنها كأنها ».

(٢) ورواه البيهقى فى البعث برقم (٥٠٩) من طريق مسروق بن المرزبان، عن ابن أبى زائدة به ، وقال : « حديث ابن أبى مطر ـ أى حريث ـ ليس بالقوى ، وحديث جابر أصح » وهو الآتى بعده .

(٣) فى م : « قالوا لا نعلم » . (٤) فى م ، أ : « لكنهم قد سألوا » .

(٥) سنن الترمذى برقم (٣٣٢٧) .

لا نعرفه [١] إلا من حديث مجالد . وقد رواه الإمام أحمد ، عن على بن المدينى ، عن سفيان ، فقص الدرمك فقط [٢] .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ أى : خُزَّانها ، ﴿ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أى : [زبانية][٣] غلاظا شدادا . وذلك رد على مشركى قريش حين ذكر عدد الخزنة ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم [٤] ؟ فقال الله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أى : شديدى الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون . وقد قيل : إن أبا الأشدين ــ واسمه : كَلَدَة بن أسيد ابن خلف ــ قال : يا معشر قريش ، اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر ، إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه ، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه . قال السهيلى : وهو الذى دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته وقال : إن صرعتنى آمنت بك ، فصرعه النبى ﷺ مرارا، فلم يؤمن . قال : وقد نَسَب ابنُ إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب [٥].

قلت : ولا منافاة بين ما ذكراه ، والله أعلم .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعةَ عشرَ اختباراً منّا للناس، ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى : يعلمون أن هذا الرسول حق ؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله .

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ أى : إلى إيمانهم . أى : بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ، ﴿ وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أى : من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾ ؟ أى : يقولون : ما الحكمة فى ذكر هذا هاهنا ؟ قال الله

(١) فى م:« لا يعرف » .
(٢) المسند (٣/ ٣٦١) .
(٣) زيادة من م .
(٤) فى أ : « فتغلبوهم » .
(٥) الروض الأنف للسهيلى (١/ ٢٠٠) .

تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ أى : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ، ويتزلزل عند آخرين ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة.

وقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط ،كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين . ومن تابعهم [١] من الملتين الذين سمعوا هذه الآية ، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة ، التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهموا [٢] صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وقد ثبت فى حديث الإسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما . عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة : « فإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن مورق ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء وحُقّ لها أن تَئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، ولا تَلَذّذتم بالنساء على [٤] الفُرُشات ، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله عز وجل » . فقال أبو ذر : والله لوددتُ أنى شجرة تُعضَد .

ورواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث إسرائيل [٥] ، وقال الترمذى : حسن غريب ، ويروى عن أبى ذر موقوفاً .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا خير[٦] بن عرفة المصرى ، حدثنا عُرْوَة بن مروان الرقى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم بن مالك ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم ، أو ملك ساجد ، أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : سبحانك ! ما عبدناك حَقّ عبادتك ، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً » [٧] .

وقال محمد بن نصر المروزى فى « كتاب الصلاة » : حدثنا عمرو بن زرارة ، أخبرنا عبد الوهاب ابن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن مُحْرِز ، عن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : ما نسمع من شىء . فقال

---

(١) فى م :« ومن شايعهم » . (٢) فى أ : « فما فهموا » .

(٣) هذا جزء من حديث أنس الطويل فى الإسراء ، وهو فى صحيح البخارى برقم (٧٥١٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٢) . وهذا القدر قد وقع لمسلم من هذا الوجه ، وانظر أحاديث الإسراء عند تفسير أول سورة الإسراء .

(٤) فى أ :« فى » .

(٥) المسند (٥/ ١٧٣) ، وسنن الترمذى برقم (٢٣١٢) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤١٩٠) .

(٦) فى م :« حدثنا حسين » .

(٧) المعجم الكبير (٢/ ١٨٤) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٥٢) : « وفيه عروة بن مروان » . قلت : قال الدارقطنى : ليس بالقوى .

رسول الله ﷺ : « أسمع أطيط السماء وما تلام أن تَئطّ ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »(١) .

وقال أيضا : حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ (٢)، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوى ، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلى ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، يحدث عن مسروق بن الأجدع ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ » [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦] (٣) .

وهذا مرفوع(٤) غريب جدا رواه (٥) عن محمود بن آدم ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما ، ثم قرأ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ (٦) .

ثم قال : حدثنا أحمد بن سيار : حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقى المعروف بابن أمه ، حدثنا المغيرة بن عثمان (٧) بن عطية من بنى عمرو بن عوف ، حدثنى سليمان بن أيوب [من بنى] (٨) سالم بن عوف . حدثنى عطاء بن زيد بن مسعود من بنى الحبلى ، حدثنى سليمان بن عمرو بن الربيع، من بنى سالم ،حدثنى عبد الرحمن بن العلاء ، من بنى ساعدة ، عن أبيه العلاء بن سعد ـ وقد شهد الفتح وما بعده ـ أن النبى ﷺ قال يوما لجلسائه : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : وما تسمع يا رسول الله ؟ قال : « أطّت السماء وحقّ لها أن تَئط ، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ، وقالَ الملائكة : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ »(٩) وهذا إسناد غريب جداً .

ثم قال : حدثنا [محمد بن يحيى ، حدثنا] (١٠) إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفَروى ، حدثنا عبد الملك بن قدامة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر : أن عمر جاء والصلاة قائمة ، ونفر ثلاثة جلوس ، أحدهم أبو جحش الليثى ، فقال : قوموا فصلوا مع رسول الله . فقام اثنان وأبَى أبو جحش أن يقوم ، وقال : لا أقوم حتى يأتى رجل هو أقوى منى ذراعين ، وأشد منى بطشاً فيصرعنى ، ثم يَدس وَجهى فى التراب . قال عمر : فصرعتهُ ودسستُ وجهه فى التراب ، فأتى عثمان بن عفان فحجزنى عنه ، فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : « ما رَأيكَ يا أبا حفص ؟ » . فذكر له ما كان منه ، فقال رسول الله ﷺ :« إن رضى

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزى برقم (٢٤٨) .
(٢) فى م :« مهزاذ » .
(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٣) .
(٤) فى أ :« وهذا مرفوعا » وهو خطأ .
(٥) فى م :« ثم رواه » .
(٦) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٤) .
(٧) فى هـ :« عمر » .
(٨) زيادة من م .
(٩) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٥) .
(١٠) زيادة من تعظيم قدر الصلاة (٢٥٦) .

عمر رحمةٌ ، والله لوددْتُ أنك جئتنى برأس الخبيث» ، فقام عمر يُوجِّهُ نحوه ، فلما أبعد ناداه فقال: « اجلس حتى أخبرك بغنى الرب عز وجل عن صلاة أبى جحش ، إن لله فى السماء الدنيا ملائكة خشوعاً (١) لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة . فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا : ربنا ، ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله فى السماء الثانية ملائكة سجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم ، وقالوا : سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر : وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال : « أما أهل السماء الدنيا فيقولون : سبحان ذى الملك والملكوت. وأما أهل السماء الثانية فيقولون : سبحان ذى العزة والجبروت . وأما أهل السماء الثالثة فيقولون : سبحان الحى الذى لا يموت . فقلها يا عمر فى صلاتك » . فقال عمر : يا رسول الله ، فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى ؟ فقال : « قل هذا مرة وهذا مرة » . وكان الذى أمره به أن يقول : « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخَطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك»(٢) . وهذا حديث غريب جداً ، بل منكر نكارة شديدة ، وإسحاق الفروى روى عنه البخارى، وذكره ابن حبان فى الثقات ،وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى . وقال أبو حاتم الرازى : كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فربُما لقن،وكتبه صحيحة. وقال مرة : هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى: تكلم فيه أيضا . والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عَرَّف بحاله ،ولا تعرض لضعف بعض رجاله ؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه . ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا،قريباً منه، ثم قال محمد بن نصر :

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ ، أخبرنا النضر ، أخبرنا عباد بن منصور قال : سمعت عدى ابن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال : سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تعالى ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل ، قالوا : سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك » (٣) .

وهذا إسناد لا بأس به .

وقوله : ﴿ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ ، قال مجاهد وغير واحد : ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ أى : النار التى وصفت ، ﴿ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ .

---

(١) فى م ،أ :«خشوع» .

(٢) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٦) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٣/٨٧) من طريق إسحاق الفروى به ،وقال :« حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبى . قلت : « منكر غريب ، وما هو على شرط البخارى ، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحى ضعيف ، تفرد به » .

(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٦٠) .

ثم قال : ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أى : ولى ، ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أى : أشرق ، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ أى : العظائم ، يعنى :النار ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ،وقتادة ،والضحاك ، وغير واحد من السلف : ﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أى : لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدى للحق ، أو يتأخر عنها ويولى ويردها .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً أن :﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ أى : معتقلة بعملها يوم القيامة ، قاله ابن عباس وغيره :﴿ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ ، فإنهم ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أى : يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ أى: ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ، ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ أى : نتكلم فيما لا نعلم . وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه ، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يعنى: الموت. كقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال رسول الله ﷺ : « أما هو ــ يعنى عثمان بن مظعون ــ فقد جاءه اليقين من ربه » (١).

قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ أى : من كان متصفاً بهذه (٢) الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا ، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة ، خالداً فيها .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ أى : فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين، ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ أى : كأنهم فى نفارهم عن الحق ،وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ،قاله أبو هريرة ، وابن عباس ــ فى رواية عنه ــ وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن . أو : رام ، وهو رواية (٣) عن

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٢٤٣) من حديث أم العلاء رضى الله عنها .
(٢) فى م :« بمثل هذه » . (٣) فى م :« وهما روايتان » .

ابن عباس ، وهو قول الجمهور .

وقال حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران [١] ، عن ابن عباس : الأسد، بالعربية ، ويقال له بالحبشية : قسورة ، وبالفارسية : شير [٢] ، وبالنبطية : أويا .

وقوله : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ أى : بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على النبى . قاله مجاهد وغيره ، كقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وفى رواية عن قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل .

فقوله : ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ أى : إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها ، وتكذيبهم بوقوعها .

ثم قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ أى : حقاً إن القرآن تذكرة ، ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، كقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

وقوله : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ أى : هو أهل أن يُخاف منه ، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد [٣] بن الحباب ، أخبرنى سهيل ــ أخو حزم[٤] ــ حدثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ وقال : « قال ربكم : أنا أهل أن أتقى ، فلا يجعل معى إله ، فمن اتقى أن يجعل معى إلها كان أهلا أن أغفر له » .

ورواه الترمذى ، وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب ، والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سُهَيل بن عبد الله القُطَعى ، به[٥] . وقال الترمذى : حسن غريب ، وسهيل ليس بالقوى. ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه ، عن هُدْبَة بن خالد، عن سُهَيل ، به. وهكذا رواه أبو يعلى ، والبَزار ، والبَغَوى ، وغيرهم ، من حديث سُهَيل القُطَعى ، به [٦] .

آخر تفسير سورة « المدثر » ولله الحمد والمنة

[وحسبنا الله ونعم الوكيل][٧]

---

(١) فى أ : « يوسف بن ماهك» .
(٢) فى أ :« بتار » .
(٣) فى أ :« حدثنا يزيد » .
(٤) فى م:« أخو حمزة » .
(٥) المسند (٣/ ١٤٢) ، وسنن الترمذى برقم (٣٣٢٨) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٩٩) ، وتفسير النسائى (٢/ ٤٧٥) .
(٦) مسند أبى يعلى (٦/ ٦٦) ، ومعالم التنزيل للبغوى (٨/ ٢٧٦) .
(٧) زيادة من م .

تفسير سورة المدثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

ثبت في صحيح البخاري عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿ **يأيها المدثر** ﴾. وخالفه الجمهور فذهبوا إلىٰ أن أول القرآن نزولًا قوله تعالى: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾، كما سيأتي بيان ذلك هنالك.

قال البخاري(١) : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا وكيع ، عن علي بن المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ . قلت : يقولون : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ؟ فقال أبو[١] سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، و[٢] قلت له مثل ما قلتَ لي [٣] ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما[٤] حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطتُ فنُوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا ، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا ، فأتيت خديجة فقلت : دَثّروني ، وصُبّوا عليَّ ماء باردًا** » قال : « **فدثّروني وصَبّوا عليّ ماءً باردًا** » ، قال : فنزلت ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾ .

هكذا ساقه منْ هذا الوجه ، وقد رواه مسلم(٢) [٥] من طريق عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة قال : أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي : « **فبينا أنا أمشي إذ[٦] سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قبَلَ السماء** ،

---

(١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، حديث (٤٩٢٢) (٨/٦٧٦) .

(٢) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (١٦١/٢٥٦) .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : مثلما .

[٥] - في ز : ومسلم .

[٦] - سقط من ز ، خ .

فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فَجَثثْتُ[١] **منه حتىٰ هَوَيتُ إلىٰ الأرض ، فجئت إلىٰ أهلي ، فقلت : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل الله :** ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر** ﴾ إلىٰ : ﴿ **فاهجر** ﴾ - قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان - ثم حَميَ الوحيُ وتَتَابع » .

هذا لفظ البخاري(٣) ، وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : « **فإذا الملك الذي جاءني بحراء** » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا ووجه الجمع أن أولَ شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد(٤) :

حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عُقَيل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قِبَلَ السماء ، فإذا الملك الذي جاءني [بحراء الآن]**[٢] **قاعد علىٰ كرسي بين السماء والأرض ، فجثثتُ**[٣] **منه فرقًا ، حتىٰ هَوَيت إلىٰ الأرض ، فجئت أهلي فقلت لهم : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل الله :** ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾ ، ثم حمي الوحي بعدُ[٤] وتتابع . أخرجاه(٥) من حديث الزهري به .

وقال الطبراني(٦) : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بِشر البَجَلي ، حدثنا المعافىٰ بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مليكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا ، فلما أكلوا قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم : ليس بشاعر . وقال بعضهم : سحر يؤثر . فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فحزن

(٣) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير، باب : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ ، حديث (٤٩٢٦) (٦٧٩/٨) . وأطرافه في : [٤ ، ٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤] .

(٤) - المسند (٣٢٥/٣) (١٤٥٢٥) .

(٥) - راجع أطراف الأحاديث رقم (٢ ، ٣) .

(٦) - المعجم الكبير (١٢٥/١١ - ١٢٦) (١١٢٥٠) . وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٧) : وفيه إبراهيم ابن يزيد الخوزي وهو متروك .

[١] - في ز : فجثيت .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فجثيت .

[٤] - سقط من ز .

وقنع رأسه ، وَتَدثّر ، فأنزل اللّه : ﴿ يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ .

فقوله : ﴿ قم فأنذر ﴾ ، أي : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وبهذا حصل الإِرسال ، كما حصل بالأول النبوة . ﴿ وربك فكبر ﴾ أي : عظم .

وقوله : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، قال الأجلح الكندي عن عكرمة ، عن ابن عباس : إنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، قال : لا تلبسها علىٰ معصية ولا علىٰ غَدْرة[١] . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة[٢] الثقفي :

فإني[٣] بحمد اللّه لا ثَوبَ فَاجر لبستُ ، ولا من غَدْرَة[٤] أتَقَنّع

وقال ابن جريج[٥] عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، قال : في كلام العرب : نَقِيّ الثياب . وفي رواية بهذا الإِسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والشعبي، وعطاء .

وقال الثوري[٦] عن رجل، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، قال : من الإِثم .وكذا قال إبراهيم النخعي . وقال مجاهد : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، قال : [نفسك ، ليس ثيابه] [٧] . وفي رواية عنه : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ : عملك فأصلح. وكذا قال أبو رزين، وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا . وقال قتادة : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ، أي : طهرها من المعاصي ، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث[٨] ولم يَف بعهد اللّه إنه لَمُدَنّس الثياب ، وإذا وفىٰ وأصلح إنه لمطهر الثياب . وقال عكرمة والضحاك: لا تلبسها على معصية.

وقال الشاعر:

إذا المرءُ لم يَدْنَس منَ اللُؤم عِرْضُه فَكُلّ رداء يَرْتَديه جَميلُ

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ : لا تكُ ثيابك التي تلبس من مكسب[٩] غير طائب[١٠] ، ويقال : لا تلبس ثيابك علىٰ معصية . وقال محمد بن سيرين: ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره اللّه أن يتطهر وأن يطهر ثيابه . وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع

---

[١] - في ز : عذرة .
[٢] - في ز ، خ : مسلمة .
[٣] - في ز ، خ : إني .
[٤] - في ز : عذرة .
[٥] - في خ : جرير .
[٦] - في ز ، خ : البردي .
[٧] - في خ : يغسل لبس ثيابه .
[٨] - في ز : سكت .
[٩] - في ز ، خ : مليسة .
[١٠] - في ز ، خ : طايل .

طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه ، كما قال امرؤ القيس

أفاطمَ مَهْلًا بَعْضَ[١] هذا التدللِ[٢] وإنْ كُنتِ قَدْ أَزْمَعْتِ[٣] هجري فَأَجْمِلي
وإنْ تَكُ[٤] قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي[٥] ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿**وثيابك فطهر**﴾: وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري : وخُلقك فحسّن .

وقوله: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿**والرجز**﴾ وهو الأصنام، فاهجر. وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري ، وابن[٦] زيد : إنها الأوثان . وقال إبراهيم والضحاك: ﴿**والرجز فاهجر**﴾ أي: اترك المعصية. وعلىٰ كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : ﴿ **يا أيها النبي؛ اتق اللّه ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾ .

﴿**وقال موسىٰ لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين**﴾.

وقوله: ﴿**ولا تمنن تستكثر**﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس [أكثر منها][٧] . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: ولا تمنن أن تستكثر.

وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك علىٰ ربك تستكثره . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير . وقال خُصَيف عن مجاهد في قوله : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ ، قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف . وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة علىٰ الناس، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضًا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، واللّه أعلم.

وقوله : ﴿ **ولربك فاصبر** ﴾ ، أي : اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه اللّه - عز وجل - قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي : اصبر علىٰ[٨] عطيتك للّه تعالى .

وقوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع

---

[١] - في ز ، خ : بعد .
[٢] - في ز : التذلل .
[٣] - في خ : أرمقت .
[٤] - في ز : بك .
[٥] - في خ : فتبلى .
[٦] - في ز ، خ : وأبو .
[٧] - في ز ، خ : المن معها .
[٨] - سقط من ز .

ابن أنس ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ **الناقور** ﴾ : الصور . قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ ، فقال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، ينتظر متىٰ يؤمر فينفخ ؟** » فقال أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فما تأمرنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، علىٰ اللَّه توكلنا** » .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٧) عن أسباط به .

ورواه ابن جرير(٨) عن أبي كريب ، عن ابن فضيل[١] وأسباط ، كلاهما عن مطرف به .

ورواه من طريق أخرىٰ ، عن العوفي ، عن ابن عباس ، به .

وقوله : ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير** ﴾، أي : شديد ، ﴿ **علىٰ الكافرين : غير يسير** ﴾ ، أي : غير سهل عليهم . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ وقد روينا عن زُرَارة بن أوفىٰ قاضي البصرة ، أنه صلىٰ بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلىٰ قوله : ﴿ **فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ : شَهِقَ شهقة ، ثم خر ميتًا رحمه اللَّه(٩) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ

---

(٧) - المسند (٣٢٦/١) (٣٠١٠) . وأخرجه الطبري (١٥٠/٢٩ - ١٥١) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(٨) - تفسير الطبري (١٥١/٢٩) .

(٩) - أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١١٠/٧) ، والحاكم (٥٠٧/٢) .

---

[١] - في ز : فضل .

﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢٧)

يقول تعالىٰ متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم اللَّه عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم اللَّه ، وبدلها كفرًا ، وقابلها بالجحود بآيات اللَّه والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر ، وقد عدد اللَّه عليه نعَمه حيث قال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ ، أي : خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم رزقه اللَّه ﴿ **مالاً ممدودًا** ﴾ ، أي : واسعًا كثيرًا . قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل : أرضًا يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له ﴿ **بنين شهودًا** ﴾ ، قال مجاهد : لا يغيبون . أي : حضورًا عنده لا يسافرون في التجارات ، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويَتَملَّىٰ بهم . وكانوا - فيما ذكره السدي ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة - ثلاثة عشر ، وقال ابن عباس ، ومجاهد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ في النعمة [وهو إقامتهم عنده][١]. ﴿ **ومهدت له تمهيدًا** ﴾ ، أي : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ، ﴿ **ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا** ﴾ ، أي : معاندًا ، وهو : الكفر علىٰ نعمه بعد العلم . قال اللَّه : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، قال الإمام أحمد(١٠) :

[حدثنا حسن] [٢] ، حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ويل : [وادٍ] في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره ، والصَّعُود : جبل من نار يصعد[٣] فيه سبعين خريفًا ، ثم يهوي به كذلك فيه أبدًا** » .

وقد رواه الترمذي عن عبد [بن حُمَيد][٤] ، عن الحسن بن موسىٰ الأشيب ، به . ثم قال : « **غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج** » كذا قال .

وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن[٥] عبد اللَّه بن وهب ، عن عمرو[٦] بن الحارث ، عن دَرّاج . وفيه غرابة ونكارة : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن- المعروف بعلان المصري[٧] - قال[٨] : حدثنا منجاب، أخبرنا شريك ، عن عمار الدُّهنيّ [٩]،

(١٠) - المسند (٣/٧٥) (١١٧٢٩) . والترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة قعر جهنم ، حديث (٢٥٧٩) (٧/٢٤٩) . والطبري (٢٩/١٥٥) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فيصعد .
[٤] - في ز ، خ : الرحمن .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : عمر .
[٧] - في ز ، خ : البصري .
[٨] - في ز : قالا .
[٩] - في ز ، خ : الذهبي .

عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، قال : « **هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده**[١] **، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا**[٢] **رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت** » .

ورواه البزار(١١) وابن جرير من حديث شريك به . وقال قتادة عن ابن عباس : صعود : صخرة عظيمة يسحب عليها الكافر علىٰ وجهه . وقال السدي : صعود : صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها . وقال مجاهد : ﴿ **سأرهقه صعودًا** ﴾ ، أي : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذابًا لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **إنه فكر وقدر** ﴾ ، أي : إنما أرهقناه صعودًا ، أي : قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أي : تَرَوّىٰ ماذا يقول في القرآن حين سُئل عن القرآن ، ففكر ماذا يختلق[٣] من المقال ، ﴿ **وقدر** ﴾ ، أي : تروىٰ ، ﴿ **فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر** ﴾ : دعاء عليه ، ﴿ **ثم نظر** ﴾ ، أي : أعاد النظر[٤] والتروي ، ﴿ **ثم عبس** ﴾ ، أي : قبض بين[٥] عينيه وقطب ﴿ **وبسر** ﴾ ، أي : كلح وكره ، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشاعر :

وَقَد رَابَنيٰ منها صُدُودٌ رَأيتُهُ وَإعرَاضُها عَن حاجَتي وبُسُورُهَا

وقوله : ﴿ **ثم أدبر واستكبر** ﴾ ، أي : صُرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرًا عن الانقياد للقرآن ، ﴿ **فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ ، أي : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن[٦] قبله ويحكيه عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، أي : ليس بكلام اللَّه .

وهذا المذكور في هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومي ، أحد رؤساء قريش - لعنه اللَّه - وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي ، عن ابن عباس(١٢) قال : دخل الوليد بن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج علىٰ قريش فقال : يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة ، فواللَّه ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهَذْيٍ من الجنون ، وإن قوله لمن كلام

---

(١١) أخرجه الطبري (١٥٥/٢٩) . والطبراني في الأوسط (٣٦٦/٥) (٥٥٧٣) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٤/٧) : وفيه عطية وهو ضعيف .

(١٢) - أخرجه الحاكم (٥٠٦/٢ - ٥٠٧) . والبيهقي في الدلائل (١٩٨/٢ - ١٩٨) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحو هذا الحديث . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز : يصعد .
[٢] - في ز : فإذا .
[٣] - في ز ، خ: يخلق .
[٤] - في ت : النظرة .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ز : عمن .

الله . فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته فقال الوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال : ألستُ أكثرهم مالًا وولدًا ؟ ! فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد تحدث به عشيرتي ؟ ! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ، ولا عمر ، ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾ .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَىٰ ، وما أشك أنه سحر . فأنزل الله : ﴿ **فقتل كيف قدر** ...﴾ الآية ... ﴿ **ثم عبس وبسر** ﴾ : قبض ما بين عينيه وكلح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عَبّاد[١] ابن منصور ، عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال : أي عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا . قال : لِمَ ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالًا . قال : فقل فيه قولًا يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنك كاره له .قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من ذلك ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإنه ليحطم[٢] ما تحته ، وإنه ليعلو وما يُعلَىٰ . قال : والله لا يرضى قومك حتىٰ تقول فيه . قال : فدعني حتىٰ أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأْثُره عن غيره . فنزلت : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا** ﴾ [ ][٣] حتى بلغ : ﴿ **تسعة عشر** ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوًا من هذا . وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم علىٰ قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفودُ العرب للحج ليصدّوهم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾ ، قال الله عز وجل : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ ، أي : سأغمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال : ﴿ **وما أدراك ما سقر** ﴾ وهذا

---

[١] - في ز : عبادة . [٢] - في ز : أعظم .

[٣] - في ت : قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدًا .

تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **لا تبقي ولا تذر** ﴾، أي : تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك ، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما .

وقوله : ﴿ **لواحة للبشر** ﴾ ، قال مجاهد : للجلد ، وقال أبو[١] رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل . وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها .

وقال قتادة : ﴿ **لواحة للبشر** ﴾ ، أي : حراقة للجلد . وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان .

وقوله : ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ ، أي : [من مقدّمي][٢] الزبانية ، عَظِيم خَلْقهم ، غليظ خلُقُهم .

وقد قال ابن أبي حاتم(١٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني [حارث عن][٣] عامر عن البراء في قوله : ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ ، قال : إن رهطا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ : ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ . فأخبر أصحابه وقال : « **ادعهم ، أما إني سائلهم عن تُرْبة الجنة إن أتوني ، أما إنها دَرْمَكة بيضاء** » . فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم ، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ، ثم قال : « **أخبروني عن تربة الجنة** » . فقالوا : أخبرهم يا بن سلام . فقال : كأنها خبْزَة بيضاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما إن الخبز إنما يكون من الدرمَك** » .

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا مندة[٤] ، حدثنا أحمد بن عَبدَة ، أخبرنا سفيان ويحيىٰ بن حكيم ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا محمد ؛ غُلِب أصحابك اليوم . فقال : « **بأي شيء** » ؟ قال : سألتهم يَهودُ هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أفغلب قوم سئلوا عما لا يدرون فقالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا ؟ عليّ بأعداء الله ؟ لكن سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة** » . فأرسل إليهم فدعاهم

(١٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٤٦٢) من طريق ابن أبي زائدة بإسناد ابن أبي حاتم فذكر إلى قوله ... : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ .

[١] - في ز : ابن .
[٢] - في ز ، خ : يعد من .
[٣] - في ز : مرثب بن .
[٤] - في ز : مسندة .

قالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا»، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه، مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سُئلتم عن تُربة الجنة فهي الدَّرمك». فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدَّرمَك».

وهكذا رواه الترمذي(١٤) عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان، به. وقال هو والبزار: «لا نعرفه إلا من حديث مجالد».

وقد رواه الإمام أحمد(١٥)، عن علي بن المديني، عن سفيان، فقص الدرمك فقط.

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾، أي: خُزَّانها ﴿إلا ملائكة﴾، أي: غلاظًا شدادًا. وذلك ردٌّ على مشركي قريش حين ذكر[١] عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش؛ أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟، فقال الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾، أي: شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون. وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: كَلَدة بن أسيد بن خلف - قال: يا معشر قريش؛ اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم[٢] سبعة عشر، إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك.

---

(١٤) سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٤) (٩/٦٤ - ٦٥).
(١٥) المسند (٣/٣٦١) (١٤٩٢٧).

---

[١] - في خ: ذكروا.   [٢] - في خ: اكفيكم منهم.

فصرعه النبي صلى اللّه عليه وسلم مرارًا ، فلم يؤمن . قال : وقد نَسَب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم[١] بن المطلب .

قلت : ولا منافاة بين ما ذكراه ، واللّه أعلم .

﴿ **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا** ﴾ ، أي : إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارًا منّا للناس ، ﴿ **ليستيقن الذين أوتوا الكتاب** ﴾ ، أي : يعلمون أن هذا الرسول حق ؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله .

﴿ **ويزداد الذين آمنوا إيمانًا** ﴾ ، أي : إلى إيمانهم ، أي : بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد صلى اللّه عليه وسلم ﴿ **ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض** ﴾ ، أي : من المنافقين ﴿ **والكافرون : ماذا أراد اللّه بهذا مثلا** ﴾ ؟ أي يقولون : ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا؟ قال اللّه تعالى : ﴿ **كذلك يضل اللّه من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ ، أي : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ، ويتزلزل عند[٢] آخرين ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة .

وقوله : ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ ، أي : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط ، كما قد قاله طائفة من أهل الضلَالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ، ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية ، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة ، التي اخترعوا دعواها ، وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهِمُوا صدر الآية وقد كفروا بآخرها ، وهو قوله : ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ .

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما(١٦) ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : « **فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم** » .

وقال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا أسود ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن مورق ، عن أبي ذر ؛ قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أطَت السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَ ، ما فيها موضع أربع[٣] أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا ، ولا تَلَذَّذتم بالنساء على**

(١٦) تقدم تخريج كل هذه الروايات في أول سورة الإسراء .

(١٧) المسند (١٧٣/٥) . والترمذي في كتاب : الزهد ، باب : في قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم=

[١] - في ز ، خ : هشام .

[٢] - في ز : عنه . [٣] - سقط من ز .

الفُرشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله، عز وجل». فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تُعضَد.

ورواه الترمذي وابن ماجة، من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: «**حسن غريب، ويروى عن أبي ذر موقوفًا**».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٨): حدثنا خير [١] بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر ابن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك! ما عبدناك حَقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئًا**».

وقال محمد بن نصر المروزي (١٩) في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن[٢] عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام؛ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أسمع[٣] أطيط السماء، وما تلام أن تَئِط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد**».

وقال أيضًا(٢٠): حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ[٤]، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاك بن مزاحم، يحدث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم. وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**».

= لضحكتم قليلًا». وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، حديث (٤١٩٠) (١٤٠٢/٢). وأورده الألباني في الصحيحة (١٧٢٢)، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجة دون قوله: «والله لوددت .. إلخ» فإنه مدرج.

(١٨) المعجم الكبير (١٨٤/٢) (١٧٥١). وقال الهيثمي (٥٧/١): وفيه عروة بن مروان.

(١٩) تعظيم قدر الصلاة، (٢٥٨/١ - ٢٥٩) (٢٥٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٠).

(٢٠) تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠/١) (٢٥٣). وحسنه الألباني في المصدر السابق.

---

[١] - في ز، خ: حسين.

[٢] - في ز: عن.

[٣] - سقط من ز.

[٤] - في ز، خ: مهراء.

وهذا مرفوع غريب جدًّا، ثم رواه(٢١) عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود؛ أنه قال: إن من السماوات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائمًا، ثم قرأ: **﴿وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾**.

ثم قال(٢٢): حدثنا أحمد بن سيار[١]: حدثنا أبو جعفر بن[٢] محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر[٣] بن عَطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن[٤] سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد[٥] بن مسعود من بني الحبلى[٦]، حدثني سليمان بن عمرو ابن الربيع، من بني سالم، حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد - وقد شهد الفتح وما بعده - أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال يومًا لجلسائه: **«هل تسمعون ما أسمع؟»**: قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: **«أطت السماء وحُقّ لها أن تَئط، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد، وقال الملائكة: ﴿وإنّا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾»**. وهذا إسناد غريب جدًّا.

ثم قال(٢٣): [حدثنا محمد بن يحيى][٧] حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفرَوي، حدثنا عبد الملك[٨] بن قدامة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمر؛ أن عمر جاء والصلاة قائمة، ونفر ثلاثة[٩] جلوس، أحدهم أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله. فقام اثنان وأبَى أبو جحش أن يقوم، وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين، وأشد مني بطشًا فيصرعني، ثم يَدس وجهي في التراب. قال عمر: فصرعتُه ودسستُ وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضبًا، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: **«ما رأيك يا أبا حفص؟»**. فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن[١٠] [رضي عمر رحمه][١١]»** والله لوددتُ أنك جئتني برأس الخبيث، فقام عمر يُوَجّهُ نحوه، فلما أبعد ناداه

(٢١) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٠ - ٢٦١) (٢٥٤).

(٢٢) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦١) (٢٢٥).

(٢٣) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٢ - ٢٦٤) (٢٥٦).

[١] - في ز، خ تقرأ: بشار. لكنها بغير نقط.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في تعظيم قدر الصلاة: عثمان.

[٤] - في تعظيم قدر الصلاة: من سني.

[٥] - في تعظيم قدر الصلاة: يزيد.

[٦] - في ز، خ: الحكم.

[٧] - زيادة من كتاب تعظيم قدر الصلاة.

[٨] - في تعظيم قدر الصلاة: عبد الله.

[٩] - في خ: يليه.

[١٠] - في ز، خ: إني.

[١١] - بياض في ز.

فقال: «**اجلس حتى أخبرك بغنى الرب -عز وجل- عن صلاة أبي جحش، إن لله في السماء الدنيا ملائكة خشوعًا**[١]**، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة. فإذا قامت رفعوا رءوسهم، ثم قالوا: ربنا، ما عبدناك حق عبادتك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجودًا**[٢]**، لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم، وقالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك**». فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «**أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت؛ فقلها يا عمر في صلاتك**».

فقال عمر: يا رسول الله؛ فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «**قل هذا مرة وهذا مرة**».

وكان الذي أمره به أن يقوله: «**أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخَطك**[٣]**، وأعوذ بك منك، جل وجهك**».

هذا حديث غريب جدًّا، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفَروى روىٰ عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني. وقال أبو حاتم الرازي: «كان صدوقًا إلا أنه ذهب بصره، فربما لقن[٤] وكتبه صحيحة». وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي: تكلم فيه أيضًا.

والعجب من الإمام محمد بن نصر، كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عَرّف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلًا(٢٤)، قريبًا منه، ثم قال محمد بن نصر(٢٥):

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ[٥] أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور، قال: سمعت عدي بن أرطاة، وهو يخطبنا على منبر المدائن؛ قال: سمعت رجلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إن لله تعالى ملائكة تَرعدُ فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم**

(٢٤) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٣ - ٢٦٥) (٢٥٧).
(٢٥) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٦ - ٢٦٧) (٢٥٨).

[١] - في ز: خشوع.
[٢] - في ز: سجود.
[٣] - في ت: سخطتك.
[٤] - بياض في ز.
[٥] - في ز: مهراد.

القيامة. وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك». وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله: ﴿**وما هي إلا ذكرى للبشر**﴾، قال مجاهد وغير واحد: ﴿**وما هي**﴾، أي: النار التي وصفت، ﴿**إلا ذكرى للبشر**﴾.

ثم قال: ﴿**كلا والقمر* والليل إذ أدبر**﴾، أي: ولى، ﴿**والصبح إذا أسفر**﴾، أي: أشرق، ﴿**إنها لإحدى الكبر**﴾، أي: العظائم، يعني النار. قاله ابن عباس، ومجاهد. وقتادة، والضحاك، وغير واحد من السلف: ﴿**لذيرًا للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾، أي: لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبرًا أن ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾، أي: معتقلة بعملها يوم القيامة. قاله ابن عباس وغيره ﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ فإنهم في جنات يتساءلون عن المجرمين، أي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿**ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين**﴾، أي: ما عبدنا ربنا ولا أحسنًا إلى خلقه من جنسنا، ﴿**وكنا نخوض مع الخائضين**﴾، أي: نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: كلما غوى غاو[١] غوينا معه، ﴿**وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين**﴾، يعني الموت. كقوله:

---

[١] - في ز: عاد

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما هو -يعني عثمان بن مظعون- فقد جاءه اليقين من ربه**»(٢٦).

قال الله تعالى: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾، أي: من كان متصفًا بهذه الصفات، فإنه لا تنفعه[١] يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلًا، فأم من وافى الله كافرًا يوم القيامة، فإنه[٢] له النار لا محالة، خالدًا فيها.

ثم قال تعالى: ﴿**فما لهم عن التذكرة معرضين**﴾ [أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلَك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين][٣] ﴿**كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة**﴾، أي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش، إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد. قاله أبو هريرة، وابن عباس- في رواية عنه- وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران[٤]، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية قسورة، وبالفارسية شير[٥]، وبالنبطية أويا.

وقوله: ﴿**بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفًا منشرة**﴾، أي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتابًا[٦] كما أنزل على النبي.

قاله مجاهد وغيره، كقوله: ﴿**وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته**[٧]﴾. وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل.

فقوله ﴿**كلا بل لا يخافون الآخرة**﴾، أي: إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها. ثم قال تعالى: ﴿**كلا إنه تذكرة**﴾، أي: حقًّا إن القرآن تذكرة ﴿**فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله**﴾ كقوله: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**﴾.

وقوله: ﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾، أي: هو أهل أن يُخاف منه، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب. قاله قتادة.

---

(٢٦) تعظيم قدر الصلاة (١/٢٦٧ - ٢٦٨) (٢٦٠).

---

[١] - في ز: ينفعه.
[٢] - في ز: فإن.
[٣] - سقط من ز، خ.
[٤] - في ز، خ: ماهك.
[٥] - في ز، خ: سار.
[٦] - في ز: كتاب.
[٧] - في ز: رسالاته.

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا زيد بن الحباب، أخبرنى سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك؛ قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾**، وقال: **«قال ربكم: أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلًا أن أغفر له»**.

ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافى بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القُطَعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوى. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدَبَة بن خالد، عن سُهَيل، به. وهكذا رواه أبو يعلى والبزّار والبَغَوي، وغيرهم، من حديث سُهَيل القُطَعي، به.

[آخر تفسير سورة المدثر، ولله الحمد والمنة][١]

☆ ☆ ☆

(٢٧) أخرجه أحمد (١٤٢/٣) (١٢٤٦٤). والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٥) (٦٥/٩ - ٦٦). وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث (٤٢٩٩) (١٤٣٧/٢). والنسائي في الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾، حديث (١١٦٣٠) (٥٠١/٦). وأبو يعلى (٦٦/٦) (٣٣١٧). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. سهيل ليس بالقوى في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. اهـ.

[١] - سقط من ز.

سورة المُدَّثِّر

مكّيّة، وهي ستّ وخمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي: المُتدثِّر، وهو لابسُ الدِّثار وهو ما يلبس فوق الشِّعار الذي يلي الجسد. قيل: هي أوّل سورة نزلت.[1] رُوي عن جابر رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «كنتُ على جبل حِراءٍ فنُوديت: يا محمّد إنّك رسول الله، فنظرتُ عن يميني ويساري فلم أرَ شيئًا، فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني المَلَكَ الذي ناداه، فرُعبت ورجعتُ إلى خديجةَ، فقلت: دثِّروني دثِّروني، فنزل جبريلُ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾».[2]

وعن الزُّهري: إنّ أوّل ما نزل سورة اقرأ إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق، ٥/٩٦]، فحزن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعل يعلو شواهق الجبال، فأتاه جبريلُ عليه السلام، وقال: «إنّك نبيّ الله»، فرجع إلى / خديجة، [٢٣٩و]
فقال: «دثِّروني وصبّوا عليَّ ماءً باردًا»، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.[3]

وقيل: سَمِع مِن قريش ما كرِهه فاغتمّ، فتغطّى بثوبه متفكّرًا كما يفعل المغموم، فأُمر ألّا يدَع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه.[4] وقيل: كان نائمًا متدثّرًا.

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٤٠١/٢٣-٤٠٢؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٨٦/٤.

[2] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٦١/٦ (٤٩٢٢)؛ وصحيح مسلم، ١٤٤/١ (٢٥٧)؛ وجامع البيان للطبري، ٤٠٠/٢٣-٤٠١؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٨٦/٤.

[3] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤٠٢/٢٣-٤٠٣. وبمعناه في مسند أحمد، ٣٨٤/٢٣ (١٥٢١٤)؛ وصحيح البخاري، ١٦١/٦ (٤٩٢٢)؛ وصحيح مسلم، ١٤٤/١ (٢٥٧).

[4] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٨٦/٤.

وقيل: المراد المتدثِّر بلباس النبوّة والمعارف الإلهيّة.[١] وقُرئ: "المُدَثَّرُ"[٢] على صيغة اسم المفعول مِن "دثَّره"، أي: الذي دُثِّر هذا الأمرَ العظيم وعُصِب به. وفي حرف أبي المنذر: "يَا أَيُّهَا المُتَدَثِّرُ"[٣] على الأصل.

﴿قُمْ﴾ أي: مِن مضجعك أو قمْ قيامَ عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي: افعل الإنذار وأحدِثه. وقيل: أنذر قومك، كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء، ٢٦/٢١٤]، أو جميع الناس، حسبما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ، ٣٤/٢٨].[٤]

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ واختصّ ربَّك بالتكبير، وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادًا وقولًا. ويروى أنّه لمّا قال رسول الله: «الله أكبر»، فكبَّرت خديجةُ وفرحتْ وأيقنتْ أنّه الوحيُ.[٥] وقد يُحمَل على تكبير الصّلاة، و"الفاء" لمعنى الشَّرط، كأنّه قيل: ما كان، أي: أيّ شيء حدثَ فلا تدَع تكبيره،[٦] أو للدلالة على أنّ المقصود الأَوّلي مِن الأمر بالقيام أن يكبّر ربّه وينزّهه مِن الشِّرك، فإنّ أوّل ما يجب معرفةُ الصانع جلّ جلاله، ثمّ تنزيهه عمّا لا يليق بجنابه.[٧]

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ممّا ليس بطاهر فإنّه واجب في الصلاة وأَولى وأحبّ في غيرها، وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغَسْلها بعد تلطُّخها، وبتقصيرها أيضًا فإنّ طُولها يؤدّي إلى جرّ الذُّيول على القاذورات، وهو أوّل ما أُمر به عليه السلام مِن رَفْض العادات المذمومة. وقيل: هو أمر بتطهير النفس ممّا يُستقذر مِن الأفعال ويُستهجن مِن الأحوال، يقال: "فلان طاهرُ الذيل والأردان"[٨] / إذا وصفوه بالنقاء مِن المعائب ومدانسِ الأخلاق.[٩] [٢٣٩ظ]

---

١ القولان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٦٤.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩١.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٥١.

٤ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٦٤.

٥ بلفظ قريب في التفسير البسيط للواحدي، ٢٢/٣٩٥؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٦؛ واللباب لابن عادل، ١٩/٤٩٤.

٦ هذا الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٦.

٧ هذا الوجه في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٦٥.

٨ الأردان جمع رُدْن: وهو مقدَّم كمّ القميص. لسان العرب لابن منظور، «ردن».

٩ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٧.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: واهجر العذاب بالثبات على هَجْر ما يؤدِّي إليه مِن المآثم. وقُرئ بكسر "الراء"،[١] وهما لغتان كالذُّكر والذِّكر.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ ولا تُعطِ مُستكثِرًا، أي: رائيًا لِما تعطيه كثيرًا، أو طالبًا للكثير، على أنّه نهيٌ عن الاستغزار، وهو أن يهَب شيئًا وهو يطمع أن يتعوَّض مِن الموهوب له أكثر ممّا أعطاه، وهو جائز، ومنه الحديث: «المُستغزِر يُثاب مِن هِبته».[٢] فالنهي إمّا للتحريم وهو خاصّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّ الله تعالى اختار له أشرفَ الأخلاق وأحسنَ الآداب، أو للتنزيه للكلّ.

وقرئ: "تَستكثِرْ"[٣] بالسكون اعتبارًا بحال الوقف، أو إبدالًا مِن ﴿تَمۡنُن﴾، كأنّه قيل: ولا تمننْ ولا تستكثرْ، على أنّه مِن "المَنّ" الّذي في قوله تعالى: ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة، ٢/٢٦٢]؛ لأنّ "مَنَّ يَمُنّ بما يعطي": يستكثره ويعتدّ به. وقُرئ بالنصب[٤] بإضمار "أن" مع إبقاء عملها، كقول مَن قال:

ألَا أيُّهذا الزَّاجري أحضُرَ الوغى[٥]

وقد قُرئ بإثباتها.[٦] ويجوز في قراءة الرفع أن تُحذف "أن" ويُبطَل عملها، كما يروى "أحضرُ الوغى" بالرفع.[٧]

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لوجهه تعالى أو لأمره ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ فاستعمل الصبر. وقيل: على أذيّة المشركين. وقيل: على أداء الفرائض.[٨]

---

١ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي وحمزة وخلف وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٩٣/٢.

٢ المصنَّف لابن أبي شيبة، ١٤٦/١٢ (٢٢١٢٧)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٨٧/٤. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلعي، ٥٨/٣.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن أبي عبلة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩١.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩١.

٥ وفي هامش م: تمامه:

وأن أشهد اللذّاتِ هل أنتَ مُخلدي

والبيت مِن معلّقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه، ص ٤٥؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٩٩/٣، ١٠٠؛ وجامع البيان للطبري، ٤٢٣/٢٤ (البلد، ١٤/٩٠)؛ وهو بلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٤٨٧/٤.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٤.

٧ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤٨٧/٤؛ وانظر الكلام على وجهي النصب والرفع في بيت طرفة في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ١٩٣.

٨ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤٨٧/٤.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ أي: نُفخ في الصُّور، وهو فاعول مِن النَّقْر بمعنى التصويت، وأصله القَرْع الذي هو سبب الصَّوت، و"الفاء" للسببيّة، كأنّه قيل: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقَون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه، والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنّ معناه عَسُر الأمر على الكافرين، / وذلك إشارة إلى وقت [٢٤٠و] النَّقْر، وما فيه مِن معنى البُعد مع قُرب العَهْد بالمُشار إليه للإيذان ببُعد منزلته في الهَول والفظاعة، ومحلُّه الرفع على الابتداء، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل منه مبنيّ على الفتح لإضافته إلى غير متمكِّن، والخبر ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

وقيل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف للخبر، إذ التقدير: فذلك الوقت وقوع يوم عسير، و﴿عَلَى﴾ متعلِّقة بـ﴿عَسِيرٌ﴾.[١] وقيل: بمحذوف هو صفة لـ﴿عَسِيرٌ﴾ أو حال مِن المستكِنّ فيه،[٢] وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد لعُسره عليهم مُشعِر بيُسره على المؤمنين.

واختُلف في أنّ المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية، والحقّ أنّها الثانية؛ إذ هي التي يختصّ عُسرها بالكافرين، وأمّا النفخة الأولى فحُكمها الذي هو الإصعاق يعمّ البَرّ والفاجر، على أنّها مختصّة بمَن كان حيًّا عند وقوعها، وقد جاء في الأخبار أنّ في الصُّور ثُقَبًا بعدد الأرواح كلّها، وأنّها تُجمع في تلك الثُّقَب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ مِن كلّ ثقبة روح إلى الجسد الذي نُزعت منه فيعود الجسد حيًّا بإذن الله عزّ وجلّ.[٣]

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٦٨٨.

٢ القول في التبيان للعكبري، ٢/١٢٥٠.

٣ الكلام في اللباب لابن عادل، ١٩/٥٠٥.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ حال إمّا مِن "الياء"، أي: ذرني وحدي معه، فإنّي أكفيكه في الانتقام منه، أو مِن "التاء"، أي: خلقتُه وحدي لم يشرَكني في خَلْقه أحد، أو مِن العائد المحذوف، أي: ومَن خلقتُه وحيدًا فريدًا لا مالَ له ولا ولد. وقيل: نزلت في الوليد بن المُغيرة المخزومي، وكان يلقَّب في قومه بالوحيد، فهو تهكُّم به وبلقبه، وصَرْف له عن الغرض الذي يؤمُّونه مِن مدحه إلى جهة ذمّه بكونه وحيدًا مِن المال والولد،[١] أو وحيدًا مِن أبيه؛ لأنّه كان زنيمًا كما مرّ، أو وحيدًا في الشَّرارة.[٢]

﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ مبسوطًا كثيرًا أو مُمَدًّا بالنماء مِن "مدّ النهر ومدّه نهر آخر". قيل: كان له الضَّرع والزَّرع والتجارة.[٣] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: / هو ما كان له بين مكّة والطائف مِن صنوف الأموال.[٤] وقيل: كان له بالطائف بستان لا تنقطع ثماره صيفًا وشتاءً.[٥] وقال ابن عبّاس ومجاهدٌ وسعيد بن جبير: كان له ألف دينار.[٦] وقال قتادةُ: ستّة آلاف دينار.[٧] وقال سفيان الثوري: أربعة آلاف دينار.[٨] وقال الثوري أيضًا: ألفُ ألفِ دينار.[٩] [٢٤٠ظ]

﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾ حضورًا معه بمكّة يتمتّع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرّف في عمل أو تجارة لكونهم مَكفيّين لوُفور نِعَمهم وكثرةِ خَدَمهم، أو حضورًا في الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم. قيل: كان له عشرة بنين.[١٠] وقيل: ثلاثةَ عشرَ. وقيل: سبعة، كلّهم رجال: الوليد بن الوليد[١١] وخالد

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
٢ هذان الوجهان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٦٦.
٣ القول في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٦؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
٤ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٦؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
٦ جامع البيان للطبري، ٢٣/٤٢٢؛ معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٦؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
٧ اللباب لابن عادل، ١٩/٥٠٨، وعن قتادة أنّه أربعة آلاف دينار في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٦.
٨ جامع البيان للطبري، ٢٣/٤٢٣؛
٩ معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٦.
١٠ مَرويّ عن مجاهد في جامع البيان للطبري، ٢٣/٤٢٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٦٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٨٨.
١١ هو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (ت. نحو ٧هـ/ نحو ٦٢٩م). >

وعمارةُ[١] وهشام[٢] والعاص والقيس وعبد شمس، أسلمَ منهم ثلاثة: خالدٌ وهشامٌ وعمارةُ.[٣]

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ وبسطتُ له الرِّياسة والجاه العريض حتّى لُقِّب ريحانةَ قريش.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ على ما أوتيَه، وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، إمّا لأنّه لا مَزيد على ما أوتيَ سَعةً وكثرةً، أو لأنّه منافٍ لِما هو عليه مِن كفران النِّعم ومعاندة المنعِم. وقيل: إنّه كان يقول: إن كان محمّد صادقًا فما خُلقت الجنّة إلّا لي.[٤]

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ وزَجْر له عن طمعه الفارغ وقطعٌ لرجائه الخائب، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي، فإنّ معاندة آياتِ المنعِم مع وضوحها وكفرانَ نعمتِه مع سُبوغها ممّا يوجِب حرمانه بالكلّيّة، وإنّما أوتيَ ما أوتيَ استدراجًا. قيل: ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان مِن ماله حتّى هَلَك.[٥]

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ سأُغشّيه بدلَ ما يطمعه مِن الزيادة أو الجنّة عقبةً شاقّةَ المصعَد، وهو مَثَل لِما يُلقّى مِن العذاب الصعب الذي لا يُطاق. وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «يُكلَّف أن يصعَد عقبةً في النار، كلّما وَضَع يده عليها ذابت،

« مِن أشراف قريش في الجاهليّة ومِن أجوادهم. وهو أخو خالد بن الوليد رضي الله عنه، أدرك الإسلام وثبت على وثنية قومه إلى أن أُسر في وقعة بدر ففداه أخواه هشام وخالد وانصرفا به فأسلم. فحبسه إخوته بمكّة، فأفلت ولحق بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وشهد عمرة القضيّة، ومات بالمدينة. انظر: **الاستيعاب** لابن عبد البرّ، ١٥٥٨/٤؛ و**الإصابة** لابن حجر، ١٣٤٦؛ و**الأعلام** للزركلي، ١٢٢/٨.

١ هو عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، قيل: إنّه أسلم مع إخوته خالد وهشام، وقيل: مات كافرًا؛ لأنّ قريشًا أرسلوه إلى النجاشي وجرت معه قصّة فأُصيب بعقله وهام مع الوحش، وهو ممّن دعا عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِن قريش لمّا وضعوا على ظهره الجزور وهو يصلّي. انظر: **الإصابة** لابن حجر، ٢٨٣/٥.

٢ هو هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أخو خالد رضي الله عنه، وهو مِن المؤلّفة قلوبهم، انظر: **الاستيعاب** لابن عبد البرّ، ١٥٤١/٤؛ و**الإصابة** لابن حجر، ٥٤٤/٦.

٣ القولان في **الكشّاف** للزمخشري، ٤٨٨/٤.

٤ القول في **الكشّاف** للزمخشري، ٤٨٩/٤.

٥ القول في **أنوار التنزيل** للبيضاوي، ٤٦٦/٣.

فإذا رفعها عادت، وإذا وَضَع رجله ذابت، / فإذا رفعها عادت».[١] وعنه صلّى [٢٤١و]
الله عليه وسلّم: «الصَّعود: جبل مِن نار يُصعَد فيه سبعين خريفًا، ثمّ يُهوى فيه كذلك أبدًا».[٢]

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له، أو بيان لعناده لآياته تعالى، أي: فكّر ماذا يقول في شأن القرآن وقدّر في نفسه ما يقوله.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب مِن تقديره وإصابتِه فيه الغرضَ الذي كان ينتحيه قريشٌ قاتلهم الله، أو ثناءٌ عليه بطريق الاستهزاء به، أو حكايةٌ لِما كرّروه مِن قولهم: "قُتل كيف قدَّر" تهكّمًا بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله، ومعنى قولهم: "قتله الله ما أشجَعَه!" و"أخزاه الله ما أشعَرَه!" الإشعارُ بأنّه قد بلغ مِن الشجاعة والشِّعر مبلغًا حقيقًا بأن يدعوَ عليه حاسده بذلك.

رُوي أنّ الوليد قال لبني مخزوم: واللهِ لقد سمعتُ مِن محمّد آنفًا كلامًا ما هو مِن كلام الإنس ولا مِن كلام الجنّ، إنّ له لَحلاوةً وإنّ عليه لَطُلاوةً، وإنّ أعلاه لمُثمِر، وإنّ أسفله لمُغدِق، وإنّه يعلو وما يُعلى. فقالت قريشٌ: صبأ واللهِ الوليدُ، واللهِ لَتصبأنّ قريشٌ كلّهم، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكُموه، فقعد عنده حزينًا، وكلّمه بما أَحْمأه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أنّ محمّدًا مجنون! فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنّه كاهن! فهل رأيتموه يتكهّن؟ وتزعمون أنّه شاعر! فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قطّ؟ وتزعمون أنّه كذّاب! فهل جرّبتُم عليه شيئًا مِن الكذب؟ فقالوا في كلّ ذلك: اللّهمّ لا، ثمّ قالوا: فما هو؟ ففكّر فقال: ما هو إلّا ساحر، أما رأيتموه يفرِّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلّا سِحر يأثُره عن أهل بابِل، فارتجّ النادي فرحًا وتفرّقوا معجَبين بقوله متعجِّبين منه.[٣]

---

١ جامع البيان للطبري، ٤٢٧/٢٣؛ المعجم الأوسط للطبراني، ٣٦٦/٥ (٥٥٧٣)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٦٧/٨-٢٦٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٨٩/٤.

٢ مسند أحمد، ٢٤٠/١٨ (١١٧١٢)؛ سنن الترمذي، ٧٠٣/٤ (٢٥٧٦)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٦٧/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٨٩/٤.

٣ الخبر بلفظ قريب في أسباب النزول للواحدي، ص ٤٦٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٨٩/٤-٤٩٠.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة، و﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على أنّ الثانية أبلغُ مِن الأولى، / وفيما بعدُ على أصلها مِن التراخي الزماني. [٢٤١ظ]

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: في القرآن، مرّةً بعد مرّة.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطّب وجهه لِما لم يجد فيه مطعنًا، ولم يدرِ ماذا يقول، وقيل: نظَر في وجوه الناس ثمّ قطّب وجهه. وقيل: نظَر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ قطّب في وجهه.[١] ﴿وَبَسَرَ﴾ إتباع لـ﴿عَبَسَ﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقّ أو عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عن اتّباعه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى ويُتعلّم، و"الفاء" للدلالة على أنّ هذه الكلمة لمّا خطرت بباله تفوّه بها مِن غير تَلَعْثُم وتلبُّث.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ تأكيد لِما قبله، ولذلك أُخليَ عن العاطف.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل مِن ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.[٢]

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ أي: أيّ شيء أعلمَك ما سقر، على أنّ ﴿مَا﴾ الأولى مبتدأ و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ خبره و﴿مَا﴾ الثانية خبر؛ لأنّها المُفيدة لِما قُصد إفادته مِن التهويل والتفظيع، و﴿سَقَرُ﴾ مبتدأ، أي: أيّ شيء هي في وصفها؟ لِما مرّ مرارًا مِن أنّ ﴿مَا﴾[٣] قد يُطلب بها الوصف، وإن كان الغالب أن يُطلب بها الاسم والحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ بيان لوصفها وحالها وإنجازٌ للوعد الضمني الذي يُلوّح به ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾. وقيل: حال مِن ﴿سَقَرُ﴾.[٤] وليس بذاك، أي: لا تُبقي شيئًا يُلقى فيها إلّا أهلكَتْه، وإذا هلَك لم تذره هالكًا حتّى يُعاد، أو لا تُبقي على شيء ولا تدَعه مِن الهلاك؛ بل كلّ ما يُطرَح فيها هالك لا محالةَ.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ مُغيِّرة لأعالي الجِلد مُسوِّدة لها. قيل: تلفَح الجِلد لفحةً فتدعه أشدّ سوادًا مِن الليل.[٥] وقيل: تلوح للناس، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

---

[١] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٠.
[٢] في الآية السابعة عشرة مِن هذه السورة.
[٣] وفي هامش م: أي لفظها.
[٤] القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٦٧.
[٥] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٠.

عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر، ٧/١٠٢].[١] وقُرئ: "لَوَّاحَةً"[٢] بالنصب على الاختصاص للتهويل.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: مَلَكًا أو صِنفًا أو صَفًّا أو نَقيبًا مِن الملائكة يَلُون أمرها ويتسلّطون على أهلها. وقُرئ بسكون عين "عَشْرَ"[٣] حذرًا مِن توالي الحركات فيما هو في حُكم اسم واحد، وقُرئ: "تَسْعَةَ أَعْشُرٍ"[٤] / جَمْع "عَشير" [٢٤٢و] مثل "يمين" و"أيمُن".

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: المدبِّرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليُخالفوا جنس المعذَّبين فلا يرِقّوا لهم ولا يستَرْوِحوا إليهم، ولأنّهم أقوى الخَلْق وأقوَمُهم بحقّ الله عزّ وجلّ وبالغضب له تعالى وأشدُّهم[٥] بأسًا.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لأحدهم مثلُ قوّة الثقلين، يسوق أحدهم الأمّة وعلى رقبته جبل، فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم».[٦] ورُوي أنّه لمّا نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: أبو جهل لقريشٍ أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطِشوا برجل منهم، فقال أبو الأشَدّ بن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعةَ عشرَ فاكفوني أنتم اثنين، فنزلت.[٧] أي: ما جعلناهم رجالًا مِن جنسكم.

---

[١] مرويّ عن الحسن وأبي رزين في جامع البيان للطبري، ٤٣٤/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٧٠/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٩٠/٤.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي معاذ وابن أبي عبلة وزيد بن عليّ. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٥؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٢؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٥٣.

[٣] قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢٧٩/٢.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن أنس بن مالك. والمغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٥٤.

[٥] س: وأشدُّ.

[٦] لم أجده في مظانّه. وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ٦٠/٢٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٩١/٤.

[٧] بلفظ قريب في تفسير مقاتل بن سليمان، ٤٩٧/٤؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٩١/٤.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ما جعلنا عددهم إلّا العددَ الذي تسبَّب لافتتانهم وهو التسعةَ عشرَ، فعُبّر بالأثر عن المؤثّر تنبيهًا على التلازم بينهما، وليس المراد مجرَّد جَعْلِ عددهم ذلك العددَ المُعيَّنَ في نفس الأمر؛ بل جَعْلِه في القرآن أيضًا كذلك، وهو الحكم بأنّ عليها تسعةَ عشرَ؛ إذ بذلك يتحقَّق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادِهم لتولّي هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذُكر، وعليه يدور ما سيأتي مِن استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيمانًا.

قالوا: المخصِّص لهذا العدد أنّ اختلاف النفوس البشريّة في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانيّة الاثنتي عشرةَ والطبيعيّة السبع، أو أن جهنّم سبع دركاتٍ ستٌّ منها لأصناف الكفَرة، كلّ صِنف يعذَّب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعًا مِن العذاب يُناسبها، وعلى كلّ نوع مَلَك أو صِنف أو صفّ يتولّاه، وواحدة لعُصاة الأمّة يُعذَّبون فيها بترك العمل نوعًا يُناسبه ويتولّاه واحد، أو أنّ الساعات أربع وعشرون، خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس، فيبقى تسعةَ عشرَ قد تُصرَف إلى ما يؤاخَذ به بأنواع مِن العذاب يتولّاها الزبانية.[1]

[٢٤٢ظ] / ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ متعلِّق بالجَعْل على المعنى المذكور، أي: ليكتسبوا اليقينَ بنبوّته صلّى الله عليه وسلّم وصِدق القرآن لِما شاهدوا ما فيه موافقًا لِما في كتابهم. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ أي: يزداد إيمانهم كيفيّةً بما رأوا مِن تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنّه كذلك، أو كمّيّةً بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أُنزِل.

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد لِما قبله مِن الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفيٌ لِما قد يعتري المستيقِن مِن شبهة ما، وإنّما لم يُنظَم ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في سِلك أهل الكتاب في نفي الارتياب، حيث لم يقل: "ولا يرتابوا" للتنبيه على تبايُن النفيين حالًا، فإنّ انتفاء الارتياب مِن أهل الكتاب مقارِن لِما يُنافيه مِن الجحود، ومِن المؤمنين مقارِن لِما يقتضيه مِن الإيمان، وكم بينهما!

[1] الكلام بلفظ قريب في اللباب لابن عادل، ٥٢١/١٩.

والتعبيرُ عنهم باسم الفاعل بعد ذِكرهم بالموصول والصلة الفعليّة المنبِئة عن الحدوث للإيذان[1] بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخِهم في ذلك.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكّ أو نِفاق فيكون إخبارًا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المصرُّون على التكذيب: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي: أيّ شيء أراد بهذا العدد المستغرَب استغراب المَثَل. وقيل: لمّا استبعدوه حسِبوا أنّه مَثَل مضروب.[2] وإفرادُ قولهم هذا بالتعليل مع كونه مِن باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشّناعة.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قبله مِن معنى الإضلال والهداية، ومحلّ "الكاف" في الأصل النصب على أنّها صفة لمصدر محذوف، وأصل التقدير: يضلّ الله مَن يشاء. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إضلالًا وهدايةً كائنَين مِثلَ ما ذُكر مِن الإضلال والهداية، فحُذف المصدر وأقيم وصفه مُقامه، ثمّ قُدّم على الفعل لإفادة القصر، / فصار النظم: مِثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضلّ [٢٤٣و]
الله مَن يشاء إضلاله لصَرْف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحقّ، ويهدي مَن يشاء هدايته لصَرْف اختياره عن مشاهدة تلك الآيات إلى جانب[3] الهدى لا إضلالًا وهدايةً أدنى منها.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: جُموع خَلْقه التي مِن جملتها الملائكة المذكورون ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا سبيلَ لأحد إلى حصر الممكِنات والوقوفِ على حقائقها وصفاتها ولو إجمالًا، فضلًا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها مِن كمٍّ وكيفٍ ونسبةٍ.

﴿وَمَا هِىَ﴾ أي: سَقر أو عدّة خزَنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ إلّا تذكرةً لهم.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لمَن أنكرها، أو إنكارٌ ونفيٌ لأن يكون لهم تذكُّر.

---

١ السياق: والتعبيرُ... للإيذان...

٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٦٨/٣.

٣ س: جناب.

﴿وَٱلْقَمَرِ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ وقُرِئَ: "إِذَا دَبَرَ"[١] بمعنى "أدبر"، كـ"قَبَل" بمعنى "أقبَل"، ومنه قولهم: "صاروا كأمسِ الدابرِ"، قيل: هو مِن "دَبَر الليلُ النهارَ" إذا خلَفه.[٢]

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء وانكشف.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جواب للقسم، أو تعليل لـ﴿كَلَّا﴾ والقسمُ معترِض للتوكيد، و﴿ٱلْكُبَرِ﴾ جَمْع "الكُبرى" جُعلت ألف التأنيث كتائها فكما جُمعت "فُعْلَة" على "فُعَل" جُمعت "فُعْلى" عليها، ونظيرُها "القواصع" في جَمْع "القاصِعاء" كأنّها جَمْع "قاصِعة"، أي: لَإحدى البلايا أو لَإحدى الدّواهي الكُبَر، على معنى أنّ البلايا الكُبَر أو الدواهي الكُبَر كثيرة، وهذه واحدة في العِظَم لا نظيرةَ لها.[٣]

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تمييز، أي: لَإحدى الكُبَر إنذارًا، أو حالٌ ممّا دلّت عليه الجملة، أي: كبُرت مُنذِرةً. وقُرِئ: "نَذِيْرٌ"[٤] بالرفع على أنّه خبر بعد خبر لـ﴿إِنَّ﴾، أو لمبتدأ محذوف.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدل مِن ﴿لِلْبَشَرِ﴾ أي: نذيرًا لمَن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه الله تعالى، أو لم يشأ ذلك فيضلّه. وقيل: ﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبرٌ، و﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ مبتدأ، فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف، ١٨/٢٩].[٥]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

---

١ قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٣.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٢.

٣ الكلام بلفظ قريب في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٢-٤٩٣.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٣.

٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٣.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة عند الله تعالى / بكَسْبها، والرهينة: [٢٤٣ظ] اسم بمعنى "الرَّهْن"، كـ"الشَّتيمة" بمعنى "الشَّتم"، لا صفة، وإلّا لقيل: "رهين"؛ لأنّ فعيلًا بمعنى مفعول لا يدخله "التاء".

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنّهم فاكُّون رِقابهم بما أحسَنوا مِن أعمالهم، كما يَفكّ الراهن رهنَه بأداء الدَّين. وقيل: هم الملائكة.[١] وقيل: الأطفال.[٢] وقيل: هم الذين سبقت لهم مِن الله تعالى الحسنى.[٣] وقيل: الذين كانوا عن يمين آدمَ عليه السلام يوم الميثاق. وقيل: الذين يعطون كتبهم بأيمانهم.[٤] ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ لا يُكتنه كُنهها ولا يُدرَك وصفها. وهو خبر لمبتدأ محذوف، والجملة استئناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ ممّا قبله مِن استثناء ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾، كأنّه قيل: ما بالهم فقيل: هم في جنات. وقيل: حال مِن ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾. وقيل: مِن ضميرهم في قوله تعالى ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾.[٥] وقيل: ظرف للتساؤل.[٦]

وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضًا على أن يكون كلّ واحد منهم سائلًا ومسئولًا معًا؛ بل صدور السؤال عنهم مجرّدًا عن وقوعه عليهم، فإنّ صيغة "التفاعل" وإن وُضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدِّد ووقوعه عليه معًا بحيث يصير كلّ واحد مِن ذلك فاعلًا ومفعولًا معًا، كما في قولك: "تراءى القوم"، أي: رأى كلّ واحد منهم الآخر، لكنّها قد تُجرّد عن المعنى الثاني، ويُقصَد بها الدلالة على الأوّل فقط، فيُذكر للفعل حينئذ مفعول، كما في قولك: "تراءوا الهلالَ"، فمعنى: يتساءلون ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: يسألونهم عن أحوالهم، وقد حُذف المسئول لكونه عينَ المسئول عنه.

---

١ مرويّ عن ابن عبّاس في جامع البيان للطبري، ٤٥٠/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٧٢/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٩٣/٤.

٢ مرويّ عن عليّ بن أبي طالب في جامع البيان للطبري، ٤٤٩/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٧٢/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٩٣/٤.

٣ مرويّ عن الضحّاك في اللباب لابن عادل، ٥٣٣/١٩.

٤ كلاهما عن مقاتل في معالم التنزيل للبغوي، ٢٧٣/٨.

٥ الوجهان في التبيان للعكبري، ١٢٥١/٢؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٦٩/٣.

٦ هذا الوجه مذكور مع ما قبله في اللباب لابن عادل، ٥٣٣/١٩.

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ مقدَّر بقول هو حال مِن فاعل ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، أي: يسألونهم قائلين: أيُّ شيء أدخلكم فيها؟ فتأمّلْ ودعْ عنك ما تكلّف فيه المتكلِّفون.[١]

﴿قَالُواْ﴾ أي: المُجرمون مُجيبين للسائلين ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ للصلوات الواجبة.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ على معنى استمرار نفي الإطعام، لا على نفي استمرار الإطعام، كما مرّ مرارًا، وفيه دلالةٌ على أنّ الكفّار مخاطَبون بالفروع في حقّ المؤاخذة.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ أي: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء، أضافوه إلى الجزاء مع أنّ فيه [٢٤٤و] مِن الدواهي والأهوال ما لا غاية له؛ / لأنّه أدهاها وأهوَلُها وأنّهم مُلابِسوه، وقد مضَت بقيّة الدواهي. وتأخيرُ جنايتهم هذه مع كونها أعظمَ مِن الكلّ لتفخيمها، كأنّهم قالوا: وكنّا بعد ذلك كلّه مكذِّبين بيوم الدِّين، ولبيان كونِ تكذيبهم به مقارِنًا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرًا إلى آخر عمرهم حسبما نطَق به قولهم.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموت ومقدِّماته.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لو شفعوا لهم جميعًا.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ لترتيب إنكار إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها مِن موجبات الإقبال عليه والاتّعاظ به مِن سوء حال المكذِّبين. و﴿مُعْرِضِينَ﴾ حال مِن الضمير في الجارّ الواقع خبرًا

---

[١] الظاهر أنه يُعرِّض بالوجه الذي جوّزه الزمخشري في الكشّاف، ٤٩٣/٤؛ واختاره البيضاوي في أنوار التنزيل، ٤٦٩/٣؛ وهو أنّ هذا الكلام جواب المشركين للمؤمنين عمّا جرى للمجرمين.

لِـ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة و﴿عَنِ﴾ متعلِّقة به، أي: فإذا كان حال المكذِّبين به على ما ذُكر فأيّ شيء حصل لهم معرِضين عن القرآن مع تعاضُد موجِبات الإقبال عليه وتآخُذ الدواعي إلى الإيمان به.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ حال مِن المستكِنّ في ﴿مُعْرِضِينَ﴾ بطريق التداخُل، أي: مشبَّهين بحُمر نافرة. ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: مِن أسد، "فَعْوَلَة" مِن "القَسْر"، وهو القهر والغَلَبة. وقيل: هي جماعةُ الرُّماة الذين يتصيَّدونها شُبِّهوا في إعراضهم عن القرآن واستماعِ ما فيه مِن المواعظ وشِرادهم عنه بحُمر جدّت في نِفارها ممّا أفزعها. وفيه مِن ذمّهم وتهجين حالِهم ما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ عطفٌ على مقدَّر يقتضيه المقام، كأنّه قيل: لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضَون بها؛ بل يريد كلّ واحد منهم أن يؤتى قراطيسَ تُنشَر وتُقرأ، وذلك أنّهم قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لن نتّبعك حتّى تأتي كلَّ واحد منّا بكتبٍ مِن السماء، عنوانُها "مِن ربّ العالمين إلى فلان بن فلان"، نُؤمر فيها باتّباعك، كما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء، ٩٣/١٧]. وقُرئ: "صُحْفًا مُنْشَرَةً"[١] بسكون "الحاء" و"النون".

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن تلك الجرأة ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ / فلذلك يُعرِضون عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصُّحف. [٢٣٤ظ]

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن إعراضهم ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ وأيُّ تذكرةٍ ﴿فَمَن شَاءَ﴾ أن يذكُره ﴿ذَكَرَهُ﴾ وحاز بسببه سعادةَ الدارين ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بمجرّد مشيئتهم للذِّكر، كما هو المفهوم مِن ظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته في أفعاله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء مفرَّغ مِن أعمّ العِلَل أو مِن أعمّ الأحوال، أي: وما يذكُرون بعلّة مِن العِلَل أو في حال مِن الأحوال إلّا بأن يشاء الله،

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٥.

أو حالَ أن يشاء الله ذلك، وهذا تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عزّ وجلّ. وقُرئ: "تَذْكُرُوْنَ"[١] على الخطاب التفاتًا، وقُرئ بهما مشدَّدًا.[٢]

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: حقيق بأن يُتقى عقابُه ويؤمَن به ويُطاع. ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حقيقٌ بأن يُغفر لمَن آمن به وأطاعَه.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة المُدَّثّر أعطاه الله عشرَ حسنات بعدد مِن صدّق بمحمّد عليه السلام وكذّب به».[٣]

---

١ قرأ بها نافع. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٣.

٢ قراءتان شاذّتان، بالياء مع التشديد مرويّة عن أبي حَيْوَة، وبالتاء مع التشديد مرويّة عن أبي البَرَهسم. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٥٧.

٣ الكشف والبيان للثعلبي، ٩/٢٨ (المدثر، ١/٧٤)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٩٥. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٧٤

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

مكية، خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾: النبيُّ ـ وأصله «المُتَدَثِّر» أُدغمت التاء في الدال ـ أي: المُتلفّف بثِيابه عند نُزول الوحي عليه، ٢ ـ ﴿قُمْ فأنذِرْ﴾: خوِّفْ أهلَ مكّة النارَ إن لم يُؤمنوا، ٣ ـ ﴿وربَّكَ فكبِّرْ﴾: عظِّم عن إشراك المُشركين، ٤ ـ ﴿وثِيابَكَ فطَهِّرْ﴾..

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

قولُهُ: (المُتَدَثِّر) وقُرئَ به[1]، وهو لابِسُ الدِّثارِ، رويَ أنّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام قال: «كُنتُ بحِراءَ فَنُودِيتُ فنَظَرتُ عن يمِينِي وشِمالي فلم أرَ شيئاً، فنظَرتُ فَوقِي فإذا هو على عَرشٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ ـ يَعني: الملَكَ الذي ناداهُ ـ فرُعِبتُ ورَجعتُ إلى خَدِيجَة فقُلتُ: دَثِّرُوني، فنزَلَ جبرِيلُ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا المدَّثِرُ﴾» رواهُ الشَّيخانِ[2]، ولذلك قيل: هي أوَّلُ سورَةٍ نزلَتْ؛ أي: كاملَةً.

قولُهُ تَعالَى: (﴿قُم﴾) أي: من مضجَعِكَ، أو قُم قيامَ عزمٍ وجِدٍّ.

قولُهُ: (أَهْلَ مَكَّةَ) أو عشيرَتَكَ، والأظهَرُ أنّه مطلَقٌ لإفادَةِ التَّعميمِ.

قولُهُ: (أي: عَظِّم) يعني: وخَصِّص ربَّكَ بالتَّكبيرِ، وهو وصفُهُ بالكبرياءِ والعظمَةِ اعتِقاداً وقَولاً وفِعلاً، رويَ أنّه لمَّا نزلَ كبَّرَ رسولُ الله ﷺ وأيقنَ أنّه الوحيُ[3]؛ لأنَّ الشَّيطانَ لا يأمُرُ بذلك.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) بنحوه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) ذكر مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٩٠) بنحوه.

عن النجاسة، أو قصِّرْها خِلاف جرّ العرب ثيابَهم خُيَلاءَ فربّما أصابتها نجاسة، ٥ ـ ﴿والرِّجزَ﴾ ـ فسّرَه النبيُّ ﷺ بالأوثان ـ ﴿فاهجُرْ﴾ أي: دُم على هجره، ٦ ـ ﴿ولا تَمنُنْ تَستكثِرُ﴾ ـ بالرفع حال ـ أي: لا تُعطِ شيئًا لتطلب أكثر منه، وهذا خاصّ به ﷺ لأنه مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، ٧ ـ ﴿ولِرَبِّكَ فاصبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي.

٨ ـ ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ﴾: نُفخ في الصُّور ـ وهو القَرن ـ النفخةُ الثانية ٩ ـ ﴿فذلِكَ﴾ أي: وقتُ النقر ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدل ممّا قبله المُبتدأِ، وبُني لإضافته إلى غير مُتمكّن، وخبر المبتدأ: ﴿يَومٌ عَسِيرٌ﴾ ـ والعامل في «إذا» ما دلّت عليه الجملة، أي: اشتدّ الأمر ـ ١٠ ـ ﴿علَى الكافِرِينَ غَيرُ يَسِيرٍ﴾. فيه دلالة على أنه يسير على المُؤمنين، أي: في عُسره.

١١ ـ ﴿ذَرْنِي﴾: اتركْني ﴿ومَن خَلَقتُ﴾: عطفٌ على المفعول أو مفعول معه، ﴿وَحِيدًا﴾: حالٌ من «مَن» أو من ضميره المحذوف مِن «خلقتُ»، أي: منفردًا بلا أهل ولا مال ـ وهو الوليد بن المُغيرة ـ ١٢ ـ ﴿وجَعَلتُ لَهُ مالاً مَمدُودًا﴾:..

قولُهُ: (عَنِ النَّجَاسَةِ) فإنَّ التَّطهيرَ واجبٌ في الصَّلاةِ ومحبوبٌ في غيرها، وذلك بغسلِها وبحِفظِها عن النَّجاسَة كتقصيرِها مخافَةَ جرِّ الذُّيولِ فيها، وهو أوَّلُ ما أمرَ به من تركِ العاداتِ المذمومَةِ.

قولُهُ: (أو قَصِّرْهَا) فإنَّه «أَبقَى وأَتقَى وأَنقَى»، كما في حَديثٍ[1].

قولُهُ: (بالأَوثَانِ) أي: فاهجُرِ العذابَ بالثَّباتِ على هجرِ ما يؤدِّي إليه من الشِّركِ وغيره من القبائِحِ، وقرأَ حفصٌ بالضَّمِّ[2]، وهو لُغةٌ كالذِّكرِ.

قولُهُ: (وهَذا خَاصٌّ) أو نهيُ تنزيهٍ، وقيل: لا تمتَنَّ على الله بعبادتِكَ مُستكثِراً إيَّاها.

قولُهُ: (عَلَى الأَوَامِرِ) أو على أذى المشركِينَ لِوَجْهِه تَعالى، أو لأمرِهِ.

قولُهُ: (أي: فِي عُسْرِهِ عَلَى الكَافِرِينَ) يعني: أنَّه تأكيدٌ يمنَعُ أن يكونَ عسيراً على الكافرينَ من وَجهٍ دونَ وجهٍ.

قولُهُ: (مِن مَن) أو من الياءِ؛ أي: ذَرني وَحدي معه فإنِّي أكفيكَهُ، أو من التَّاءِ؛ أي: ومن خَلَقْتُهُ وحدي لم يَشرَكني في خلقِهِ أحَدٌ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٠٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٠٨٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٢٨٦)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (١٢١)، والحارث في «مسنده» (٥٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٣٧) من حديث عن أشعث، عن عمته، عن عمها، ووقع عند بعضهم: «أتقى وأبقى»، وبعضهم: «أبقى وأنقى»، وبعضهم: «أتقى وأنقى».

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

واسعًا مُتّصلاً من الزروع والضروع والتجارة ١٣ ـ ﴿وبَنِينَ﴾ عشَرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾: يشهدون المَحافل وتُسمع شهادتهم، ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ومَهَّدتُ﴾: بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعُمر والولد ﴿تَمهِيدًا، ثُمَّ يَطمَعُ أن أزِيدَ. كَلاّ﴾ لا أزيدُه على ذلك ـ ﴿إنَّهُ كانَ لِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿عَنِيدًا﴾: مُعاندًا ـ ١٧ ـ ﴿سأُرهِقُهُ﴾: أُكلّفه ﴿صَعُودًا﴾: مشقّة من العذاب أو جبلاً من نار يَصعد فيه ثمّ يهوي أبدًا.

١٨ ـ ﴿إنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القُرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك ـ ١٩ ـ ﴿فقُتِلَ﴾:..

قولُهُ: (وَاسِعاً) أي: مَبسوطاً كثيراً، أو ممدوداً بالنَّماءِ.

قولُهُ: (أو أكثَرَ) قيلَ: ثلاثَةَ عشَر كلُّهُم رجالٌ[1]، قيل: أسلَمَ منهم ثلاثَةٌ: خالِدٌ والوليدُ وهشامٌ[2].

قولُهُ: (المَحَافِلَ) لوجاهَتِهِم واعتبارِهِم من الشُّهودِ؛ بمعنى: الحُضورِ.

قولُهُ: (في العَيشِ) والرِّئاسَةِ والجاهِ العريضِ.

قولُهُ: (لا أَزِيدُهُ) لأنَّه لا يُناسِبُ ما هو عليه من كُفرانِ النِّعمِ ومُعاندَةِ المنعِمِ، قيل: ما زالَ بعدَ نُزولِ هذه الآيةِ في نُقصانٍ حتَّى هلكَ.

قولُهُ: (أُكلِّفُه) وأُغشِّيه.

قولُهُ: (مَشَقَّةً) أي: عقبَةً شاقَّةَ المصعَدِ، وهو مَثَلٌ لما يلقى من الشَّدائد.

قولُهُ: (أو جَبَلاً) على ما رواهُ التِّرمذيُّ وغيره[3].

قولُهُ: (يَصعَدُ) سبعينَ خريفاً، ثمَّ يهوي فيه كذلك أبداً.

قولُهُ: (فِيمَا يَقُولُ) أي: فيما تخيَّلَ طَعناً.

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: ما يقولُ فيه.

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٩) عن سعيد بن جبير، قال: وكان له ثلاثة عشر ولدا كلهم رب بيت... إلخ، وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ١٧٥) من قول مقاتل.

والذي نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٤٣) عن مقاتل، أنه أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة. وغلط ذلك ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٢١٦) ثم قال: والصواب خالد وهشام والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافراً.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٧٦)، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة.

قلت: تابعه عمرو بن الحارث فيما رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

لُعِنَ وعُذِّبَ ﴿كَيفَ قَدَّرَ﴾: على أيِّ حال كان تقديره؟ ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ـ ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وُجوه قومه أو فيما يَقدَحُ به فيه، ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبَّض وجهه وكلّحه ضِيقًا بما يقول، ﴿وبَسَرَ﴾: زاد في القبض والكلوح، ٢٣ ـ ﴿ثُمَّ أدبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿واستكبَرَ﴾: تكبّر عن اتّباع النبيّ ﷺ، ٢٤ ـ ﴿فقالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ يُؤثَرُ﴾: يُنقل عن السَّحرة. ٢٥ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ قَولُ البَشَرِ﴾ كما قالوا: «إنّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ». ٢٦ ـ ﴿سأُصليهِ﴾: أُدخِلُه ﴿سَقَرَ﴾: جهنَّم.

قولُهُ: (لُعِنَ) تعجيبٌ من تقديرِهِ استِهزاءً به، رويَ أنّه مرَّ بالنَّبيِّ ﷺ وهو يقرَأُ: ﴿حمٓ﴾ السَّجدَة [فصلت: ١]، فأتَى قومَهُ وقال: لقد سمعتُ من مُحمَّدٍ آنِفاً كَلاماً ما هو من كَلامِ الإنسِ والجنِّ، إنَّ له لحلاوَةً وإنَّ عليه لطلاوَةً ـ أي: رَونَقاً ـ وإن أعلاهُ ـ أي: مَعناهُ ـ لمثمِرٌ، وإنَّ أسفلَهُ ـ أي: لفظَهُ ـ لمُغدِق ـ أي: واسِعٌ ـ، وإنَّه ليَعلو ولا يُعلى، فقالَ قريشٌ: صَبأَ الوليدُ، فقالَ ابنُ أخيهِ أبو جَهلٍ: أنا أكفيكُمُوهُ، فقعَدَ إليهِ حزيناً وكلَّمَهُ بما أحماه ـ أي: أغضَبَهُ ـ فقامَ فأتاهُم فقال: تزعُمونَ أنَّ مُحمَّداً مجنونٌ، فهل رأيتموهُ يخنق؟ وتقولونَ: إنَّهُ كاهنٌ فهل رأيتموهُ يتكهَّنُ؟ وتزعمونَ أنَّه شاعرٌ، فهل رأيتُموهُ يَتعاطى شِعراً؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحِرٌ، أما رأيتُموهُ يُفرِّقُ بين الرَّجُلِ وأهلِهِ وولَدِهِ ومواليِهِ، ففَرِحوا بقولِهِ، وتَفرَّقوا مُتعجِّبينَ منه[١].

قولُهُ تعالَى: (﴿ثمَّ قُتِلَ﴾) تكريرٌ للمُبالغَةِ، و﴿ثمَّ﴾ للدَّلالَةِ على أنَّ الثَّانيةَ أبلغُ من الأولى، وفيما بَعدُ على أصلِها.

قولُهُ: (أو فِيمَا يَقْدَحُ) أي: في أمرِ القُرآنِ مرَّةً بعد أخرى.

قولُهُ: (قَبَضَ) وقطَّبَ.

قولُهُ: (ضِيقاً) أي: لمَّا لم يجدْ فيه طَعناً ولم يَدرِ ما يقولُ، أو نَظَرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقطَّبَ في وجهِهِ.

قولُهُ: (زَادَ) موافقٌ لما في «المدارِكِ»[٢]، وهو الصَّحيحُ، وخالَفَ البَيضاويُّ وقال[٣]: إتباعٌ لـ﴿عبَس﴾، ورُدَّ بأنَّ عَطفَ الإتباعِ على المتبوعِ غير معروفٍ.

قولُهُ: (عَنِ الإيمَانِ) أو الرَّسولِ.

قولُهُ: (النَّبيِّ) أو الحَقِّ.

قولُهُ: (يُنقَلُ) ويُروى ويُتعلَّمُ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٧) بنحوه عن ابن عباس، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري. ووافقه الذهبي.

وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٣٢٤): رواه البيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس بسند جيد.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٥٦٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٦١).

٢٧ ـ ﴿وما أدراكَ: ما سَقَرُ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها. ٢٨ ـ ﴿لا تُبقِي ولا تَذَرُ﴾ شيئًا من لحم ولا عصب إلاّ أهلكته ثمّ يعود كما كان، ٢٩ ـ ﴿لَوّاحةٌ لِلبَشَرِ﴾: مُحرقة لظاهر الجلد، ٣٠ ـ ﴿علَيها تِسْعةَ عَشَرَ﴾ ملكًا خزنتُها؟ قال بعض الكُفّار، وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعةَ عشَرَ، واكفوني أنتم اثنين. قال تعالى:

٣١ ـ ﴿وما جَعَلْنا أصحابَ النّارِ إلاّ مَلائكةً﴾، أي: فلا يُطاقون كما يَتوهّمون، ﴿وما جَعَلْنا عِدّتَهُم﴾ ذلك ﴿إلاّ فِتْنةً﴾: ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لمَ كانوا تسعةَ عشَرَ؟ ﴿لِيَستَيقِنَ﴾: ليستَبينَ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: اليهودُ صِدقَ النبيّ في كونِهم تسعةَ عشَرَ المُوافقِ لِما في كِتابهم، ﴿ويَزدادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانًا﴾ تصديقًا لمُوافقة ما أتى به النبيّ ﷺ لِما في كِتابهم، ﴿ولا يَرتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ والمُؤمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة، ....

قولُهُ: (مُحْرِقَةٌ) أو مُسوِّدَةٌ، أو لائحةٌ ظاهِرَةٌ للنَّاسِ.

قولُهُ: (مَلَكاً) أو صِنفاً، أو صَفًّا من الملائِكةِ.

قولُهُ: (خَزَنَتُهَا) يَلونُ أمرَها، قيل: في سَقَر تسعَةَ عَشَرَ دَركاً، وقد سُلِّطَ على كُلِّ دركٍ مَلكٌ، وقيل: يُعذَّبُ فيها تسعَةَ عشَرَ لَوناً من العَذابِ، على كُلِّ لونٍ مَلكٌ مُوكَّلٌ.

قولُهُ: (كمَا يَتوهَّمُون) إذ جاءَ في الخبَرِ: أعيُنُهُم كالبَرقِ الخاطِفِ، وأنيابُهُم كالصَّياصِي[1] يخرُجُ لهَبُ النَّارِ من أفواهِهِم ما بينَ منكِبَي أحدِهِم مسيرَةُ سنةٍ، نُزعَت منهُمُ الرَّحمَةُ، يدفَعُ أحدُهُم سبعينَ ألفاً فيرميهِم حيثُ أرادَ من جهنَّمَ[2].

قولُهُ: (ضَلالاً) وافتِتاناً.

قولُهُ: (بأَن يَقُولُوا) أو يَستقِلُّوا، ويَستَهزؤوا ويَستبعِدوا أن يَتولَّى هذا العدَدُ القليلُ تعذيبَ أكثرِ الثَّقلَينِ.

قولُهُ: (أي: اليَهُودُ) يعني: ليكتَسِبوا اليقينَ بنبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ وصِدقِ القُرآنِ.

قولُهُ: (مِن أَهلِ الكِتَابِ) الظَّاهرُ أنَّه أعمُّ.

قولُهُ: (تَصدِيقاً) أو إيماناً بالإيمانِ به، أو بتَصديقِ أهلِ الكِتابِ له.

قولُهُ: (مِن غَيرِهِم) وهو تأكيدٌ للاستيقانِ، وزيادَةِ الإيمانِ.

---

(١) الصيصة: شوكة الحائك يسوي بها السدى واللحمة. «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٣).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٥٩) (٣٢١٨) بنحوه عن ابن جريج مرسلا.

﴿وليَقُولَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شكٌّ بالمدينة ﴿والكافِرُونَ﴾ بمكّة: ﴿ماذا أرادَ اللهُ بِهذا﴾ العدد ﴿مَثَلاً﴾؟ سمَّوه لغرابته بذلك، وأُعرِب حالاً ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلالِ مُنكِرِ هذا العدد وهَدْيِ مُصدِّقِه ﴿يُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ وما يَعلَمُ جُنودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ في قوّتهم وأعوانهم، ﴿إلاّ هُوَ، وما هِيَ﴾ أي: سقرُ ﴿إلاّ ذِكرَى﴾: عِظةٌ ﴿لِلبَشَرِ﴾.

٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿كَلاّ﴾: استفتاحٌ بمعنى: ألا ﴿والقَمَرِ، واللَّيلِ إذا﴾، بفتح الذال، ﴿دَبَرَ﴾: جاء بعد النهار ـ وفي قِراءة: «إذْ أدبَرَ» بسكون الذال بعدها همزة، أي: مضى ـ ٣٤ ـ ﴿والصُّبحِ إذا أسفَرَ﴾: ظهر، ٣٥ ـ ﴿إنَّها﴾ أي: سقرَ ﴿لَإحدَى الكُبَرِ﴾: البلايا العِظام،.........................

قولُهُ: (شَكٌّ بالمَدِينَةِ) الصَّواب: شَكٌّ أو نفاقٌ، فيكونُ إخباراً بمكَّةَ عمَّا سيكونُ في المدينَةِ بعدَ الهجرَةِ.

قولُهُ: (بِمَكَّةَ) الجازمونَ في التَّكذيبِ.

قولُهُ: (العَدَدِ) أي: أيُّ شيءٍ أرادَ بهذا العَدَدِ المستغرَبِ استِغرابَ المثلِ.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةَ) يعني: جُموعَ خلقِهِ على ما هم عليه.

قولُهُ: (أي: سَقَر) أو عدَّةُ الخزنَةِ، أو السورَةُ.

قولُهُ: (استِفتَاحٌ) هذا قولُ أبي حاتِمٍ ومتابعيهِ، وقالَ الكسائيُّ: معناهُ: حقًّا[1]، والجمهورُ على أنَّه رَدعٌ لمن أنكَرَ[2].

قولُهُ: (بفَتحِ الذَّالِ) وألِفٌ بعدها.

قولُهُ: (جَاءَ) أو دَبَرَ بمعنى أَدْبَرَ، كقَبَلَ بمعنى: أقبلَ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وحفصٍ وحمزَةَ[3].

قولُهُ: (بِسُكُونِ الذَّالِ) أي: المعجمَةِ.

قولُهُ: (بَعدَهَا هَمزَةٌ) أي: في أوَّلِ الكلِمةِ الآتيةِ؛ يعني: ﴿أَدبَرَ﴾ على وزنِ: أكرَمَ.

قولُهُ: (ظَهَرَ) وأضاءَ.

قولُهُ: (العِظَام) أي: البلايا الكُبر كثيرَةٌ، وسقَرُ واحدَةٌ منها.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: «شرح قواعد الإعراب» (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿نَذِيرًا﴾: حالٌ من «إحدى الكبر»، وذُكّر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ، لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «للبشر» ﴿أن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنّة بالإيمان ﴿أو يَتأخَّرَ﴾ إلى الشرّ أو النار بالكُفر.

٣٨ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة مأخوذة بعملها في النار، ٣٩ ـ ﴿إلاّ أصحابَ اليَمِينِ﴾ وهم المُؤمنون فناجون منها، كائنون ٤٠ ـ ﴿في جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ﴾ بينهم ٤١ ـ ﴿عَنِ المُجرِمِينَ﴾ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج المُوحّدين من النار: ٤٢ ـ ﴿ما سَلَكَكُم﴾: أدخلكم ﴿في سَقَرَ﴾؟

٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿قالُوا: لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ، ولَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ، وكُنّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الخائضِينَ، وكُنّا نُكَذِّبُ بيَومِ الدِّينِ﴾: البعث والجزاء ٤٧ ـ ﴿حَتّى أتانا اليَقِينُ﴾: الموت. ٤٨ ـ ﴿فما تَنفَعُهُم شَفاعةُ الشّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين. والمعنى: لا شفاعةَ لهم.

٤٩ ـ ﴿فما﴾: مبتدأ ﴿لَهُم﴾: خبره مُتعلّق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ التَّذكِرةِ مُعرِضِينَ﴾؟ حال من الضمير، والمعنى: أيُّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟

قولُهُ: (حَالٌ مِن: ﴿إحدى﴾) أي: نفسِها، أو من ضَميرِها، والتَّقديرُ: كبُرت مُقدَّرةً، وهو المختارُ، وقيل: إنّه تَمييزٌ؛ أي لأحدى ﴿الكُبَرِ﴾ إنذاراً.

قولُهُ: (إلى الخَيرِ) أو إلى ما أُمرَ به.

قولُهُ: (إلى الشَّرِّ) أي: عن الخَيرِ إلى الشَّرِّ، أو عمَّا نُهي عنه؛ أي: نذيراً للمُمَكَّنينَ من السَّبقِ إلى الخَيرِ والتَّخلُّفِ عنه.

قولُهُ: (مَرهُونَةٌ) عند الله، مصدَرٌ كالشَّتيمَةِ بمعنى الشَّتمِ، أُطلقَت للمفعولِ كالرَّهنِ، ولو كانت صفَةً لقيلَ: رهينٌ؛ لأنَّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ.

قولُهُ: (فَناجُونَ مِنهَا) لأنَّهم فكُّوا رقابَهُم بما أحسَنوا من أعمالِهِم.

قولُهُ: (كَائِنُونَ) صوابُهُ: كائِنِين؛ لأنَّه حالٌ من أصحابِ اليمينِ، أو من الضَّميرِ في: ﴿يَتَسَاءَلُون﴾.

قولُهُ: (بَينَهُم) أي: يسأَلُ بعضُهُم بعضاً.

قولُهُ: (البَعثِ) أخَّرهُ لتعظيمِهِ؛ أي: وكنَّا بعد ذلك كلِّهِ مكذِّبينَ بالقيامَةِ.

قولُهُ: (المَوتُ) ومُقدِّماتِ اليقينِ.

قولُهُ: (لا شَفَاعَةَ) أو المعنى: لا تنفعُهُم شفاعَةُ الشَّافِعينَ لو شَفَعوا لهم جميعاً.

قولُهُ: (مِنَ الضَّمِيرِ) في الجارِ.

قولُهُ: (في إعرَاضِهِم) أي: حالَ إعراضِهِم.

قولُهُ: (عَنِ الاتِّعَاظِ) أو القُرآنِ، أو ما يعمُّهُ.

٥٠ ـ ﴿كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُّستَنفِرَةٌ﴾: وحشيّة، ٥١ ـ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾: أسدٍ، أي هربتْ منه أشدّ الهرب؟ ٥٢ ـ ﴿بَل يُرِيدُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُؤتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ أي: من الله ـ تعالى ـ باتّباع النبيّ كما قالوا: «لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ، حَتَّى تُنَزِّلَ علَينا كِتابًا نَقرَؤُهُ». ٥٣ ـ ﴿كَلَّا﴾: ردعٌ عمّا أرادوه، ﴿بَل لا يَخافُونَ الآخِرَةَ﴾ أي: عذابها.

٥٤ ـ ﴿كَلّا﴾: استفتاح ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿تَذكِرَةٌ﴾: عِظة، ٥٥ ـ ﴿فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾: قرأه فاتّعظ به، ٥٦ ـ ﴿وما يَذكُرُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ. هُوَ أهلُ التَّقوَى﴾ بأن يُتّقى ﴿وأهلُ المَغفِرةِ﴾ بأن يَغفر لمن اتّقاه.

قولُهُ: (وَحشِيَّةٌ) نافرَةٌ، وقرأ نافعٌ وشاميٌّ بفتحِ الفاءِ[1].

قولُهُ: (أَسَد) فَعْوَلَةٌ من القَسرِ، وهو القَهرُ.

قولُهُ: (باتِّبَاعِ النَّبِيِّ) وذلك أَنّهم قالوا: لن نَتّبعك حتّى تأتي كلًّا منّا بكتابٍ من السّماءِ فيه: من الله تعالى إلى فُلانٍ اتّبع مُحمّداً[2].

قولُهُ: (لَن نُؤمِنَ لَكَ) لفظُ التّنزيلِ: ﴿لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣].

قولُهُ: (أي: عَذَابَهَا) لاستِهلاكِهِم في محبّةِ الدُّنيا وشَهواتِها، وإعراضِهِم عن التَّذكِرَة.

قولُهُ: (استِفْتَاح) أو رَدعٌ لهم عن إعراضِهِم.

قولُهُ: (عِظَةٌ) وأيُّ عظَةٍ.

قولُهُ: (والتَّاءُ) الخطاب نافِعٌ[3].

قولُهُ تعالَى: (﴿إِلَّا أن يَشَاءَ اللهُ﴾) أي: ذِكْرَهُم أو مشيئَتَهُم؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ومَا تَشَاؤُونَ إلا أن يَشَاءَ اللهُ﴾ وهو تصريحٌ بأنَّ فعلَ العَبدِ بمشيئَةِ الله.

قولُهُ: (بأَن يُتَّقى) أي: حقيقٌ بأن يُتّقى عقابُهُ، أو هو أهلُ من يُتّقى به عمّا سواهُ.

قولُهُ: (لِمَنِ اتَّقَاهُ) أو لعبادِهِ سيما المتَّقينَ منهم، والله سُبحانَهُ وتعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣) عن قتادة.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

سورة المدثر

مكِّيَّة، قال ابنُ عطيَّة: بإجماع[1]. وفي «التحرير»: قال مقاتل: إلَّا آيةً وهي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ إلخ [الآية: ٣١][2]، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يُشعِر بأنَّ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الآية: ٣٠] مدنيٌّ بما فيه.

وآيُها ستٌّ وخمسون في العراقيِّ والمدنيِّ الأوَّل، وخمس وخمسون في الشاميِّ والمدنيِّ الأخير على ما فصّل في محلِّه.

وهي متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبيِّ ﷺ، وصَدْرُ كليهما نازل ـ على المشهور ـ في قصَّة واحدة، وبُدئت تلك بالأمر بقيام الليل وهو عبادة خاصَّة، وهذه بالأمر بالإنذار، وفيه مِن تكميل الغير ما فيه.

وروى أمية الأزديُّ عن جابر بنِ زيد ـ وهو من علماء التابعين بالقرآن ـ أنَّ «المُدَّثِّر» نزلت عَقِبَ «المُزَّمِّل». وأخرجه ابنُ الضُّرَيْس عن ابنِ عباس[3]، وجعلوا ذلك مِن أسباب وَضْعِها بعدها. والظاهر ضعف هذا القول؛ فقد أخرج أحمد والبخاريُّ ومسلم والترمذيُّ وجماعة عن يحيى بنِ أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بنَ عبد الرحمن عن أوَّل ما نزل مِن القرآن؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. قلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بنَ عبد الله عن ذلك وقلتُ له مِثْلَ ما قلتَ، فقال جابر: لا أحدِّثك إلا ما حدَّثنا رسولُ الله ﷺ، قال: «جاورتُ بِحِراء، فلما قضيتُ جواري هبطتُ، فنُوديت فنظرتُ عن يميني فلم أَرَ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٧٠.

(٣) فضائل القرآن (٣).

شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أَرَ شيئاً، ونظرت خَلْفي فلم أَرَ شيئاً، فرفعتُ رأسي فإذا المَلَك الذي جاءني بِحِراء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض فَجُئِثْتُ[١] منه رُعْباً، فرجعتُ فقلتُ: دثِّروني. فدثَّروني، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٢]. وفي رواية: «فجئتُ أهلي، فقلتُ: زمِّلوني، زمِّلوني زمِّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱهْجُرْ﴾[٣] = فإنَّ القصَّة واحدة، ولو كانت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ هي النازلةَ قَبْلُ فيها لذُكرت، نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ نزل قبل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أنَّ ذاك أوَّلُ ما نزل مِن القرآن[٤]، وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمَّة حتى قال بعضهم: هو الصحيح.

ولصحَّة الخبرين احتاجوا للجواب، فنقل في «الإتقان» خمسةَ أجوبة:

الأوَّل: أنَّ السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملةٍ، فبيَّن أنَّ سورة «المدَّثِّر» نزلت بكمالها قبل تمام سورة: ﴿ٱقْرَأْ﴾ فإنَّ أوَّل ما نزل منها صدرها.

الثاني: أنَّ مرادَ جابر بالأوَّليَّة أوَّليَّةٌ مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أوَّليَّة مطلقة.

الثالث: أنَّ المراد أوَّليَّة مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبَّر بعضهم عن هذا بقوله: أوَّل ما نزل للنبوَّة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وأوَّل ما نزل للرسالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

الرابع: أنَّ المراد أوَّل ما نزل بسبب متقدِّم، وهو ما وقع مِن التدثُّر الناشِئ عن الرُّعب، وأمَّا: ﴿ٱقْرَأْ﴾ فنزلت ابتداءً بغير سبب متقدِّم.

---

(١) جاء في هامش الأصل: أي: ذعرت. انتهى منه.
(٢) أحمد (١٤٢٨٧)، والبخاري (٤٩٢٢) و(٤٩٢٣) و(٤٩٢٤)، ومسلم (١٦١): (٢٥٧)، وهو عند الترمذي (٣٣٢٥) لكن من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله مختصراً.
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١): (٢٥٦)، وهو عند أحمد (١٤٤٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٤) البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، وهو عند أحمد (٢٥٩٥٩).

الخامس: أنَّ جابراً استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو مِن روايته، فيقدَّم عليه ما روت عائشة رضي الله عنها.

ثم قال: وأحسنُ هذه الأجوبة الأوَّلُ والأخيرُ[1]. انتهى، وفيه نَظَر، فتأمَّل ولا تغفل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أصله: المُتَدَثِّر، فأدغم، وهو على الأصل في حرف أُبَيٍّ[2]، مِن تدثَّر: لَبِسَ الدِّثار ـ بكسر الدال ـ وهو ما فوق القميص الذي يلي البدنَ ويُسمَّى شِعاراً؛ لاتِّصاله بالبشرة والشَّعَر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصارُ شِعارٌ، والناسُ دِثارٌ»[3]. والتركيب على ما قيل دائر مع معنى السَّتْر على سبيل الشمول، كأنَّ الدثارَ سترٌ بالغ مكشوف، نودي ﷺ باسم مشتقٍّ مِن صفته التي كان عليها؛ تأنيساً له وملاطفةً كما سمعتَ في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

وتدثُّره عليه الصلاة والسلام لما سمعتَ آنفاً، وأخرج الطبراني وابن مردويه بسندٍ ضعيف عن ابنِ عباس: أنَّ الوليد بنَ المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلمَّا أكلوا، قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فاختلفوا، ثم اجتمع رَأْيُهم على أنَّه سِحْر يُؤْثَر، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثَّر ـ أي: كما يفعل المغموم ـ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[4].

وقيل: المراد بالمدَّثِّر: المتدثِّر بالنبوَّة والكمالات النفسانية، على معنى: المتحلِّي بها والمتزيِّن بآثارها. وقيل: أطلق المدَّثِّر وأُريد به الغائب عن النظر، على

---

(١) الإتقان ١/ ٧٨-٧٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٥، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٨٩.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٧٠)، والبخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٨١، والطبراني في الكبير (١١٢٥٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣١: وفيه: إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك.

الاستعارة والتشبيه، فهو نداء له بما كان عليه في غار حِراء.

وقيل: الظاهر أن يُراد بالمدَّثِّر ـ وكذا بالمزَّمِّل ـ الكناية عن المستريح الفارغ؛ لأنَّه في أوَّل البعثة، فكأنَّه قيل له عليه الصلاة والسلام: قد مضى زمنُ الراحة وجاءتك المتاعبُ مِن التكاليف وهداية الناس، وأنتَ تَعلمُ أنَّه لا ينافي إرادةَ الحقيقة، وأمرُ التلطيف على حاله.

وقال بعض السادة: أي: يا أيُّها الساتر للحقيقة المحمديَّة بدِثار الصورة الآدميَّة، أو: يا أيُّها الغائب عن أنظار الخليقة فلا يَعرِفك سوى الله تعالى على الحقيقة، إلى غير ذلك من العبارات، والكلُّ إشارة إلى ما قالوا في الحقيقة المحمديَّة مِن أنَّها حقيقةُ الحقائق التي لا يقف على كُنْهها أحدٌ مِن الخلائق، وعلى لسانها قال مَن قال:

وإنِّي وإن كنت ابنَ آدمَ صورةً ... فلي فيه معنًى شاهدٌ بأُبُوَّتي[1]

وأنَّها التعيُّن الأوَّل، وخازن السِّرِّ المقفل، وأنَّها وأنَّها، إلى أمور هيهات أن يكون للعقل إليها منتهى:

أعيى الورى فَهْمُ معناه فليس يُرَى ... في القُرْب والبُعْد منه غير مُنْفحمِ
كالشمس تَظهر للعينين مِن بُعد ... صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِن أَمَمِ
وكيف يُدْرِك في الدنيا حقيقته ... قوم نيامٌ تَسلَّوا عنه بالحُلُمِ
فَمَبْلغُ العِلْم فيه أنَّه بشرٌ ... وأنَّه خيرُ خَلْقِ اللهِ كلِّهمِ[2]

وقرأ عكرمة: «المُدَثِّر» بتخفيف الدال وتشديد الثاء المكسورة على زِنَة الفاعل[3]، وعنه أيضاً «المُدَثَّر» بالتخفيف والتشديد على زِنَة المفعول[4]، مِن دثَّره، وقال: دثِّرتَ هذا الأمر، وعُصبَ بكَ، أي: شُدَّ، والمعنى أنَّه المعوَّل عليه،

---

(١) سلف ٢/ ٨٥.
(٢) الأبيات للبوصيري من قصيدته المشهورة البردة ص٣٨-٣٩.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٥، والبحر ٨/ ٣٧٠.
(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٣١٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٧٠.

فالعظائم به منوطة، وأمورُ حلِّها وعَقْدِها به مربوطة، فكأنَّه قيل: يا من تُوقف أمورُ الناس عليه؛ لأنَّه وسيلتهم عند الله عزَّ وجلَّ.

﴿قُمْ﴾ من مضجعك، أو: قم قيامَ عزم وتصميم، وجعله أبو حيَّان(١) على هذا المعنى مِن أفعال الشروع، كقولهم: قام زيدٌ يفعل كذا، وقوله:

على ما قامَ يَشْتِمُني لئيمٌ(٢)

و«قام» بهذا المعنى من أخوات «كاد».

وتعقِّب بأنَّه لا يَخفى بُعْدُه هنا؛ لأنَّه استعمالٌ غيرُ مألوف، ووروِدُ الأمرِ منه غيرُ معروف، مع احتياجه إلى تقدير الخبر فيه، وكلُّه تعسُّف.

﴿فَأَنذِرْ ۝٢﴾ أي: فافعل الإنذار، أو: أَحْدِثْه، فلا يُقصَد منذرٌ مخصوص، وقيل: يُقدَّر المفعولُ خاصًّا ـ أي: فأنذر عشيرتك الأقربين ـ لمناسبته لابتداء الدعوة في الواقع. وقيل: يُقدَّر عامًّا، أي: فأنذر جميعَ الناس لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ولم يقل هنا: «وبشِّر»؛ لأنَّه كان في ابتداء النبوَّة، والإنذار هو الغالب إذ ذاك، أو هو اكتفاء؛ لأنَّ الإنذار يلزمه التبشير.

وفي هذا الأمر بعد ذلك النداء إشارة عند بعض السادة إلى مقام الجَلْوة بعد الخَلْوة، قالوا: وإليهما الإشارة أيضاً في حديث: «كنتُ كنزاً مخفيًّا، فأحببتُ أن أُعرفَ» إلخ(٣).

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ واخصص ربَّك بالتكبير، وهو وصفه تعالى بالكبرياء والعظمة اعتقاداً وقولاً، ويروى أنَّه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر» فكبَّرت خديجةُ وفرحت وأيقنت أنَّه الوحيُ(٤)، وذلك لأنَّ الشيطانَ لا يَأمر بذلك، والأمر بالنسبة إليه ﷺ غنيٌّ عن الاستدلال.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٧٠.

(٢) صدر بيت لحسان، وهو في ديوانه ص٧٩، وعجزه:

كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ

(٣) سلف ١/ ١٩٩ و٢٦/ ٥١.

(٤) أورده الزمخشري ٤/ ١٨٠، والرازي ٣٠/ ١٩١، والقرطبي ٢١/ ٣٥٨.

وجوّز أن يُحمل على تكبير الصلاةِ، فقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله، كيف نقول إذا دخلنا في الصلاة؟ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ فأمرنا رسول الله ﷺ أن نفتتحَ الصلاة بالتكبير[١]. وأنتَ تعلم أنَّ نزول هذه الآية كان حيث لا صلاة أصلاً، فهذا الخبر ـ إن صحَّ ـ مؤوَّل.

والفاء هنا وفيما بعدُ لإفادة معنى الشرط، فكأنَّه قيل: وما كان ـ أي: أيُّ شيء حَدَث ـ فلا تَدَع تكبيرَه عزَّ وجلَّ، فالفاء جزائيَّة، وهي لكونها ـ على ما قيل ـ مزحلقةً لا يضرُّ عملُ ما بعدَها فيما قَبْلَها. وقيل: إنَّها دخلت في كلامهم على توهُّم شرط، فلمَّا لم تكن في جواب شرط محقَّق، كانت في الحقيقة زائدةً، فلم يمتنع تقديمُ معمول ما بعدَها عليها لذلك.

ثم إنَّ في ذكر هذه الجملة بعد الأمر السابق مقدَّمةً على سائر الجمل إشارةٌ إلى مزيد الاهتمام بأمر التكبير، وإيماءٌ ـ على ما قيل ـ إلى أنَّ المقصود الأوليَّ مِن الأمر بالقيام أن يكبِّر ربَّه عزَّ وجلَّ وينزِّهه مِن الشرك، فإنَّ أوَّل ما يجب معرفةُ الله تعالى، ثم تنزيهه عمَّا لا يَليق بجنابه، والكلام عليه مِن باب: إياكِ أعني واسمعي يا جارة.

وقد يقال: لعلَّ ذِكْر هذه الجملة كذلك مسارعةٌ لتشجيعه عليه الصلاة والسلام على الإنذار وعدم مبالاته بما سواه عزَّ وجلَّ، حيث تضمَّنت الإشارة إلى أنَّ نواصي الخلائق بيده تعالى، وكلّ ما سواه مقهور تحت كبريائه تعالى وعظمته، فلا ينبغي أن يرهب إلا منه ولا يرغب إلا فيه، فكأنَّه قيل: قم فأنذر واخصص ربَّك بالتكبير، فلا يصدنَّك شيء عن الإنذار، فتدبَّر.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ تطهير الثياب كنايةٌ عن تطهير النفس عمَّا تُذمُّ به من الأفعال، وتهذيبِها عمَّا يُستهجَنُ مِن الأحوال؛ لأنَّ مَن لا يرضى بنجاسة ما يماسّه، كيف يرضى بنجاسة نفسه، يقال: فلانٌ طاهر الثياب نقيُّ الذيل والأردان: إذا وصف بالنقاء مِن المعايب ومدانس الأخلاق، ويقال: فلان دَنِسُ الثياب، وكذا: دَسِم الثياب: للغادر، ولمن قَبُحَ فعله، ومن الأوَّل قول الشاعر:

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨١، وهو عند ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.

وَيَـحْـيَـى مـا يُـلامُ بـسـوءِ خُـلْـقٍ ... وَيَـحْـيـى طـاهـرُ الأثـواب حُـرٌّ[1]

ومن الثاني قوله:

لاهُـمَّ إنَّ عـامـرَ بـنَ جَـهْـمِ ... أَوْذَمَ حـجًّـا فـي ثـيـابٍ دُسْـمِ[2]

وكلمات جمهورِ السلف دائرةٌ على نحو هذا المعنى في هذه الآية الكريمة، أخرج ابنُ جرير وغيره عن قتادة أنَّه قال فيها: يقول: طهِّرها من المعاصي، وهي كلمةٌ عربيَّة كانت العرب إذا نَكَثَ الرجلُ ولم يَفِ بعهدٍ قالوا: إنَّ فلاناً لدَنِسُ الثياب، وإذا وَفَى وأَصلح قالوا: إنَّ فلاناً لطاهِرُ الثياب[3].

وأخرج ابنُ المنذر عن أبي مالك أنَّه قال فيها: عَنَى نفسَه[4]. وأخرج هو وجماعة عن مجاهد أنَّه قال: أي: وعَمَلك فأصلح[5]. ونحوه عن أبي رزين والسُّدِّيِّ، وأخرج هو أيضاً وجماعة منهم الحاكم وصحَّحه عن ابنِ عباس أنَّه قال: «وثيابك فطهِّر» أي: من الإثم[6]. وفي رواية: من الغَدْر[7]. أي: لا تكن غدَّاراً.

وفي رواية جماعة عن عكرمة: أنَّ ابنَ عباس سُئِلَ عن قوله تعالى: «وثيابك فطهِّر» فقال: لا تَلبسها على غَدْرة ولا فَجْرة، ثم قال: أَلَا تسمعونَ قولَ غيلان بنِ سَلَمة:

---

(١) هكذا أورده القرطبي في التفسير ٢١/ ٣٦٢، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٧١، ولم ينسباه، وأورده المبرِّد في الكامل ١/ ٦١ بلفظ:

ومـابـي أن أكـون أعـيـبُ يـحـيـى ... ويـحـيـى طـاهـرُ الأثـواب بَـرُّ

ونسبه لكُثيِّر.

(٢) ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/ ٤٨١، وابن منظور في اللسان (دسم) ولم ينسباه، قال ابن منظور: يعني أنه حجَّ وهو متدنِّس بالذنوب. وأَوْذَمَ الحجَّ: أوجبه.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٧، والدر المنثور ٦/ ٢٨١ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٨١.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٢٨١، وهو عند الطبري ٢٣/ ٤٠٨.

(٦) الدر المنثور ٦/ ٢٨١، والمستدرك ٢/ ٥٠٦، وهو عند الطبري ٢٣/ ٤٠٧.

(٧) الدر المنثور ٦/ ٢٨١، وعزاه لابن مردويه.

فـإنِّـي بـحَـمْـدِ اللهِ لا ثـوبَ فـاجـرٍ ... لَـبِـسْـتُ ولا مِـن غَـدْرة أتـقـنَّـعُ[1]

ونحوه عن الضحاك وابن جبير. وعن الحسن والقُرَظيِّ[2]: أي: وخُلُقك فحسِّن. وأنشدوا للكناية عن النَّفْس بالثياب قولَ عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْح الطويلِ ثيابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ[3]

وفي رواية عن الحبر وابنِ جبير: أنَّه كنى بالثياب عن القلب، كما في قول امرئِ القيس:

فإنْ تَكُ قد ساءَتْكِ منِّي خَلِيقةٌ ... فَسُلِّي ثيابي مِن ثيابِك تَنْسُلِ[4]

وقيل: كنَّى بها عن الجسم، كما في قول ليلى وقد ذَكَرتْ إبلاً ركبها قومٌ وذهبوا بها:

رَمَوْها بأثواب خِفاف فلا تَرَى ... لها شَبَهاً إلا النَّعامَ المنفَّرا[5]

وطهارة الجسم قد يراد بها أيضاً نحو ما تقدَّم.

ومناسبة هذه المعاني لمقام الدعوة ممَّا لا غبارَ عليه، وقيل على كون تطهيرِ الثياب كنايةً عمَّا مرَّ: يكون ذلك أمراً باستكمال القوَّة العمليَّة[6] بعد الأمر باستكمال القوَّة النظريَّة، والدعاء إليه.

وقيل: إنَّه أَمْرٌ له ﷺ بالتخلُّق بالأخلاق الحسنة الموجبة لقَبول الإنذار بعد أمرِه

---

(١) سلف ١٤/ ٥٥٠.

(٢) في (م): والقرطبي. وهي غير واضحة في الأصل. والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٦١.

(٣) ديوان عنترة ص٢٦، وفيه: الأصم، بدل: الطويل، وهي نسخة بهامش الأصل.

(٤) ديوان امرئ القيس ص١٣.

(٥) البيت ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ١/ ٤٨٦، والعسكري في الصناعتين ص٣٦٥، وأبو حيان في البحر ٨/ ٣٧١، والكلام منه. وقال في شرح هذا البيت: أي: ركبوها فرموها بأنفسهم.

(٦) في (م): العلمية، وهو تصحيف، والمثبت موافق لما في تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٢٧٢.

عليه الصلاة والسلام بتخصيصه ربَّه عزَّ وجلَّ بالتكبير الذي ربَّما يوهم إباءَه خفض الجناح لما سواه عزَّ وجلَّ واقتضاءه عدمَ المبالاة والاكتراث بمن كان، فضلاً عن أعداء الله جلَّ وعلا، فكأنَّ ذِكْره لدَفْع ذلك التوهُّم.

وقيل على تفسير «المدَّثِّر» بالمتدثِّر بالنبوَّة والكمالات النفسانيَّة: المعنى: طهِّر دثارات النبوَّة وآثارها وأنوارها الساطعة مِن مشكاة ذاتك عمَّا يُدنِّسها من الحقد والضجر وقلَّة الصبر.

وقيل: الثيابُ كنايةٌ عن النساء، كما قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وتطهيرهنَّ من الخطايا والمعايب بالوعظ والتأديب، كما قال سبحانه: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقيل: تطهيرهنَّ اختيارُ المؤمنات العفائف منهنَّ. وقيل: وطؤهنَّ في القُبُل لا في الدُّبُر، وفي الطهر لا في الحيض. حكاه ابنُ بحر، وأصل القول فيما أرى بعيدٌ عن السياق، ثم رأيتُ الفخرَ صرَّح بذلك[1].

وذهب جمع إلى أنَّ الثياب على حقيقتها، فقال محمد بن سيرين: أي: اغسلها بالماء إن كانت متنجِّسة. وروي نحوه عن ابنِ زيد، وهو قول الشافعيِّ رضي الله عنه، ومِن هنا ذهب غيرُ واحد إلى وجوب غسل النجاسة مِن ثياب المصلِّي، [2]وقاسوا على ذلك تطهير البدن منها، وكذا المكانِ بجامع المماسَّة على ما قرِّر في موضعه[2]، وأُمرَ ﷺ بذلك على ما روي عن ابنِ زيد مخالفة للمشركين؛ لأنَّهم ما كانوا يصونون ثيابَهم عن النجاسات.

وقيل: أُلقيَ عليه ﷺ سَلَا شاةٍ، فشقَّ عليه، فرجع إلى بيته حزيناً فتدثَّر، فقيل له: «يا أيُّها المدَّثِّر قم فأنذر» ولا تمنعنك تلك السفاهة عن الإنذار، «وربَّك فكبِّر» عن أن لا ينتقمَ منهم، «وثيابك فطهِّر» عن تلك النجاسات والقاذورات.

وإرادةُ التطهير مِن النجاسة للصلاة بدون ملاحظة قصَّة، قيل: خلافُ الظاهر، ولا تُناسِب الجملةُ عليها ما قَبلها إلا على تقدير أن يرادَ بالتكبير التكبير للصلاة.

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ١٩٣.
(٢-٢) ليست في (م).

وبعضُ من فسَّر الثيابَ بالجسم جوَّز إبقاء التطهير على حقيقته، وقال: أُمرَ عليه الصلاة والسلام بالتنظيف وقتَ الاستنجاء؛ لأنَّ العربَ ما كانوا ينظِّفون أجسامهم أيضاً عن النجاسة، وكان كثيرٌ منهم يَبول على عقبه.

(١وقال بعضٌ: الأَمْرُ لمطلق الطَّلَب، فإنَّ تطهيرَ ما ليس بطاهر من الثياب واجبٌ في الصلاة ومحبوبٌ في غيرها١).

وقيل: تطهيرها: تقصيرها، وهو أيضاً أَمْرٌ له عليه الصلاة والسلام برفضِ عادات العرب المذمومة، فقد كانت عادتهم تطويلَ الثياب وجرَّهم الذيول على سبيل الفَخْر والتكبُّر، قال الشاعر:

ثـمَّ رَاحـوا عَـبَـقُ الـمِـسْـكِ بـهـم ... يُـلـحِـفـونَ الأرضَ هُـدَّابَ الأُزُرْ(٢)

وفي الحديث: «إِزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصافِ ساقَيْه، ولا جُناحَ عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفلَ مِن ذلك ففي النار»(٣).

واستعمال التطهير في التقصير مجازٌ؛ للزومه له، فكثيراً ما يُفضي تطويلها إلى جرِّ ذيولها على القاذورات. ومِن الناس مَن جعل التقصيرَ بعد إرادته مِن التطهير كنايةً عن عدم التكبُّر والخُيَلاء، ويكون ذلك أمراً له ﷺ بالتواضع والمداومة على تَرْكِ جرِّ ذيول التكبُّر والخيلاء بعد أَمْره بتخصيص الكبرياء والعظمة به تعالى قولاً واعتقاداً، فكأنَّه قيل: وربَّك فكبِّر، وأنتَ لا تتكبَّر؛ ليتسنَّى لك أَمْرُ الإنذار.

وبعضُ مَن يرى جوازَ الجمع بين الحقيقة والمجاز حَمَلَ التطهير على حقيقته ومجازِه أعني التقصير، والتوصُّلُ إلى إرادة مثل ذلك عند مَن لا يرى جوازَ الجمع سهْلٌ.

(١-١) جاءت هذه العبارة في الأصل بعد قوله السابق: على ما قرِّر في موضعه.
(٢) البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٥٥، ويلحفون الأرض: يُغطُّون الأرض بجرِّ ذيولهم عليها كِبْراً، والهُدَّاب: الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه دون حاشيتيه.
(٣) أخرجه أحمد (١١٠١٠) و(١١٠٢٨)، وأبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٩٦٣٢)، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وجوِّز أن يُراد بالتطهير إزالة ما يُستقذر مطلقاً سواء النجس أو غيره مِن المستقذَر الطاهر، ومنه الأوساخ، فيكون ذلك أمراً له ﷺ بتنظيف ثيابه وإزالة ما يكون فيها مِن وَسَخ وغيره مِن كُلِّ ما يُستقذَر فإنَّه منفِّر لا يَليقُ بمقام البعثة، ويَستلزم هذا بالأَولى تنظيفَ البَدَن مِن ذلك، ولذا كان ﷺ أنظفَ الناس ثوباً وبَدَناً، وربَّما يقال باستلزام ذلك بالأولى أيضاً الأمرَ بالتنزُّه عن المنفِّر القوليِّ والفعليِّ كالفُحْش والفَظَاظة والغِلْظة، إلى غير ذلك، فلا تغفل.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ قال القتبيُّ: «الرُّجْز»: العذاب[1]، وأصله الاضْطِراب، وقد أُقيم مقامَ سببه المؤدِّي إليه مِن المآثم، فكأنَّه قيل: اهجر المآثمَ والمعاصيَ المؤدِّية إلى العذاب، أو الكلام بتقدير مضاف، أي: أسبابَ الرجز، أو التجوُّز في النسبة على ما قيل. ونحو هذا قول ابن عباس: الرُّجْز: السُّخْط. وفسَّر الحسن الرُّجْزَ بالمعصية، والنخعيُّ بالإثم، وهو بيانٌ للمراد.

ولمَّا كان المخاطب بهذا الأمر هو النبيَّ ﷺ وهو البَرِيْءُ عن ذلك، كان مِن باب: إياكِ أعني واسمعي. أو: المراد الدوام والثبات على هَجْر ذلك.

وقيل: «الرُّجْز» اسمٌ لصنمين إساف ونائلة، وقيل: للأصنام عموماً، وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة والزهريِّ، والكلام على ما سمعتَ آنفاً.

وقيل: «الرُّجْز» اسم للقبيح المستقذَر، و«الرُّجْزَ فاهجُر» كلامٌ جامع في مكارم الاخلاق، كأنَّه قيل: اهجر الجفاء والسَّفَه وكلَّ شيءٍ يقبح، ولا تَتخلَّق بأخلاق هؤلاء المشركين. وعليه يحتمل أن يكون هذا أمراً بالثبات على تطهير الباطن بعد الأمر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

وقرأ الأكثرون «الرِّجْزَ» بكسر الراء[2]، وهي لغة قريش، ومعنى المكسور والمضموم واحد عند جمع، وعن مجاهد: أنَّ المضمومَ بمعنى الصَّنَم، والمكسورَ بمعنى العذاب. وقيل: المكسور: النقائص والفجور، والمضموم:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٥.

(٢) التيسير ص٢١٧، والنشر ٢/٣٩٣، وقرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب بضم الراء.

إساف ونائلة. وفي كتاب الخليل: «الرُّجْز» بضمِّ الراء: عبادةُ الأوثان، وبكسرها: العذابُ[1].

ومِن كلام السادة: أي: الدنيا فاترُك. وهو مبنيٌّ على أنَّه أُريد بالرّجز الصنم، والدنيا مِن أعظم الأصنام التي حَالَ حبُّها بين العبد وبين مولاهُ، وعَبَدتُها أكثرُ مَن عبدتِها، فإنَّها تُعبَد في البِيَعِ والكنائس والصوامع والمساجد وغير ذلك، أو: أُريد بالرّجز القبيحُ المستقذَر، والدنيا عند العارف في غاية القُبْح والقَذَارة، فعن الأمير كرَّم الله تعالى وجهه أنَّه قال: الدنيا أحقرُ مِن ذراعِ خنزير ميِّتٍ بالَ عليها كلبٌ في يدِ مجذومٍ. وقال الشافعيُّ:

وما هِيَ إلا جيفةٌ مستحيلةٌ   عليها كلابٌ همُّهنَّ اجتذابها
فإنْ تَجْتنبها كنتَ سلماً لأهلها   وإنْ تجتذبها حاربَتْكَ[2] كلابها

ويقال: كلُّ ما أَلهى عن الله عزَّ وجلَّ فهو رجزٌ يجب على طالب الله تعالى هجرُه، إذ بهذا الهجر ينال الوصال، وبذلك القطع يَحصل الاتصال، ومِن أعظم لاهٍ عن الله تعالى النفسُ، ومن هنا قيل: أي: نفسَك فخالفها، والكلام في كلٍّ ذلك من باب: إيَّاكِ أعني. أو القصد فيه إلى الدوام والثبات كما تقدَّم.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي: ولا تُعْطِ مستكثراً، أي: طالباً للكثير ممَّن تعطيه. قاله ابن عباس، فهو نهي عن الاستغزار، وهو: أن يَهبَ شيئاً وهو يطمع أن يتعوَّض مِن الموهوب له أكثرَ مِن الموهوب، وهذا جائز، ومنه الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة موقوفاً على شريح: المستغزر يُثاب مِن هبته[3]. والأصحُّ عند الشافعية أنَّ النهيَ للتحريم، وأنَّه مِن خواصِّه عليه الصلاة والسلام؛ لأنَّ الله تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام أكملَ الصفات وأشرفَ الأخلاق، فامتنع عليه أن يَهبَ لعوضٍ أكثر. وقيل: هو نهيُ تنزيه للكلِّ.

(١) العين ٦/ ٦٦ (رجز).
(٢) في (م): نازعتك. وهي نسخة بهامش الأصل.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٤٧٤-٤٧٥، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (١٦٥٢٣)، ووكيع في أخبار القضاة ٢/ ٣٥٧، ووقع في مطبوع ابن أبي شيبة: المستعذب، بدل: المستغزر.

أو: ولا تُعْطِ مستكثراً، أي: رائياً لِمَا تعطيه كثيراً، فالسين للوجدان لا للطلب كما في الوجه الأوَّل الظاهر، والنهي عن ذلك؛ لأنَّه نوعُ إعجاب، وفيه بخلٌ خفيٌّ.

وعن الحسن والربيع: لا تمنن بحسناتك على الله تعالى مستكثراً لها ـ أي: رائياً إيَّاها كثيرة ـ فتنقص عند الله عزَّ وجلَّ. وعَدَّ مِن استكثار الحسنات بعضُ السادة رؤيةَ أنَّها حسنات، وعدمَ خشية الرَّدِّ، والغفلةَ عن كونها منه تعالى حقيقةً.

وعن ابن زيد: لا تمنن بما أعطاكَ اللهُ تعالى مِن النبوَّة والقرآن مستكثراً به، أي: طالباً كثيرَ الأجر مِن الناس.

وعن مجاهد: لا تَضعُف عن عملك مستكثراً لطاعتك فتمنن، من قولهم: حَبْلٌ مَنِينٌ، أي: ضعيف. ويتضمَّن هذا المعنى ما أخرجه ابنُ مردويه عن ابن عباس أنَّه قال: أي: لا تَقُلْ: قد دعوتُهم فلم يُقبَل منِّي! عُدْ فادْعُهم.

وقرأ الحسن وابن أبي عبلة: «تَسْتَكْثِرْ» بسكون الراء[١]، وخرِّج على أنَّه جزم، والفعل بدلٌ من «تمنن» المجزوم بـ «لا» الناهية، كأنَّه قيل: ولا تمنن لا تستكثر؛ لأنَّ مِن شأن المانِّ بما يُعطي أن يَستكثره، أي: يراه كثيراً ويعتدَّ به، وهو بدلُ اشتمال، وقيل: بدل كلٍّ مِن كلٍّ على ادِّعاء[٢] الاتِّحاد، وفي «الكشف»: الإبدال مِن «تمنن» على أنَّ المنَّ هو الاعتداد بما أعطى لا الإعطاء نفسه فيه لطيفة؛ لأنَّ الاستكثار مقدِّمة المنِّ، فكأنَّه قيل: لا تستكثر فضلاً عن المَنِّ. وجوّز أن يكون سكونَ وقفٍ حقيقةً، أو بإجراء الوصل مجراه، أو سكونَ تخفيف، على أنْ شبَّه «ثِرْوَ»[٣] بـ «عَضد»، فسكَّن الراء الواقعة بين الثاء وواو «ولربِّك»، كما سكِّنت الضاد، وليس بذاك، والجملة عليه في موضع الحال.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٣٣٧، والبحر ٨/ ٣٧٢.

(٢) تصحفت في (م) إلى: دعاء، والمثبت موافق لما في حاشية الشهاب ٨/ ٢٧٢.

(٣) أي: تأخذ بعضَ «تستكثر» وهو الثاء والراء، وحرف العطف من قوله تعالى: «ولربِّك فاصبر»، فتكون «ثِرْوَ» شبيهة بـ «عضد». الدر المصون ١٠/ ٥٣٧.

وقرأ الحسن أيضاً والأعمش: «تستكثرَ» بالنصب[١] على إضمار «أنْ» كقولهم: مُرْهُ يَحْفِرَها، أي: أن يحفرها، وقوله:

أَلَا أيُّهذا الزاجري أَحْضُرَ الوغى وأن أَشهدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخْلِدي[٢]

في روايةِ نَصْبِ: أَحْضُرَ.

وقرأ ابن مسعود: «أن تَسْتَكْثرَ»[٣] بإظهار «أنْ»، فالمنُّ بمعنى الإعطاء، والكلام على إرادة التعليل، أي: ولا تُعْطِ لأجل أن تستكثرَ، أي: تطلبَ الكثير ممَّن تُعطيه، وأُيِّد به إرادةُ المعنى الأوَّل في قراءة الرفع، وجوَّز الزمخشريُّ في تلك القراءة أن يكون الرفعُ لحذف «أن» وإبطالِ عملها[٤]، كما روي: أَحْضُرُ الوغى. بالرفع. فالجملة حينئذ ليست حاليَّة. وتعقَّبه أبو حيَّان[٥] بأنَّه لا يجوز حَمْلُ القرآن على ذلك، إذ لا يجوز ما ذكر إلا في الشعر، ولنا مندوحة عنه مع صحَّة معنى الحال. ورُدَّ بأنَّ المخالف للقياس بقاءُ عملها بعد حذفها، وأمَّا الحذف والرفع فلا محذورَ فيه، وقد أجازه النحاة، ومنه: تَسمعُ بالمعيدي خيرٌ مِن أن تراه.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ قيل: على أذى المشركين، وقيل: على أداء الفرائض. وقال ابن زيد: على حرب الأحمر والأسود. وفيه بُعْدٌ؛ إذ لم يكن جهادٌ يومَ نزولها. وعن النخعي: على عطيَّتك، كأنَّه وصله بما قبله، وجعله صبراً على العطاء مِن غير استكثار.

والوجه كما قال جارُ الله: أن يكون أمراً بنفس الفعل[٦]. والمعنى: لقَصْدِ جهته تعالى وجانبه عزَّ وجلَّ فاستعمل الصبر، فيتناول ـ لعدم تقدير المتعلّق المفيد للعموم ـ كلّ مصبور عليه مصبور عنه، ويراد الصبر على أذى المشركين؛ لأنَّه فرد

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٧، والبحر ٨/ ٣٧٢.
(٢) البيت لطرفة، وسلف ٢/ ٢٧٧.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤، والبحر ٨/ ٣٧٢.
(٤) الكشاف ٤/ ١٨١.
(٥) البحر المحيط ٨/ ٣٧٢.
(٦) الكشاف ٤/ ١٨١.

من أفراد العامِّ لا لأنَّه وحده هو المراد، وعن ابنِ عباس: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء الفرائض، وله ثلاثُ مئة درجة، وصبر عن محارم الله تعالى وله ستُّ مئة درجة، وصبر على المصائب عند الصدمة الأولى وله تسعُ مئة درجة. وذلك لشدَّته على النفس وعدم التمكُّن منه إلا بمزيد اليقين، ولذلك قال ﷺ: «أسألك من اليقين ما تهوِّن به عليَّ مصائبَ الدنيا»(١).

وذكروا أنَّ للصبر باعتبار حِكَمه أربعةَ أقسام: فَرْض كالصبر عن المحظورات وعلى أداء الواجبات، ونَفْل كالصبر عن المكروهات والصبر على المسنونات، ومكروه كالصبر عن أداء المسنونات والصبر على فعل المكروهات، وحرام كالصبر على من يقصد حريمَه بمحرَّم وترك التعرُّض له مع القدرة، إلى غير ذلك، وتمام الكلام عليه في محلِّه، وفضائل الصبر الشرعيِّ المحمود مما لا تُحصى، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقوله ﷺ: قال الله تعالى: «إذا وجَّهت إلى عبدٍ مِن عبيدي مصيبةً في بَدَنه أو ماله أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبرٍ جميل، استحييت يومَ القيامة أن أنصبَ له ميزاناً، أو أَنشُر له ديواناً»(٢).

﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ أي: نُفخ ﴿فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ في الصُّور، وهو فاعول مِن النَّقْر بمعنى التصويت، وأصله: القَرْع الذي هو سببه، ومنه مِنْقَار الطائر؛ لأنَّه يَقرَعُ به، ولهذه السببيَّة تجوّز به عنه، وشاع ذلك وأُريد به النَّفْخُ؛ لأنَّه نوعٌ منه، والفاء للسببيَّة، كأنَّه قيل: اصبر على أذاهم، فبينَ أيديهم يومٌ هائل يَلقَون فيه عاقبةَ أذاهم، وتَلقى عاقبة صبرك عليه، والعامل في «إذا» ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فالمعنى: إذا نُقرَ في الناقور عَسُرَ الأمر على الكافرين، والفاء في هذا للجزاء، و«ذلك» إشارة إلى وقت النَّقْر المفهوم مِن «فإذا نُقرَ» وما فيه من معنى البُعْد مع قُرْب العهد لفظاً بالمشار إليه؛ للإيذان ببُعْد منزلته في الهول والفظاعة، ومحلُّه

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في الكبرى (١٠١٦١) عن ابن عمر ﵄، بلفظ: «ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصيبات الدنيا». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٠٧-٢٦٠٨، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٦٢) عن أنس ﵁. قال العراقي في تخريج الإحياء ٤/ ٧٠: رواه ابن عدي من حديث أنس بسند ضعيف.

الرفع على الابتداء، و«يومئذ» قيل: بدل منه، مبنيٌّ على الفتح؛ لإضافته إلى غير متمكّن، والخبر «يومٌ عسير» فكأنَّه قيل: فيومُ النَّقْر يومٌ عسير.

وجوِّز أن يكون «يومئذٍ» ظرفاً مستقرًّا لـ «يوم عسير»، أي: صفة له، فلمَّا تقدَّم عليه صار حالاً منه، والذي أجاز ذلك على ما في «الكشاف» أنَّ المعنى: فذلك وَقْتَ النَّقْرِ وقوعُ يومٍ عسير؛ لأنَّ يوم القيامة يأتي ويقع حين يُنقَر في الناقور[1]. فهو على منوال: زمنَ الربيع العيدُ فيه، أي: وقوعُ العيد فيه، ومآله: فذلك الوقوعُ وقوع يوم.. إلخ، وممَّا ذكر يُعلَم اندفاع ما يتوهَّم مِن تقديم معمول المصدر أو معمول ما في صلته على المصدر، إن جعل ظرفَ الوقوع المقدَّر، أو ظرفَ «عسير»، والتصريح بلفظ وقوع إبراز للمعنى وتفصٍّ عن جعل الزمان مظروفَ الزمان برجوعه إلى الحدث، فتدبَّر. وظاهر صنيع «الكشاف» اختيار هذا الوجه، وكذا كلام صاحب «الكشف»؛ إذ قرَّره على أتمِّ وجه، وادَّعى فيما سبق تعسُّفاً، نعم جوّز ـ عليه الرحمة ـ أن يكون «يومئذٍ» معمولَ ما دلَّ عليه الجزاء أيضاً، كأنَّه قيل: فإذا نُقرَ في الناقور عَسُرَ الأمر على الكافرين يومئذٍ.

وأيَّاما كان فـ «على الكافرين» متعلِّق بـ «عسير»، وقيل: بمحذوف هو صفة لـ «عسير»، أو حال مِن المستكن فيه، وأجاز أبو البقاء تعلُّقه بـ «يسير» في قوله تعالى: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾[2]، وهو الذي يقتضيه كلامُ قتادة، وتعقَّبه أبو حيَّان بأنَّه ينبغي أن لا يجوز؛ لأنَّ فيه تقديمَ معمولِ المضاف إليه على المضاف، وهو ممنوع على الصحيح، وقد أجازه بعضهم في «غير» حملاً لها على «لا» فيقول: أنا بزيد غيرُ راضٍ[3].

وزعم الحوفيُّ أنَّ «إذا» متعلِّقة بـ «أنذر»، والفاء زائدة، وأراد أنَّها مفعول به لـ «أنذر»، كأنَّه قيل: قم فأنذرهم وقتَ النَّقْر في الناقور. وقوله تعالى: «فذلك» إلخ جملة مستأنفة في موضع التعليل وهو كما ترى.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨١.

(٢) الإملاء ٤/ ٤٢٨.

(٣) البحر ٨/ ٣٧٢.

وجوّز أبو البقاء تخريجَ الآية على قول الأخفش بأن تكون «إذا» مبتدأً، والخبر «فذلك»، والفاء زائدة، وجعل «يومئذ» ظرفاً لـ «ذلك»، ولا أظنُّك في مِرْيةٍ من أنَّه كلام الأخفش.

وقال بعض الأجلَّة: إنَّ «ذلك» مبتدأ وهو إشارة إلى المصدر، أي: فذلك النَّقْرُ، وهو العامل في «يومئذ»، و«يوم عسير» خبرُ المبتدأ، أو المضافُ مقدَّرٌ، أي: فذلك النَّقْرُ في ذلك اليوم نقرُ يوم، وفيه تكلُّفٌ وعدولٌ عن الظاهر، مع أنَّ عسرَ اليوم غيرُ مقصود بالإفادة عليه، وظاهر السياق قصده بالإفادة.

وجعل العلَّامة الطيبيُّ هذه الآية مِن قبيل ما اتَّحد فيه الشرط والجزاء، نحو: «مَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله»[1] إذ جعل الإشارةَ إلى وقت النَّقْر، وقال: إنَّ في ذلك مع ضمِّ التكرير دلالةً على التنبيه على الخَطْب الجليل والأمر العظيم. وفيه نظر.

وفائدةُ قوله سبحانه: «غيرُ يسير» ـ أي: سهل ـ بعد قوله تعالى: «عسير» تأكيدُ عسره على الكافرين، فهو يمنع أن يكون عسيراً عليهم مِن وجه دون وجه، ويُشعِر بتيسُّره على المؤمنين، كأنَّه قيل: عسيرٌ على الكافرين غيرُ يسير عليهم كما هو يسيرٌ على أضدادهم المؤمنين، ففيه جَمْعٌ بين وعيد الكافرين وزيادةِ غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم، ولا يتوقَّف هذا على تعلُّق «على الكافرين» بـ «يسير»، نعم الأمر عليه أظهرُ كما لا يخفى. ثم مع هذا لا يخلو قلبُ المؤمن مِن الخوف؛ أخرج ابنُ سعد والحاكم عن بهز بنِ حكيم قال: أَمَّنا زرارة بنُ أوفى فقرأ «المدَّثِّر»، فلمَّا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ خرَّ ميتاً، فكنتُ فيمن حَمَله[2]. وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه عن ابنِ عبَّاس، قال: لمَّا نزلت: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾، قال رسولُ الله ﷺ: «كيف أَنْعُم وصاحبُ الصُّوْرِ قد التَقَمَ القَرْنَ وحَنَى جبهتَه يستمع متى يُؤمرَ». قالوا: كيف نقول يا رسولَ الله؟ قال: «قولوا: حسبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل، وعلى الله توكَّلنا»[3].

---

(١) سلف ٢/ ٤١٢.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٢، وطبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠، ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٠٦.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٨٢، وسلف ١٥/ ٥٧٤.

واختُلف في أنَّ المراد بذلك الوقت يومُ النفخة الأولى، أو يومُ النفخة الثانية، ورجِّح أنَّه يوم الثانية؛ لأنَّه الذي يختصُّ عسرُه بالكافرين، وأمَّا وقتُ النفخة الأولى فحُكْمُه الذي هو الإصعاق يعمُّ البَرَّ والفاجر، وهو على المشهور مختصٌّ بمن كان حيًّا عند وقوع النفخة.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ كما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، بل قيل: كونها فيه متَّفق عليه، وهو يقتضي أنَّ هذه السورة لم تنزل جملةً إذ لم يكن أمرُ الوليد وما اقتضى نزولَ الآية فيه في بدء البعثة، فلا تغفل.

و«وحيداً» حال إمَّا مِن الياء في «ذرني» وهو المرويُّ عن مجاهد، أي: ذرني وحدي معه فأنا أغنيك في الانتقام عن كلِّ منتقم، أو مِن التاء في «خلقت»، أي: خلقته وحدي لم يشركني في خَلْقه أحدٌ، فأنا أُهلكه لا أحتاجُ إلى ناصر في إهلاكه، أو من الضمير المحذوف العائد على «مَن» على ما استظهره أبو حيَّان[1]، أي: ومَن خَلقْته وحيداً فريداً لا مالَ له ولا ولدَ.

وجوّز أن يكون منصوباً بـ: أذمّ ونحوه، فقد كان الوليد يلقَّب في قومه بالوحيد، فتهكَّم الله تعالى به وبلَقَبه، أو صرفه عن الغَرَض الذي كانوا يؤمُّونه مِن مدحه والثناء عليه إلى جهة ذمِّه وعيبه، فأراد سبحانه: وحيداً في الخُبث والشرارة، أو: وحيداً عن أبيه؛ لأنَّه كان دَعِيًّا لم يُعرف نسبُه للمغيرة حقيقةً كما مرَّ في سورة «نون»[2].

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ مبسوطاً كثيراً، أو: ممدوداً بالنماء، مِن مدّ النهر، ومدَّه نهرٌ آخَرُ، وقيل: كان له الضرع والزرع والتجارة. وعن ابنِ عباس: هو ما كان بين مكَّة والطائف من الإبل والنَّعم والجِنان والعبيد. وقيل: كان له بستان بالطائف لا تنقطعُ ثماره صيفاً وشتاءً. وقال النعمان بنُ بشير: المال الممدود: هو الأرض؛ لأنَّها مدَّت. وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أنَّه المُستَغلُّ الذي يُجبَى شهراً

---

(١) في البحر المحيط ٨/ ٣٧٣.
(٢) عند تفسير الآية (١٣).

بعد شهر، فهو ممدود لا ينقطع. وعن ابن عباس ومجاهد وابن جبير: كان له ألف دينار. وعن قتادة: ستَّة آلاف دينار. وقيل: تسعة آلاف دينار. وعن سفيان الثوري روايتان: أربعة آلاف دينار، وألف ألف دينار. وهذه الأقوال إن صحَّت ليس المراد بها تعيينَ المال الممدود، وأنَّه متى أُطلق يراد به ذلك، بل بيان أنَّه كان بالنسبة إلى المحدَّث عنه كذا.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضوراً معه بمكَّة يتمتَّع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرُّف في عمل أو تجارة، لكونهم مَكْفيين لوفور نِعمهم وكثرة خَدَمهم. أو: حضوراً في الأندية والمحافل لوجَاهتهم واعتبارهم. أو: تُسمَع شهاداتهم فيما يُتحاكم فيه.

واختلف في عددهم؛ فعن مجاهد أنَّهم عشرة، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة كلُّهم رجال: الوليد بن الوليد وخالد وهشام ـ وقد أسلم هؤلاء الثلاثة ـ والعاص وقيس وعَبد شمس وعُمارة، واختلفت الرواية فيه أنَّه قُتل يوم بدر أو قتله النجاشيُّ؛ لجناية نُسبت إليه في حَرَم المَلِكِ، والروايتان متَّفقتان على أنَّه قُتلَ كافراً، ورواية الثعلبيِّ عن مقاتل إسلامَه لا تصحُّ، ونصَّ ابنُ حجر على أنَّ ذلك غَلَط[1]، وقد وقع في هذا الغَلَط صاحبُ «الكشَّاف» وتبعه فيه مَن تبعه، والعَجَب أيضاً أنَّهم لم يَذكروا الوليد بنَ الوليد فيمَن أسلم، مع أنَّ المحدِّثين عن آخِرهم أَطبقوا على إسلامه.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾﴾ بسطتُ له الرياسةَ والجاه العريض، فأتممتُ عليه نعمَتَي الجاه والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، وأصل التمهيد التسويةُ والتهيئة، وتجوِّز به عن بسطة المال والجاه، وكان لكثرةِ غناه ونضارة حاله الرائقة في الأعين منظراً ومَخبراً يلقَّب بريحانة قريش، وكذا كانوا يلقِّبونه بالوحيد بمعنى المنفرد باستحقاقِ الرياسة. وعن ابن عباس: وسَّعت له ما بين اليمن إلى الشام. وعن مجاهد: مهَّدْت له المالَ بعضه فوق بعض، كما يُمهد الفراش.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ على ما أدَّيته، وهو استبعاد واستنكار لطَمَعه وحِرْصه، إمَّا لأنَّه في غنًى تامٍّ لا مزيدَ على ما أوتي سعةً وكثرة، أو لأنَّه منافٍ لما هو عليه

(١) الإصابة ٨/ ٢٤، القسم الرابع من حرف العين.

مِن كفران النِّعم ومعاندة المُنعِم، وعن الحسن وغيره: أنَّه كان يقول: إن كان محمد صادقاً، فما خُلِقَت الجنَّة إلا لي. واستعمال «ثم» للاستبعاد كثير، قيل: وهو غير التفاوت الرتبي، بل عدّ الشيء بعيداً غير مناسب لما عطف عليه، كما تقول: تُسيء إليَّ ثم ترجو إحساني. وكأن ذلك لتنزيل البُعد المعنويِّ منزلةَ البُعد الزمانيِّ.

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ وزَجْر له عن طَمَعه الفارغ، وقَطْع لرجائه الخائب.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانيًّا لتعليل ما قَبْل، كأنَّه قيل: لم زُجرَ عن طلب المزيد، وما وجهُ عدم لياقته، فقيل: إنَّه كان معانداً لآيات المُنعِم، وهي دلائل توحيده أو الآيات القرآنيَّة، حيث قال فيها ما قال، والمعاندة تناسب الإزالة وتمنع مِن الزيادة، قال مقاتل: ما زال الوليدُ بعد نزولِ هذه الآية في نَقْصٍ من مالِه وولده حتى هَلَك.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ سأُغشيه عَقَبةً شاقَّةَ المَصْعد، وهو مَثَلٌ لمَا يلقى من العذاب الشاقِّ الصعب الذي لا يُطاق، شبَّه ما يسوقه الله تعالى له مِن المصائب وأنواع المشاقِّ بتكليف الصُّعود في الجبال الوَعِرة الشاقَّة، وأطلق لفظه عليه على سبيل الاستعارة التمثيليَّة، وروى أحمد والترمذيُّ والحاكم وصحَّحه وجماعة عن أبي سعيد الخدريِّ مرفوعاً: «الصَّعُود جبلٌ مِن نار يَصَّعَّد فيه سبعينَ خريفاً، ثم يَهوي فيه كذلك أبداً»(١). وعنه ﷺ: «يُكلَّف أن يَصْعَدَ عقبةً في النار كلَّما وَضَع عليها يدَه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رِجْله ذابت فإذا رفعها عادت»(٢).

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ تعليلٌ للوعيد واستحقاقه له، أو بيان لعنادِهِ لآياته عزَّ وجلَّ، فيكون جملة مفسِّرة لذلك لا محلَّ لها من الإعراب، وما بينهما اعتراض. وقيل: الجملة عليه بَدَل مِن قوله تعالى: (إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا) أي: إنَّه فكَّر ماذا يقول في شأنِ القرآن، وقدَّر في نفسه ما يقول.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨٣، وأحمد (١١٧١٢)، والترمذي (٢٥٧٦)، والحاكم ٢/ ٥٠٧ و٤/ ٥٩٦.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٧٣)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٣٩) وغيرهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣١: فيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ تعجيبٌ مِن تقديره وإصابته فيه المحزَّ، ورميه الغَرَض الذي كان ينتحيه قريش، فهو نظير: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] أو ثناءٌ عليه تهكُّماً على نحو: قاتله اللهُ ما أشجعه، أو حكايةٌ لِمَا كرَّروه على سبيل الدعاء عند سماع كلمته الحمقاء، فالعرب تقول: قتله اللهُ ما أشجعه، وأخزاه اللهُ ما أشعره، يريدون أنَّه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يُحسَد ويَدعو عليه حاسدُه بذلك، ومآله ـ على ما قيل ـ إلى الأوَّل وإن اختلف الوجه.

روي أنَّ الوليد بنَ المغيرة جاء إلى النبيِّ ﷺ، فقرأ عليه القرآنَ، فكأنَّه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: يا عمّ إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لكَ مالاً فيعطوكه، فإنَّك أتيتَ محمداً لتصيبَ ممَّا عنده؟ قال: قد علمتْ قريش أنِّي مِن أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يَبلُغ قومَك أنَّك مُنكِر له وأنَّك كارهٌ له. قال: وماذا أقول، فواللهِ ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالشعر منِّي لا بِرَجَزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجِنِّ، واللهِ ما يشبه الذي يقول شيئاً مِن هذا، وواللهِ إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوة، وإنَّ عليه لَطَلاوة، وإنَّه لمُثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنَّه ليعلو ولا يُعلى، وإنَّه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه. قال: دعني حتى أفكِّر. فلمَّا فكَّر قال: ما هو إلا سحرٌ يُؤْثَر. فعجبوا بذلك(١).

وقال محيي السُّنَّة: لما نزل على النبيِّ ﷺ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١-٢] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: ٤] قام النبيُّ ﷺ في المسجد والوليد قريبٌ منه يَسمع قراءتَه، فلمَّا فطنَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام لاستماعه، أعاد القراءةَ، فانطلق الوليدُ إلى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: واللهِ لقد سمعتُ من محمَّد آنفاً كلاماً ما هو مِن كلام الإنس ولا مِن كلام الجِنِّ، إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لَطَلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه ليعلو وما يُعلى. فقالت قريش: صَبأَ واللهِ الوليد، واللهِ لتَصْبأنَّ قريش كلُّهم. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فقعد إليه حزيناً وكلَّمه بما أحماه، فقام فأتاهم، فقال:

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٦/٢-٥٠٧، والبيهقي في دلائل النبوة ١٩٨/٢-١٩٩. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

تزعمون أنَّ محمداً مجنونٌ، فهل رأيتموه يُخنَق، وتقولون: إنَّه كاهن. فهل رأيتموه قطُّ يتكهَّن، وتزعمون أنَّه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً، وتزعمون أنَّه كذَّاب، فهل جرَّبتم عليه شيئاً مِن الكذب. فقالوا في كلِّ ذلك: اللَّهمَّ لا. ثمَّ قالوا: فما هو؟ ففكَّر، فقال: ما هو إلا ساحر، أمَا رأيتموه يفرِّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحرٌ يأثره عن مسيلمة. وعن أهل بابل: فَارْتَجَّ النادي فرحاً، وتفرَّقوا معجبينَ بقوله، متعجِّبين منه[1].

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ تكريرٌ للمبالغة كما هو معتادُ مَن[2] أُعجب غاية الإعجاب، والعطف بـ «ثم» للدلالة على تفاوت الرُّتبة، وأنَّ الثانية أبلغُ مِن الأولى، فكأنَّه قيل: قُتلَ بنوعٍ مّا من القتل، لا بل قُتلَ بأشدِّه وأشدّه، ولذا ساغ العطف فيه مع أنَّه تأكيد، ونحوُه ما في قوله:

ومالِيَ مِن ذَنْبٍ إليهم عَلِمْتُه   سوى أنَّني قد قلتُ يا سَرْحَةُ اسْلَمي
أَلَا يا اسلمي ثم اسْلَمي ثُمَّتَ اسْلَمي   ثلاثُ تحيَّاتٍ وإن لم تكلَّمي[3]

والإطراء في الإعجاب بتقديره يدلُّ على غاية التهكُّم به وبمَن فرح بمحصول تفكيرِه.

وقال الراغب في «غرَّة التنزيل»: كأنَّ الوليد بنَ المغيرة لما سُئلَ عن النبيِّ ﷺ قدَّر ما أتى به مِن القرآن، فقال: إن قلنا: شاعر. كذَّبتنا العرب إذا عَرَضْتُ ما أتى به على الشعر، وكان يَقصدُ بهذا التقدير تكذيبَ الرسول ﷺ بضَرْب من الاحتيال، فلذلك كان كلُّ تقدير مستحقًّا لعقوبة مِن الله تعالى هي كالقتل إهلاكاً له، فالأوَّل لتقديره على الشعر، أي: أُهلك إهلاكَ المقتول كيف قدَّر، وقوله تعالى: (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) لتقديره الآخَر، فإنَّه قدَّر أيضاً وقال: فإنِ ادَّعينا أنَّ ما أتى به مِن كلام الكَهَنة، كذَّبتنا العربُ إذا رَأَوْا هذا الكلام مخالفاً لكلام الكُهَّان، فهو في تقديره له

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٥-٤١٦.
(٢) في حاشية الشهاب ٨/ ٢٧٥: ممن.
(٣) البيتان لحميد بن ثور الهلالي، وهما في ديوانه ص١٣٣، وورد فيه: بلى فاسلمي، بدل: ألا يا اسلمي. والسرحة: أصلها شجرة من العضاه لا شوك لها، وهي هنا كناية عن المرأة.

على كلام الكَهَنة مستحقٌّ مِن العقوبة لِمَا هو كالقتل إهلاكاً له، فجاء ذلك لهذا، فلم يكن في الإعادة تكرار. والأوَّل هو ما ذهب إليه جارُ اللهِ، وجعل الدعاء اعتراضاً[1]، وقال عليه الطيبيُّ: إنَّه ليس مِن الاعتراض المتعارَف الذي يُنحَل لتزيين الكلام وتقريره؛ لأنَّ الفاء مانعةٌ من ذلك، بل هو مِن كلام الغير، ووقع الفاء في تضاعيف كلامِه، فأدخل بين الكلامين المتَّصلين على سبيل الحكاية، ثم قال: وهو متعسّف، وإنَّما سَلَكه؛ لأنَّه جعل الدعاءين مِن كلام الغير، وأمَّا إذا جعلا مِن كلام الله تعالى استهزاءً كما ذكر هو، أو دعاء عليه كما ذهب إليه الراغبُ، وعليه تفسير الواحديِّ ـ على ما قال ونَقَلَ عن صاحب النظم: «فقُتلَ كيف» أي: عُذِّب ولُعنَ كيف قدّر، كما يقال: لأَضربنَّه كيف صنع، أي: على أيِّ حال كانت منه[2] ـ لتكون الأفعال كلُّها متناسقةً مرتَّبةً على التفاوت في التعقيب والتراخي زماناً ورُتبةً كما يقتضيه المقام = كان أحسنَ، وجاء النظم على السَّنن المألوف مِن التنزيل. إلى آخر ما قال، وما تقدَّم أبعد مغزًى، والاعتراض مِن المتعارف، وهو يؤكِّد ما سيقَ له الكلام أحسنَ تأكيد، والفاء غيرُ مانعة على ما نصَّ عليه جارُ الله[3] وغيره، وجعل مِن الاعتراض المقرون بها ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣] ومنه قوله:

واعْلَم فعِلْمُ المرءِ ينفعُه ... أن سوفَ يأتي كلُّ ما قُدِرا[4]

وقد حقّق أنَّه بالحقيقة نتيجةٌ وقعت بين أجزاء الكلام اهتماماً بشأنها فأفادت فائدَة الاعتراض وعدَّت منه، والاعتراض بين قولِه تعالى: «إنَّه فكَّر وقدَّر» وقولِه سبحانه: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ للعطف، و«ثمَّ» فيه وفيما بعد على معناها الوضعيِّ وهو التراخي الزمانيُّ مع مُهلة، أي: ثمَّ فكَّر في أمرِ القرآن مرَّة بعد أُخرى ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطَّب وجهَه لمَّا لم يجد فيه مطعناً وضاقت عليه الحِيَلُ ولم يَدْرِ ماذا يقول.

وقيل: ثم نظر في وجوه القوم، ثم قطَّب وجهه.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٣.
(٢) الوسيط ٤/ ٣٨٣.
(٣) الكشاف ٤/ ١٨٣.
(٤) سلف ١/ ٤٢٨.

وقيل: نظر إلى رسول الله ﷺ، ثم قطَّب في وجهه عليه الصلاة والسلام.

﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: أظهر العبوسَ قَبْلَ أوانه، وفي غير وقته، فالبَسْر: الاستعجال بالشيء، نحو: بَسَرَ الرجلُ الحاجةَ: طَلَبها في غير أوانها، وبَسَر الفحلُ الناقةَ: ضَرَبَها قبل أن تُطلَب، وماءٌ بَسْرٌ: متناوَل مِن غديره قبل سكونه، وقيل للجُبْن[1] الذي يُنكَأ قبل النُّضج: بُسْرٌ، ومنه قيل لِمَا لم يُدرَك من الثمر: بُسْر، وبهذا فسَّره الراغب هنا. وفسَّره بعضهم بأشدِّ العبوس، مِن بَسَر: إذا قبض ما بين عينيه كراهةً للشيءِ، واسودَّ وجهُه منه، ويستعمل بمعنى العبوس، ومنه قول توبة:

قد رابني منها صدودٌ رَأيته وإعراضُها عن حاجتي وبُسُورُها[2]

وقولُ سعد: لمَّا أَسلمتُ راغمتني أمِّي فكانت تلقاني مرَّة بالبشر ومرَّة بالبَسْر. فحينئذٍ يكون ذكر «بَسَر» كالتأكيد لـ «عَبَس»، ولعلَّه مرادُ مَن قال: إتْباعٌ له.

وأهل اليمن[3] يقولون: بَسَر المركبُ وأبسر: إذا وقف. ولم أَرَ مَن جوَّز إرادة ذلك هنا ولو على بُعْد، وفي النفس مِن ثبوت ذلك لغةً صحيحةً توقُّفٌ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ، أو عن رسولِ الله ﷺ ﴿وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ عن اتِّباعه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يُروى ويُتعلَّم مِن سَحَرة بابل ونحوهم. وقيل: أي: يختار ويرجَّح على غيره مِن السحر. وليس بمختار.

والفاء للدلالة على أنَّ هذه الكلمة الحمقاء لما خطرت بباله تفوَّه بها من غير تلعثم وتلبُّث، فهي للتعقيب مِن غير مهلة، ولا مخالفةَ فيه لِمَا مرَّ من الرواية كما لا يخفى.

وقوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ كالتأكيد للجملة الأولى؛ لأنَّ المقصودَ منهما نفي كونه قرآناً ومِن كلام الله تعالى، وإن اختلفا معنًى، ولاعتبار الاتِّحاد في المقصود لم يعطف عليها، وأطلق بعضُهم عليه التأكيد مِن غير تشبيه، والأمر

(١) كذا في الأصل و(م)، وفي المفردات (بسر): للقرح. والكلام منه، ولعلَّه هو الصواب.
(٢) ديوان توبة بن الحميِّر ص٣٤.
(٣) في (م): اليمين.

سهل. وفي وصف أشكاله التي تَشَكَّل بها حتى استنبطَ هذا القولَ السخيف استهزاءٌ به، وإشارةٌ إلى أنَّه عن الحقِّ الأبلج بمعزل، ثم إنَّ الذي يظهر مِن تتبُّع أحوالِ الوليد أنَّه إنما قال ذلك عناداً وحَمِيَّةً جاهليةً لا جهلاً بحقيقة الحال.

وقوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ بدل مِن «سأُرهقه» إلخ بدلَ اشتمالٍ؛ لاشتمال السَّقَر على الشدائد وعلى الجبل من النار، والوصف الآتي لا ينافي الإبدال على إرادة الجبل بناءً على أنَّ المراد به نحو ما في الحديث.

وقال أبو حيَّان: يظهر أنَّهما جملتان اعتقبت كلّ واحدة منهما على سبيل توعُّد العصيان الذي قبل كلِّ واحدة منهما، فتُوعِّد على كونه عنيداً لآيات الله تعالى بإرهاق صعود، وعلى قوله: إنَّ القرآنَ سحرٌ يُؤْثَر. بإصلاء سَقَر[1]. وفيه بحث لا يخفى على مِن أحاط خبراً بما تقدَّم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ أي: أيُّ شيءٍ أَعلمك ما سَقَر؟ على أنَّ «ما» الأولى مبتدأ، و«أدراك» خبره، و«ما» الثانية خبر، لأنَّها المفيدةُ لِمَا قُصِدَ إفادتُه مِن التهويل والتفظيع، و«سقر» مبتدأ، أي: أيُّ شيءٍ هي في وصفها، فإنَّ «ما» قد يطلب بها الوصف، وإن كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة.

وقوله سبحانه: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ بيانٌ لوصفها وحالها، فالجملةُ مفسِّرة أو مستأنفة مِن غير حاجة إلى جعلها خبرَ مبتدإٍ محذوف. وقيل: حال من «سَقَر» والعامل فيها معنى التعظيم، أي: أعظِّمُ سَقَر وأهوِّلُ أمرها حالَ كونها لا تُبقي.. إلخ. وليس بذاك.

أي: لا تبقي شيئاً يُلقَى فيها إلا أهلكته، وإذا هلك لم تَذَرْه هالكاً حتى يعادَ. وقال ابن عباس: «لا تبقي»: إذا أَخذَتْ فيهم لم تُبْقِ منهم شيئاً، وإذا بُدِّلوا خلقاً جديداً لم تَذَر أن تعاودهم سبيلَ العذاب الأوَّل. وروي نحوه عن الضحاك بزيادة: ولكلِّ شيء فترةٌ وملالةٌ إلَّا جهنَّم. وقيل: لا تُبقي على شيءٍ ولا تَدَعه مِن الهلاك، بل كلُّ ما يُطرَح فيها هالك لا محالةَ.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٧٥.

وقال السُّدِّيُّ: لا تُبقي لهم لحماً ولا تَذَرُ عظماً. وهو دون ما تقدَّم.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور: أي: مغيِّرة للبَشَرات مسوِّدة للجلود. وفي بعض الروايات عن بعض بزيادة: محرقة لها[1]. والمراد في الجملة، فـ «لواحة»: مِن لوَّحته الشمسُ: إذا سوَّدت ظاهره وأطرافه، قال:

تــقــولُ مــا لاحــك يــا مــســافِــرُ يــا ابــنــةَ عــمِّــي لاحــنــي الــهــواجِــرُ[2]

والبَشَر: جمع بَشَرة، وهي: ظاهر الجِلْد. وفي بعض الآثار: أنَّها تَلفحُ الجِلْد لفحةً فتدعه أشدَّ سواداً من الليل. واعترض بأنَّه لا يصحُّ وصفها بتسويدها لظاهر الجلود مع قوله سبحانه: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ الصريحِ في الإحراق؟

وأُجيب بأنَّها في أوَّل الملاقاة تسوِّده ثم تحرقه وتهلكه، أو الأوَّل حالها مع مِن دخلها، وهذا حالها مع مَن يَقرُب منها. وأنتَ تعلم أنَّه إذا قيل: لا يحسن وصفها بتسويد ظاهر الجلود بعد وصفها بأنَّها لا تُبقي ولا تَذَر، لم يحسن هذا الجواب، وقد يُجاب حينئذٍ بأنَّ المراد ذِكْر أوصافها المهولة الفظيعة مِن غير قَصْدٍ إلى تَرَقٍّ من فظيعٍ إلى أفظع، وكونُها «لوَّاحة» وصفٌ مِن أوصافها، ولعلَّه باعتبار أوَّل الملاقاة، وقبل الإهلاك، وفي ذِكْره من التفظيع ما فيه؛ لِمَا أنَّ في تسويد الجلود ـ مع قَطْع النظر عمَّا فيه مِن الإيلام ـ تشويهاً للخَلْق ومُثْلَةً للشخص، فهو من قَبيل التتميم، وفي استلزام الإهلاك تسويدَ الجلود تردُّد، وإن قيل به، فتدبَّر.

وجوَّز على تفسير «لوَّاحة» بما ذكر كون «البَشَر» اسم جنس بمعنى الناس، ويرجع المعنى إلى ما تقدَّم.

وقال الحسن وابن كيسان والأصمُّ: «لوَّاحة» بناءُ مبالغةٍ مِن لاح إذا ظهر، و«البَشَر» بمعنى الناس، أي: تَظهر للناس لعِظَمها وهولها، كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ

---

(١) ليست في (م).

(٢) الرجز في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٨٣، والقرطبي ٢١/ ٣٨٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٦٨، والهواجر: جمع هاجرة، وهي شدة الحرِّ في منتصف النهار.

﴿ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] وقد جاء أنَّها تظهر لهم مِن مسيرة خمس مئة عام.

ورفع «لوَّاحة» على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هي لوَّاحة.

وقرأ عطية العوفي وزيد بنُ عليٍّ والحسن وابن أبي عبلة: «لوَّاحةً» بالنصب[1] على الاختصاص للتهويل، أي أخصُّ، أو: أعني، وجوّز أن يكون حالاً مؤكِّدة مِن ضمير «تبقي» أو «تَذَر» بناءً على زَعْم الاستلزام، وأن يكون حالاً مِن «سقر»، والعامل ما مرَّ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ الظاهرُ: مَلَكاً، أَلَا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك، فقد روي عن ابن عباس أنَّها لما نزلت: «عليها تسعة عشر» قال أبو جهل لقريش: ثَكَلَتْكم أمَّهاتُكم! أسمعُ أنَّ ابنَ أبي كبشة يُخبِركم أنَّ خَزَنَةَ النار تسعةَ عَشَر، وأنتم الدَّهْم، أيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أن يَبطشوا برجل منهم؟! فقال له أبو الأشد بنُ أسيد بنِ كلدة الجمحي، وكان شديدَ البطش: أنَا أَكفيكم سبعةَ عَشَر فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يُطاقون، وأنزل سبحانه في أبي جهل: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥].

والظاهر أنَّ المراد بأصحاب النار هم التسعة عشر، ففيه وَضْعُ الظاهر موضعَ الضمير، وكأنَّ ذلك لِمَا في هذا الظاهر مِن الإشارة إلى أنَّهم المدبِّرون لأمرها القائمون بتعذيب أهلها، ما ليس في الضمير، وفي ذلك إيذان بأنَّ المراد بـ «سَقَر» النارُ مطلقاً لا طبقةٌ خاصَّةٌ منها، والجمهور على أنَّ المرادَ بهم النُّقَباء، فمعنى كونهم عليها أنَّهم يتولَّون أمرَها وإليهم جماع زبانيتها، وإلا فقد جاء: «يُؤتَى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف مَلَك يجرُّونها»[2].

وذهب بعضهم إلى أنَّ التمييز المحذوفَ: صنفٌ، وقيل: صفٌّ، والأصل: عليها تسعة عشر صنفاً، أو: عليها تسعة عشر صفًّا، ويُبعده ما تقدَّم في رواية

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤ عن أبي معاذ، والبحر المحيط ٨/ ٣٨٢ والكلام منه.
(٢) سلف عند تفسير الآية (٩١) من سورة الشعراء.

الحبر، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فإنَّ المتبادر أنَّ افتتانهم باستقلالهم لهم واستبعادهم تولِّي تسعةَ عَشَر لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم بذلك، ومع تقدير الصنف أو الصَّفِّ لا يتسنَّى ذلك.

وقال غير واحد في تعليل جعلهم ملائكةً: ليخالفوا جنس المعذَّبين، فلا يَرِقُّوا لهم ولا يستروحوا إليهم، ولأنَّهم أقوى الخَلْق وأَقْوَمُهم بحقِّ الله تعالى وبالغضب له سبحانه، وأشدُّهم بأساً، وفي الحديث: «كأنَّ أعينَهم البرقُ، وكأنَّ أفواهَهم الصياصي، يجرُّون أشعارهم، لهم مِثْلُ قوَّة الثَّقَلين، يُقبِلُ أحدُهم بالأمَّة من الناس يَسوقهم، على رقبته جبلٌ حتى يَرمي بهم في النار، فيرمي بالجبل عليهم»(١)، ولا يَبعد أن يكون في التنوين إشعار إلى عِظَمِ أمرهم.

ومعنى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) إلى آخره على ما اختاره بعض الأجلَّة: وما جعلنا عددَ أصحاب النار إلا العددَ الذي اقتضى فتنةَ الذين كفروا بالاستقلال والاستهزاء وهو التسعة عَشَر، فكأنَّ الأصل: وما جعلنا عدَّتهم إلا تسعةَ عَشَر، فعبَّر بالأثر وهو فتنة الذين كفروا، عن المؤثِّر وهو خصوص التسعة عَشَر؛ لأنَّه ـ كما عُلِمَ ـ السببُ في افتتانهم، وقيل: «إلَّا فتنة للذين» بدل: إلا تسعة عَشَر، تنبيهاً على أنَّ الأثر هنا لعدم انفكاكه عن مؤثِّره لتلازمهما كانا كشيءٍ واحد يُعبَّر باسم أحدهما عن الآخر، ومعنى جَعْلِ عدَّتِهم المطلقةِ العدَّةَ المخصوصةَ أن يخبر عن عددِهم بأنَّه كذا، إذ الجعل لا يتعلَّق بالعدة، إنَّما يتعلَّق بالمعدود، فالمعنى: أَخْبَرْنا أنَّ عدَّتهم تسعةَ عَشَر دون غيرها ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: ليكتسبوا اليقينَ بنبوَّته ﷺ وصِدْقِ القرآن، لأجل موافقة الذِّكرين(٢): ذكرهم في القرآن بهذا العدد وفي الكتابَيْن كذلك، وهذا غيرُ جعلِ الملائكة على العدد المخصوص؛ لأنَّه إيجاد ولا يصحُّ ـ على ما قال بعض المحقِّقين ـ أن يجعل إيجادهم على الوصف علَّةً للاستيقان المذكور؛ لأنَّه ليس إلا للموافقة، وتكلَّف بعضهم لتصحيحه بأنَّ

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، وعزاه لابن مردويه، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٠: لم أجده.

(٢) في (م): المذكورين.

الإيجاد سببٌ للإخبار، والإخبار سبب للاستيقان، فهو سبب بَعيد له، والشيء كما يُسنَد لسببه البعيد يُسنَد لسببه القريب، لكنَّه كما قال: لا يَحسُن ذلك. وإنما احتيج إلى التأويل بالتعبير بالأثَر عن المؤثِّر، ولم يَبقَ الكلام على ظاهره؛ لأنَّ الجعلَ من دواخل المبتدأ والخبر، فما يترتَّب عليه يترتَّب باعتبار نسبة أحد المفعولين إلى الآخر، كقولك: جعلت الفضَّةَ خاتماً لتزيَّن به، وكذلك: ما جعلتُ الفضة إلَّا خاتماً لكذا، ولا معنى لترتُّب الاستيقان وما بعده على جعل عدَّتهم فتنةً للكفَّار، ولا مدخلَ لافتتانهم بالعدد المخصوص في ذلك، وإنَّما الذي له مدخل العدة بنفسها، أي: العدةُ باعتبار أنَّها العدة المخصوصة، والإخبار بها كما سمعت، وليس ذلك تحريفاً لكتاب الله تعالى ولا مبنيًّا على رعاية مذهب باطل، كما توهَّم (١)من توهَّم(١). ومنهم مَن تكلَّف لأمر السببيَّة على الظاهر بما تمجُّه الأسماع، فلا نسوِّد به الرقاع.

وفي «البحر»: «ليستيقن» مفعول من أجله، وهو متعلِّق بـ «جعلنا» لا بـ «فتنة»، فليست الفتنة معلولةً للاستيقان، بل المعلولُ جَعْلُ العدَّةِ سببَ الفتنة[٢].

وفي «الانتصاف»: يجوز أن يرجع قوله تعالى: «ليستيقن» إلى ما قبل الاستثناء، أي: جعلنا عدَّتهم سبباً لفتنة الكفَّار ويقينِ المؤمنين[٣].

وذكر الإمام في ذلك وجهين، الثاني: ما قدَّمناه ممَّا اختاره بعضُ الأجلَّة، والأوَّل: أنَّ التقدير: وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للكافرين وإلا ليستيقنَ الذين أوتوا الكتاب، قال: وهذا كما يقال: فعلت كذا لتعظيمكَ ولتحقير عدوِّك، فالواو العاطفة قد تُذكَر في هذا الموضع تارةً، وقد تحذف أُخرى[٤].

وقال بعض: إنَّه متعلِّق بمحذوف، أي: فعلنا ذلك ليستيقنَ.. إلخ. والكلُّ كما ترى.

(١-١) ليست في (م).

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٧٦.

(٣) الانتصاف ٤/ ١٨٤.

(٤) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٠٥-٢٠٦.

وحَمْلُ «الذين أوتوا الكتاب» على أهل الكتابين ممَّا ذهب إليه جمع، وقيل: المراد بهم اليهود، فقد أخرج ابنُ أبي حاتم وابنُ مردويه والبيهقي في «البعث» عن البَراء: أنَّ رهطاً مِن اليهود سألوا رجلاً مِن أصحاب النبيِّ ﷺ عن خَزَنة جهنَّم، فقال: اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ أعلم، فجاء فأخبرَ النبيَّ ﷺ فنزل عليه ساعتئذٍ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[1]. وأخرج الترمذي وابن مردويه عن جابر قال: قال ناسٌ مِن اليهود لأناس مِن أصحاب النبيِّ ﷺ: هل يَعلَم نبيُّكم عددَ خَزَنة جهنَّم؟ فأخبروا رسولَ الله ﷺ فقال: هكذا وهكذا، في مرَّة: عشرة، وفي مرَّة: تسعة[2]. واستُشْعِرَ مِن هذا أنَّ الآيةَ مدنيَّة؛ لأنَّ اليهودَ إنَّما كانوا فيها، وهو استشعار ضعيف؛ لأنَّ السؤالَ لصحابيٍّ، فلعلَّه كان مسافراً، فاجتمع بيهوديٍّ حيث كان، وأيضاً لا مانع إذ ذاك مِن إتيان بعض اليهود نحو مكَّة المكرَّمة.

ثم إنَّ الخبرين لا يُعيِّنان حَمْلَ الموصول على اليهود كما لا يخفى، فالأَولى إبقاء التعريف على الجنس وشمول الموصول للفريقين، أي: ليستيقنَ أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: يزداد إيمانهم كيفيَّةً بما رَأَوْا مِن تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنَّه كذلك، أو كميَّة بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أُنزل.

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ تأكيدٌ لِمَا قبله مِن الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفيٌ لِمَا قد يعتري المستيقنَ مِن شبهةٍ مّا للغفلة عن بعض المقدِّمات أو طريان ما يتوهَّم كونه معارضاً في أوَّل وهلة، ولِمَا فيه مِن هذه الزيادة جاز عطفُه على المؤكَّد بالواو؛ لتغايرهما في الجملة، وإنَّما لم يُنْظَم المؤمنون في سلْكِ أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يُقَلْ: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيَيْن حالاً، فإنَّ انتفاءَ الارتياب مِن أهل الكتاب مقارِنٌ لِمَا ينافيه مِن الجحود، ومن المؤمنين مقارِنٌ لِمَا يقتضيه مِن الإيمان، وكم بينهما!

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨٣-٢٨٤، والبعث والنشور (٥٠٩).
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٤، والترمذي (٣٣٢٧) وقال: هذا حديث غريب.

وقيل: إنَّما لم يُقَل: ولا يرتابوا، بل قيل: «ولا يرتاب» إلخ؛ للتنصيص على تأكيد الأمرين؛ لاحتمالِ عود الضمير في ذلك على المؤمنين فقط.

والتعبيرُ عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذِكْرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شكٌّ أو نفاق، فيكون ـ بناء على أنَّ السورة بتمامها مكِّية، والنفاق إنَّما حدث بالمدينة ـ إخباراً عمَّا سيحدث مِن المغيَّبات بعد الهجرة ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المصرُّون على التكذيب ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ أي: أيَّ شيءٍ أراد الله تعالى، أو: ما الذي أراده الله تعالى بهذا العدد المستغرَب استغرابَ المَثَل، وعلى الأوَّل «ماذا» منزَّلة منزلةَ اسم واحد للاستفهام في موضع نصب بـ: أراد، وعلى الثاني: هي مؤلَّفة من كلمة «ما» اسم استفهام مبتدأ، و«ذا» اسم موصول خبره، والجملة بعدُ صلةٌ، والعائد فيها محذوف. و«مثلاً» نصب على التمييز، أو على الحال، كما في قوله تعالى: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣].

والظاهر أنَّ ألفاظ هذه الجملة مِن المحكيِّ، وعَنَوا بالإشارة التحقير، وغرضُهم نفيُ أن يكون ذلك مِن عند الله عزَّ وجلَّ على أبلغ وجه، لا الاستفهامُ حقيقةً عن الحكمة، ولا القدحُ في اشتماله عليها، مع اعترافهم بصدور الإخبار بذلك عنه تعالى، وجوّز أن يكون «أرادَ الله» مِن الحكاية، وهم قالوا: ماذا أريد؟ ونحوَه. وقيل: يجوز أن يكون المَثَل بمعناه الآخَر، وهو ما شبّه مَضْرِبُه بِمَوْرِدِه، بأن يكونوا قد عدُّوه لاستغرابه مَثَلاً مضروباً، ونسبوه إليه عزَّ وجلَّ استهزاء وتهكُّماً.

وإفراد قوله بهذا التعليل(١) مع كونه مِن باب فتنتهم، قيل: للإشعار باستقلاله في الشناعة. وفي «الحواشي الشهابيَّة»: إنَّما أُعيدَ اللام فيه للفَرْق بين العلَّتين، إذ

(١) كذا وقعت العبارة في الأصل و(م)، والذي في تفسير أبي السعود ٩/ ٦٠: وإفراد قولهم هذا بالتعليل. وهو الصواب.

مرجع الأولى الهداية المقصودة بالذات، ومرجع هذه الضلال المقصود بالعَرَض الناشئِ مِن سوء صنيع الضالِّين، وتعليلُ أفعاله تعالى بالحِكَم والمصالح جائز عند المحقِّقين، وجوِّز في هذه اللام ـ وكذا الأولى ـ كونها للعاقبة(١).

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ «ذلك» إشارة إلى ما قبله مِن معنى الإضلال والهداية، ومحلُّ الكاف في الأصل النصب على أنَّها صفةٌ لمصدر محذوف، وأصل التقدير: يُضلُّ اللهُ مَن يشاء ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إضلالاً وهدايةً كائنين مِثْلَ ما ذكر مِن الإضلال والهداية، فحذف المصدر وأقيم وصفُه مقامَه، ثم قدِّم على الفعل لإفادة القَصْر، فصار النظم: مِثْلَ ذلك الإضلال وتلك الهداية يضلُّ الله تعالى مَن يشاء إضلاله لصَرْف اختياره حسَب استعداده السَّيِّئ إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله تعالى الناطقة بالهدى، ويهدي مَن يشاء هدايته لصَرْفِ اختياره حسَب استعداده الحسَن عند مشاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى، لا إضلالاً وهداية أدنى منهما، ويجوز أن تكون الإشارة إلى ما بعدُ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] على ما حقِّق في موضعه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جمع: جند، اشتهر في العسكر اعتباراً بالغلظة مِن الجَنَد، أي: الأرض الغليظة التي فيها حجارة، ويقال لكلّ جَمْع، أي: وما يَعلمُ جموعَ خَلْقه تعالى التي مِن جملتها الملائكة المذكورون على ما هم عليه ﴿إِلَّا هُوَ﴾ عزَّ وجلَّ، إذ لا سبيلَ لأحد إلى حَصْر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً، فضلاً عن الاطِّلاع على تفاصيل أحوالها من كمٍّ وكيفٍ ونسبةٍ، وهو ردٌّ لاستهزائهم بكون الخَزَنة تسعةَ عَشَر؛ لجهلهم وجهَ الحكمة في ذلك.

وقال مقاتل: هو جوابٌ لقول أبي جهل: أمَا لربِّ محمَّد أعوان إلا تسعةَ عَشَر؟! وحاصله أنَّه لما قلَّل الأعوان، أُجيب بأنَّهم لا يُحصَون كثرةً، إنَّما الموكَّلون على النار هؤلاء المخصوصون، لا أنَّ المعنى: ما يَعلمُ بقوَّة بَطْشِ الملائكة إلَّا هو، خلافاً للطيبيِّ فإنَّ اللفظ غيرُ ظاهر الدلالة على هذا المعنى.

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٢٧٧.

واختلف في أكثر جنود اللهِ عَزَّ وجلَّ، فقيل: الملائكة، لخبر: «أَطَّتِ السماءُ وحقَّ لها أنْ تَئِطَّ، ما فيها موضع قَدَم إلا وفيه مَلَك قائم أو راكع أو ساجد»[1].

وفي بعض الأخبار: أنَّ مخلوقاتِ البَرِّ عُشْرُ مخلوقات البحر، والمجموع عُشْرُ مخلوقات الجوِّ، والمجموع عُشْر ملائكة السماء الدنيا، والمجموع عُشْرُ ملائكة السماء الثانية، وهكذا إلى السماء السابعة، والمجموع عُشر ملائكة الكرسيِّ، والمجموع عُشْرُ الملائكة الحافِّين بالعرش، والمجموع أقلُّ قليل بالنسبة إلى ما لا يعلمه إلا الله، وقيل: المجموع أقلُّ قليل بالنسبة إلى الملائكة المهيمين الذين لا يعلم أحدَهم أنَّ الله تعالى خَلَق أحداً سواه، والمجموع أقلُّ قليل بالنسبة إلى ما يعلمه سبحانه مِن مخلوقاته[2].

وعن الأوزاعيِّ قال: قال موسى عليه السلام: يا ربِّ، مَن معكَ في السماء؟ قال: ملائكتي. قال: كم عدَّتهم؟ قال: اثنا عشر سِبْطاً. قال: كم عدَّة كلِّ سبط؟ قال: عدد التراب. وفي صحَّة هذا نظر، وإن صحَّ فصدره مِن المتشابه.

وأنا لا أجزمُ بأكثريَّة صنف، فما يَعلمُ جنودَ ربِّك إلا هو، ولم يصحَّ عندي نصٌّ في ذلك، بَيْدَ أنَّه يغلب على الظَّنِّ أنَّ الأكثر الملائكةُ عليهم السلام، وهذه الآية وأمثالها مِن الآيات والأخبار تُشجِّع على القول باحتمال أن يكون في الأجرام العلويَّة جنودٌ مِن جنود الله تعالى لا يَعلمُ حقائقها وأحوالها إلا هو عزَّ وجلَّ، ودائرةُ مِلْكِ الله جلَّ جلاله أعظم مِن أن يُحيط بها نطاق الحَصْر، أو يصل إلى مركزها طائر الفِكْر، فأنَّى وهيهات، ولو استغرقت القوى والأوقات.

هذا، واختلف في المخصِّص لهذا العدد ـ أعني «تسعة عشر» ـ فقيل: إنَّ اختلاف النفوس البشريَّة في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانيَّة الاثنتي عشرة، يعني الحواسّ الخمسة الباطنة، والحواسّ الخمسة الظاهرة، والقوّة الباعثة كالغَضبية والشهويَّة، والقوَّة المحرِّكة، فهذه اثنتا عَشْرة، والطبيعيَّة السبع التي ثلاث منها

---

(١) سلف ٢/ ٨٧.

(٢) سلف عند تفسير الآية (٧) من سورة غافر.

مخدومة، وهي القوَّة النامية والغادية والمولِّدة، وأربع منها خادمة: وهي الهاضمة والجاذبة والدافعة والماسكة. وهذا مع ابتنائه على الفلسفة لا يَكاد يتمُّ كما لا يَخفى على مَن وقف على كتبها.

وقيل: إنَّ لجهنَّم سبعَ دَرَكات، ستٌّ منها لأصناف الكفَّار، وكلُّ صنف يُعذَّب بتَرْك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً مِن العذاب تناسبها، فبضرب السِّتِّ في الثلاثة يحصل ثمانيةَ عَشَر، وعلى كلِّ نوع مَلَكٌ أو صنفٌ يتولَّاه، وواحدةٌ لعُصاة الأمَّة يعذَّبون فيها بتَرْك العمل نوعاً يناسبه، ويتولَّاه مَلَك أو صنفٌ، وبذلك تتمُّ التسعةَ عَشَر. وخصَّت ستٌّ منها بأصناف الكفار وواحدةٌ بأصناف الأُمَّة، ولم يجعل تعذيب الكفَّار في خمس منها، فيبقَ للمؤمنين اثنتان إحداهما لأهل الكبائر والأخرى لأهل الصغائر، أو إحداهما للعصاة منهم والأخرى للعاصيات؛ لأنَّه حيث أُعدَّت النار للكافرين أوَّلاً وبالذات ناسبَ أن يستغرقوها كليَّةً ويوزَّعوا على جميع أماكنها بقَدْر ما يُمكن، لكن لمَّا تعلَّقت إرادته سبحانه بتعذيب عصاةِ الأمَّة بها أفرزت واحدة منها لهم.

وقيل: إنَّ الساعاتِ أربعٌ وعشرون، خمسة منها مصروفةٌ للصلاة، فلم يخلق في مقابلتها زَبانية؛ لبركة الصلاة الشاملة لمن لم يصلِّ، فيبقى تسعة عشر.

وقيل: إنَّ لجهنَّم سَبْعَ دَرَكات، ستٌّ منها لأصناف الكفَّار، وللاعتناء بأمر عذابهم واستمراره ناسب أن يقومَ عليه ثلاثةٌ، واحدٌ في الوسط واثنان في الطرفين، فهذه ثمانيةَ عَشَر، وواحدة منها لعصاة المؤمنين، ناسب أَمْرُ عذابهم أن يقوم عليه واحد، وبه تتمُّ التسعة عَشَر.

وقيل: إنَّ العدد على وجهين: قليل وهو مِن الواحد إلى التسعة، وكثير وهو من العشرة إلى ما لَا نهاية له، فجمع بين نهايةِ القليل وبدايةِ الكثير. وقيل غير ذلك.

والذي مال إليه أكثر العلماء أنَّ ذلك ممَّا لا يعلم حكمته على التحقيق إلا الله عزَّ وجلَّ، وهو كالمتشابه يُؤمَن به ويُفوَّض عِلْمه إلى الله تعالى، وكلُّ ما ذكر ممَّا لا يعوَّل عليه، كما لا يخفى على مَن وجَّه أدنى نَظَره إليه، والله تعالى الهادي لصوب الصواب، والمتفضِّل على مَن شاء بعلمٍ لا شكَّ معه ولا ارتياب.

وقرأ أبو جعفر وطلحة بنُ سليمان: «تسْعَةَ عْشَرَ» بإسكان العين[1]، وهو لغة فيه كراهةَ توالي الحركات فيما هو كاسمٍ واحد.

وقرأ أنس بنُ مالك وابنُ عباس وابنُ قطيب وإبراهيم بن قَتَّة: «تِسْعَةُ» بضمِّ التاء[2]، وهي حركة بناء عدل إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات، ولا يتوهَّم أنَّها حركة إعراب، وإلا لأعرب «عَشَرَ».

وقرأ أنس أيضاً: «تِسْعَةُ» بالضمِّ «أَعْشُرَ» بالفتح[3]، قال صاحب «اللوامح»: فيجوز أنَّه جمع العَشَرة على «أَعْشُر»، ثم أجراه مجرى «تسعة عشر».

وعنه أيضاً: «تسْعَةُ وعْشُرَ» بالضمِّ وقلب الهمزة واواً خالصة[4]؛ تخفيفاً، والتاء فيهما مضمومة ضمةَ بناء لِمَا سمعت آنفاً.

وعن سليمان بن قَتَّة ـ وهو أخو إبراهيم ـ أنَّه قرأ: «تِسْعَةُ أَعْشُرٍ» بضمِّ التاء ضمةَ إعراب، والإضافة إلى «أَعْشُرٍ» وجرِّه منوَّناً[5]، وهو على ما قال صاحب «اللوامح»: جمع عشرة، وقد صرَّح بأنَّ الملائكة على القراءة بهذا الجمع ـ معرباً أو مبنيًّا ـ تسعون مَلَكاً. وقال الزمخشريُّ: جمع: عشير، مثل يمين وأَيْمُن[6]. وروي عنه أنَّه قال: أي: تسعة مِن الملائكة، كلُّ واحد منهم عشير، فهم مع أشياعهم تسعون، والعشير بمعنى العشر، فدلَّ على أنَّ النقباءَ تسعة. وتعقِّب بأنَّ دلالته على هذا المعنى غيرُ واضحة. ولهذا قال ابنُ جنِّي: لا وجهَ لتلك القراءة إلا أن يعني «تِسْعَةَ أَعْشُرٍ» جمع العشير[7]، وهم الأصدقاء، فليراجع.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٨، والبحر ٨/ ٣٧٥.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٣٣٩، والبحر ٨/ ٣٧٥، قال ابن خالويه: قال ابن أبي حاتم: الصواب: تسعةُ اعْشَرَ.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٨٧، والبحر ٨/ ٣٧٥.
(٤) المحتسب ٢/ ٣٣٩، والبحر ٨/ ٣٧٥.
(٥) الكشاف ٤/ ١٨٤، والقرطبي ٢١/ ٣٨٨، والبحر ٨/ ٣٧٦.
(٦) الكشاف ٤/ ١٨٤.
(٧) المحتسب ٢/ ٣٣٩.

﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: سَقَرُ، كما يقتضيه كلام مجاهد ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ إلا تذكرةٌ لهم، والعطف قيل على قوله تعالى: «سأصليه سَقَر»، و«ما جعلنا أصحاب النار» إلى هنا اعتراض. ووَجْهُه أنَّه لمَّا قيل: «عليها تسعة عشر» زيادةً في تهويل أمْرِ جهنَّم عقّب بما يؤكِّد قوَّتهم وتسلُّطهم وتباينهم بالشِّدَّة عن سائر المخلوقات، ثم بما يؤكِّد الكميَّة، وما أكَّد المؤكّد فهو مؤكّد أيضاً.

وقيل: الضمير للآيات الناطقة بأحوال سَقَر.

وقيل: لعدَّة خَزَنتها، والتذكير والعظة فيها مِن جهة أنَّ في خَلْقه تعالى ما هو في غاية العظمة حتى يكون القليل منهم معذِّباً ومُهْلِكاً لِمَا لا يُحصى دلالةً على أنَّه عزَّ وجلَّ لا يُقدَر حقَّ قَدْره، ولا تُوصف عظمته، ولا تصل الأفكار إلى حرم جلاله.

وقيل: الضمير للجنود. وقيل: لنار الدنيا، وهذا أضعف الأقوال، وأقواها ـ على ما قيل ـ ما تقدّم.

وبين البشر هاهنا والبشر فيما سبق ـ أعني قوله تعالى: «لوَّاحة للبشر» على تفسير الجمهور ـ تجنيسٌ تامٌّ لفظيٌّ وخطّيٌّ، وقلَّ مَن تذكَّر له.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لِمَن أنكرها، وقيل: زجرٌ عن قول أبي جهل وأصحابِه أنَّهم يقدرون على مقاومة خَزَنة جهنَّم. وقيل: ردعٌ عن الاستهزاء بالعدَّة المخصوصة. وقال الفرَّاء: هي صلة للقَسَم. وقدَّرها بعضهم بـ: حقًّا، وبعضهم بـ «ألا» الاستفتاحيَّة، وقال الزمخشري: إنكارٌ ـ بعد أن جعلها سبحانه ذكرى ـ أن يكون لهم ذكرى[1]. وتعقَّبه أبو حيَّان بأنَّه لا يسوغ في حقِّه تعالى أن يخبر أنَّها ذكرى للبشر، ثم يُنكِر أن يكون لهم ذكرى[2].

وأجيب بأنَّه لا تناقضَ؛ لأنَّ معنى كونها ذكرى أن شأنها أن تكون مذكِّرةً لكلِّ أحد، ومن لم يتذكَّر ـ لغلبة الشقاء عليه ـ لا يُعَدُّ من البشر ولا يُلتفَت لعدم تذكُّره،

(١) الكشاف ٤/ ١٨٦.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٧٨.

كما أنَّ حلاوة العسل لا يضرُّها كونها مُرَّةً في فمِ منحرفِ المزاج المحتاج إلى العلاج.

وحالُ حُسْنِ الوقف على «كلَّا» وعدمِ حسنه هنا يُعلَم مِن النظر إلى المراد بها، وصرَّح بعضهم بذلك، فقال: إن كانت متعلِّقة بالكلام السابق يحسن الوقف عليها، وإن كانت متعلِّقة بالكلام اللاحق لا يَحسُن ذلك، أي: كما إذا كانت بمعنى «أَلَا» الاستفتاحيَّة، فالوقف حينئذ تامٌّ على «للبشر»، ويستأنف «كلَّا».

﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: ولَّى، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابنُ يعمر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وقتادة وعمر بنُ عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويَّان والابنان وأبو بكر: «إذا» ظرف زمان مستقبل، «دَبَرَ» بفتح الدال[1]، وهو بمعنى أدبر المزيد، ك: قبل وأقبل، والمعروف المزيد، وحسَّن الثلاثيَّ هنا مشاكلةُ أكثر الفواصل، وقيل: «دَبَرَ» مِن دَبَرَ الليلُ النهار: إذا خَلَفَه، والتعبير بالماضي مع «إذا» التي للمستقبل للتحقيق، ويجوز أن يقال: إنَّها تقلبه مستقبلاً.

وقرأ أبو رزين وأبو رجاء والأعمش ومطر ويونس بنُ عبيد، وهي رواية عن الحسن وابن يعمر والسلمي وطلحة: «إذ» بالألف «أدبر» بالهمز[2]، وكذا هو في مصحف عبد الله وأُبَيٍّ، وهو أنسب بقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: أضاء وانكشف على قراءة الجمهور، وقرأ ابن السميفع وعيسى بن الفضل: «سَفَرَ» ثلاثيًّا[3]، وفسِّر بطَرْح الظلمة عن وجهه.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ جواب للقَسَم، وجوّز أن يكون «كلَّا» ردعاً لمن يُنكِر أن تكون إحدى الكبرى؛ لِمَا عُلمَ مِن أنَّ «إنَّ» واللام مِن الكلام الإنكاري في جواب منكِر مصرٍّ، وهذا تعليل لـ «كلَّا»، والقَسَم معترِضٌ للتأكيد لا جواب له، أو جوابه مقدَّر يدلُّ عليه «كلَّا»، وفي التعليل نوعُ خفاء، فتأمَّل.

---

(١) التيسير ص٢١٦، والنشر ٢/ ٣٩٣، والبحر ٨/ ٣٧٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٧٨، والكلام منه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٩٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٧٧.

وضمير «إنَّها» لـ «سقر»، و«الكُبَر» جمع: الكُبرى، جعلت ألف التأنيث كتائها، فكما جمعت فُعْلَة على فُعَل جمعت فُعْلَى عليها، ونظيرها: السوافي في جمع السافِياء[1]، والقواصع في جمع القاصِعَاء[2]، فإنَّ فاعلة تُجمَع على فواعل باطِّرادٍ، لا فاعلاء، لكن حُمل فاعلاء على فاعلة؛ لاشتراك الألف والتاء في الدلالة على التأنيث وضعاً، فجمع فيهما على فواعل، وقول ابن عطية: «الكُبَر» جمع: كبيرة[3]. وهمٌ كما لا يخفى.

أي: إنَّ سَقَر لإحدى الدواهي الكُبَر، على معنى إنَّ البلايا الكبيرة كثيرةٌ، و«سَقَر» واحدة منها، قيل: فيكون في ذلك إشارة إلى أنَّ بلاءَهم غيرُ محصور فيها، بل تحلُّ بهم بلايا غيرُ متناهية. أو: إنَّ البلايا الكبيرةَ كثيرةٌ، و«سَقَر» مِن بينهنَّ واحدة في العِظَم لا نظيرَ لها، وهذا كما يقال: فلانٌ أَحَدُ الأحدين، وهو واحد الفضلاء، وهي إحدى النساء، وعلى هذا اقتصر الزمخشريُّ[4]، ورجَّح الأوَّل بأنَّه أنسب بالمقام، ولعلَّه لِمَا تضمَّن مِن الإشارة.

وقيل: المعنى: إنَّها لإحدى دَرَكات النار الكُبَر السبع؛ لأنَّها جهنَّم ولَظَى والحُطَمَة وسَقَر والسعير والجحيم والهاوية. ونقل عن صاحب «التيسير»، وليس بذاك أيضاً.

وقيل: ضمير «إنَّها» يحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة؛ قال في «البحر»: فهو للحال والقصَّة[5]. وقيل: هو للساعة، فيعود على غير مذكور.

وقرأ نصر بنُ عاصم وابنُ محيصن ووهب بنُ جرير عن ابن كثير: لـ «إحْدَى الكُبَر» بحذف همزة إحدى[6]، وهو حذف لا ينقاس، وتخفيف مثل هذه الهمزة أن تُجعَلَ بَيْنَ بَيْنَ.

---

(١) وهي: الغبار، أو ريح تحمل تراباً. القاموس (سفي).

(٢) وهو: جُحْر لليربوع يدخله. القاموس (قصع).

(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٩٧.

(٤) الكشاف ٤/١٨٦.

(٥) البحر المحيط ٨/٣٧٨.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٥، والبحر المحيط ٨/٣٧٨.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ قيل: تمييز لـ «إحدى الكُبَر» على أنَّ «نذيراً» مصدر بمعنى إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار، أي: إنَّها لإحدى الكبر إنذاراً، والمعنى على ما سمعت عن الزمخشريِّ: إنَّها لأعظم الدواهي إنذاراً، وهو كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً. وقال الفرَّاء: هو مصدر نُصبَ بإضمار فعل، أي: أنذر إنذاراً(١).

وذهب غير واحد إلى أنَّه اسم فاعل بمعنى مُنذِرةً، فقال الزجَّاج: حال من الضمير في «إنَّها»(٢)، وفيه مجيءُ الحال مِن اسم «إنَّ»، وقيل: حال مِن الضمير في «لإحدى». واختار أبو البقاء كونه حالاً ممَّا دلَّت عليه الجملة، والتقدير: عظمت أو كَبُرَتْ نذيراً(٣)، وهو على ما قال أبو حيَّان: قولٌ لابأس به(٤). وجوّزت هذه الأوجه على مصدريَّته أيضاً بتأويله بالوصف، وقال النحَّاس: حذفت الهاء من «نذيراً» وإن كان للنار على معنى النسب، يعني ذات إنذار. وقد يقال في عدم إلحاق الهاء فيه غيرُ ذلك ممَّا قيل في عدم إلحاقها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال أبو رزين: المراد بالنذير هنا هو الله تعالى، فهو منصوب بإضمار فعل، أي: ادْعُ نذيراً أو نحوه.

وقال ابن زيد: المراد به النبيُّ ﷺ، قيل: فهو منصوب بإضمار فعل أيضاً، أي: نادِ، أو: بَلِّغ، أو: أَعلِن، وهو كما ترى، ولو جعل عليه حالاً مِن الضمير المستتر في الفعل لكان أولى، وكذا لو جعل منادى، والكلام نظير قولك: إنَّ الأمر كذا يا فلان، وقيل: إنَّه على هذا حال من ضمير «قم» أوَّل السورة، وفيه خَرْم النظم الجليل، ولذا قيل: هو مِن بِدَع التفاسير.

وقرأ أُبَيٌّ وابنُ أبي عبلة: «نذيرٌ» بالرفع، على أنَّه خبر بعد خبر لـ «إنَّ»، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هي نذير على ما هو المعوَّل عليه مِن أنَّه وصف النار، وأمَّا

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٠٥بنحوه، والكلام من البحر المحيط ٨/ ٣٧٩.
(٢) معاني القرآن ٥/ ٢٤٩.
(٣) الإملاء ٤/ ٤٢٩.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٧٩.

على القول بأنَّه وصف الله تعالى أو الرسول ﷺ فهو خبرٌ لمحذوف لا غير، أي: هو نذير.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ الجارُّ والمجرور بدل من الجارِّ والمجرور فيما سبق، أعني: «للبشر»، وضمير «شاءَ» للموصول، أي: نذيراً للمتمكِّنين منكم مِن السبق إلى الخير والتخلُّف عنه. وقال السُّدِّيُّ: أَنْ يتقدَّم إلى النار المتقدِّم ذِكْرُها أو يتأخَّر عنها إلى الجنَّة. وقال الزجَّاج: أنْ يتقدَّم إلى المأمورات، أو يتأخَّر عن المنهيَّات[1]. وفسَّر بعضُهم التقدُّم بالإيمان والتأخُّر بالكفر. وقيل: ضمير «شاء» تعالى، أي: نذيراً لمن شاء الله تعالى منكم تقدُّمه أو تأخُّره.

وجوّز أن يكون «لمن» خبراً مقدّماً، و«أن يتقدَّم أو يتأخَّر» مبتدأ، كقولك لِمَنْ توضّأ أن يصلِّي. ومعناه: مطلَق لمَنْ شاء التقدُّم ـ أي: السبق إلى الخير ـ أو التأخُّر، أي: التخلُّف عنه، أن يتقدَّم أو يتأخَّر، فيكون كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]. ولا يخفى أنَّ اللفظ يحتمله، لكنَّه بعيد جدًّا.

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مرهونة عند الله تعالى بكَسْبها، والرهينة مصدرٌ بمعنى الرَّهْن، كالشتيمة بمعنى الشَّتْم، لا صفة، وإلا لقيل: رهين؛ لأنَّ فعيلاً بمعنى مفعول لا يَدخله التاء، ويستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث، ومنه قول عبد الرحمن بنِ زيد، وقد قُتلَ أبوه وعُرِضَ عليه سَبْع دِيَاتٍ، فأبى أن يأخذها:

أبعدَ الذي بالنَّعْفِ[2] نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رهينة رَمْسٍ ذي تراب وجَندلِ
أُذكَّر بالبُقْيا على مَن أصابني وبُقيَاي أنّي جاهدٌ غير مؤتَلِ[3]

واختير على رهين مع موازنته لليمين وعدم احتياجه للتأويل؛ لأنَّ المصدر هنا أبلغ، فهو أنسب بالمقام، فلا يلتفت للمناسبة اللفظيَّة فيه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٩.
(٢) جاء في هامش الأصل: النعف: ما استقبلك من الوادي. انتهى منه.
(٣) جاء في هامش الأصل: هو من باب عتابه السيف. انتهى منه. والبيتان في الحماسة البصرية ١/ ٢١٧، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥٨، والأغاني ٥/ ١٠٤، والرمس: القبر، والجندل: الحجارة.

وقيل: الهاء في «رهينة» للمبالغة. واختار أبو حيَّان[1] أنَّها ممَّا غلب عليه الاسميَّة كالنطيحة، وإن كانت في الأصل فعيلاً بمعنى مفعول، وهو وجه أيضاً، وادَّعى أنَّ التأنيثَ في البيت على معنى النفس.

﴿إِلَّا أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ وهم المسلمون المخلصون، كما قال الحسن وابنُ كيسان والضَّحَّاك، ورواه ابنُ المنذر عن ابنِ عبَّاس، فإنَّهم فاكُّون رقابهم بما أَحسنوا مِن أعمالهم، كما يَفُكُّ الراهنُ رهنَه بأداء الدين.

وأخرج ابنُ المنذر وابنُ جرير وجماعة عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهَه أنَّهم أطفال المسلمين[2]، وأخرجوه أيضاً عن ابنِ عمر ﷺ[3].

ونقل بعضهم عن ابن عباس أنَّهم الملائكة فإنَّهم غيرُ مرهونين بديون التكاليف كالأطفال. وتعقِّب بأن إطلاق النفس على المَلَك غيرُ معروف، وبأنَّهم لايُوصفون بالكسب أيضاً، على أنَّ الظاهر سباقاً وسياقاً أن يُراد بهم طائفةٌ من البشر المكلَّفين، والكثير على تفسيرهم بما سمعتَ. وقيل: هم الذين سَبَقت لهم من الله الحُسنى. وقيل: الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يومَ الميثاقِ، وقيل: الذين يُعطَون كتبهم بأيمانهم. ولا تَدافُع بين هذه الأقوال كما لا يخفى، والاستثناء على ما تقدَّم ـ وكذا هذه الأقوال ـ متَّصل، وأمَّا على قول الأمير كرَّم الله تعالى وجهه، وما نقل عن ابنِ عمِّه، فقال أبو حيَّان: هو استثناء منقطع[4]. وقيل: يجوز الاتصال والانقطاع بناءً على أنَّ الكسبَ مُطلَق العمل، أو ما هو تكليف، فلا تغفل.

﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والتنوين للتعظيم، والجملة استئناف وقعَ جواباً عن سؤال نشأ ممَّا قبله مِن استثناء «أصحاب اليمين»، كأنَّه قيل: ما بالهم؟ فقيل: هم في جنَّات لا يُكتَنَهُ كُنْهها ولا يُدرَك وصفُها.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٧٩.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٩-٤٥٠، وهو عند ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٨٥، والحاكم ٢/ ٥٠٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، ونسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة [١٣/ ٣٢٥]، وابن المنذر.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٧٩.

وجوّز أن يكون الظرفُ في موضع الحال مِن أصحاب اليمين، أو مِن ضميرهم في قوله تعالى: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠﴾ قدِّم للاعتناء مع رعاية الفاصلة، وقيل: ظرف للتساؤل، وليس المراد بتساؤلهم أن يَسأَلَ بعضُهم بعضاً على أن يكون كلُّ واحد منهم سائلاً ومسؤولاً معاً، بل وقوع السؤال منهم مجرَّداً عن وقوعه عليهم، فإنَّ صيغةَ التفاعل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدِّد[1] ووقوعه عليه معاً بحيث يصير كلُّ واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً، كما في قولك: تشاتمَ القومُ، أي: شتم كلُّ واحد منهم الآخَر. لكنها قد تجرَّد عن المعنى الثاني ويُقصَد بها الدلالة على الأوَّل فقط ويكون الواقع عليه شيئاً آخَر، كما في قولك: تَرَاءوا الهلالَ. قال جار الله[2]: إذا كان المتكلِّم مفرَداً يقول: دعوته. وإذا كان جماعةً يقول: تداعيناه. ونظيره: رميته وتراميناه، ورأيتُ الهلال وتَرَاءيناهُ، ولا يكون هذا التفاعل مِن الجانبين، وعلى هذا فالمسؤول محذوف، أعني: المجرمين، والتقدير: يتساءلون المجرمينَ عنهم، أي: يسألون المجرمينَ عن أحوالهم، فغيِّر إلى ما في النظم الجليل، وقيل: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١﴾ والمعنى على ذلك، وحذف المسؤول لكونه غيرَ المسؤول عنه.

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢﴾ بيانٌ للتساؤل مِن غير حاجة إلى إضمار قول، أو هو مقدَّر بقول وقع حالاً مِن فاعل «يتساءلون»، أي: يسألونهم قائلين: أيُّ شيءٍ أدخلكم في سَقَر.

وقيل: المسؤول غيرُ المجرمين كجماعة مِن الملائكة عليهم السلام، و«ما سلككم» إلخ حكاية قول المسؤولين عنهم، أي: لمَّا سأل أصحابُ اليمين الملائكةَ عن حال المجرمين، قالوا لهم: نحن سألنا المجرمين عن ذلك، وقلنا لهم: «ما سلككم في سقر» إلى الآخِر، وكان يكفيهم أن يقولوا: حالهم كيتَ وكيتَ، لكن أتى بالجواب مفصَّلاً حسبما سألوه ليكون أثبتَ للصدق وأدلَّ على حقيقة الأمر، ففي الكلام حذف واختصار.

---

(١) في (م): المتعدي، والمثبت موافق لمَا في تفسير أبي السعود ٩/ ٦١، والكلام منه.
(٢) الكشاف ٤/ ١٨٧بنحوه.

وجوِّز أن تكون صيغةُ التفاعل على حقيقتها، أي: يسأل بعضُهم بعضاً عن المجرمين، و«ما سلككم» حكاية قول المسؤول عنهم أيضاً، ولا يخفى ما في اعتبار الحكاية من التكلُّف، فليس ذاك بالوجه وإن كان الإيجاز نهج التنزيل والحذف كثيراً في كلامه تعالى الجليل.

والظاهر أنَّ السؤال سؤالُ توبيخ وتحسير، وإلا فهم عالمون ما الذي أَدخلهم النارَ، ولو كانوا الأطفالَ فيما أظنُّ؛ لانكشاف الأمر ذلك اليوم.

وروى عبد الله بنُ أحمد وجماعة عن ابنِ الزبير أنَّه يقرأ: «يتساءلون عن المجرمين يا فلانُ ما سَلَكَكم»، ورويت عن عمر أيضاً[1]، وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عن ابن مسعود أنَّه قرأ: «يا أيُّها الكفَّار ما سَلَكَكم في سَقَر»[2].

﴿قَالُوا﴾ أي: المجرمون مجيبينَ للسائلين: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ للصلاة الواجبة ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: نعطيه ما يجب إعطاؤه، والمعنى على استمرار النفي لا نفي الاستمرار.

واستُدلَّ بالآية على أنَّ الكفَّار مخاطبون بفروع العبادات؛ لأنَّهم جعلوا عذابَهم لترك الصلاة، فلو لم يُخاطَبوا بها لم يُؤاخَذوا، وتفصيل المسألة في الأصول. وتعقّب هذا الاستدلال بأنَّه لا خلافَ في المؤاخذة في الآخِرة على تَرْكِ الاعتقاد، فيجوز أن يكون المعنى: من المعتقدين للصلاة ووجوبِها، فيكون العذاب على تَرْك الاعتقاد. وأيضاً «المصلِّين» يجوز أن يكون كنايةً عن المؤمنين. وأيضاً ذاك مِن كلام الكفرة، فيجوز كذبهم أو خطؤهم فيه؟ وأُجيبَ بأنَّ ذلك عدولٌ عن الظاهر يأباه قولُه تعالى: «ولم نَكُ نُطعِم» إلخ، والمقصود مِن حكاية السؤالِ والجوابِ التحذيرُ، فلو كان الجوابُ كذباً أو خطأً، لم يكن في ذِكْره فائدة.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، ونسبه لعبد الرزاق [في التفسير ٢/ ٣٣١]، وعبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن أبي داود في المصاحف [١/ ٢٨٩ و٣٦٢]، وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٥ بلفظ: «يا أيها المرء ما سلكك»، والنحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧٣ بلفظ: «ما سلكك» بالإفراد، وقال: وهذه القراءة على التفسير، والإسناد بها صحيح.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٥، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص١٨٧.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥﴾ أي: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه، والخوض في الأصل ابتداءُ الدخول في الماء والمرور فيه، واستعماله في الشروع في الباطل مِن المجاز المُرسَل أو الاستعارة، على ما قرَّروه في المِشْفَر[1] ونحوه، وعن بعضهم أنَّه اسمٌ غالب في الشَّرِّ، وأكثر ما استعمل في القرآن بما يُذَمُّ الشروع فيه. وأُريد بالباطل ما لا ينبغي من القول والفعل، وعُدَّ من ذلك حكاية ما يَجري بين الزوجين في الخلوة مثلاً، وحكاية أحوال الفَسَقة بأقسامهم على وجه الالتذاذ والاستئناس بها، ونَقْل الحروب التي جرت بين الصحابة ﷺ لغير غرض شرعيٍّ بل لمجرَّد أن يتوصَّل به إلى طعنٍ وتنقيص، والتكلُّم بالكلمة يُضحِكُ بها الرجلُ جلساءَه، سواء كانت مباحةً في نفسها أم لا، نعم التكلُّم بالكلمة المحرَّمة لذلك باطل على باطل. إلى غير ذلك ممَّا لا يُحصَى، وكأنَّ ذكر «مع الخائضين» إشارة إلى عدم اكتراثهم بالباطل ومبالاتهم به، فكأنَّهم قالوا: وكنا لا نبالي بباطل.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦﴾ أي: بيوم الجزاء، أَضافوه إلى الجزاء مع أنَّ فيه مِن الدواهي والأهوال ما لا غايةَ له؛ لأنَّه أدهاها وأهولها، وأنَّهم ملابسوه، وقد مضت بقيَّة الدواهي، وتأخيرُ جنايتهم هذه مع كونها أعظمَ من الكُلِّ؛ لتفخيمها، كأنَّهم قالوا: وكنَّا بعد ذلك كلِّه مكذِّبين بيوم القيامة، ولبيان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جناياتهم المعدودة مستمرًّا إلى آخِر عمرهم حسبما نطق به قولهم: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧﴾ أي: الموت ومقدِّماته، كما ذهب إليه جلُّ المفسِّرين، وقال ابن عطيَّة: اليقين عندي صحَّة ما كانوا يكذِّبون به مِن الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة، وقول المفسِّرين: هو الموت، متعقَّب عندي؛ لأنَّ نفسَ الموت يقينٌ عند الكافر وهو حيٌّ، فلم يريدوا باليقين إلا الشيء الذي كانوا يكذِّبون به وهم أحياء في الدنيا فتيقَّنوه بَعْدَ الموت[2]. انتهى. وفيه نظر!

ثم الظاهر أنَّ مجموع ما ذكروه سببٌ لدخولِ مجموعهم النار، فلا يضرُّ في ذلك أنَّ مِن أهل النار مَن لم يكن وجب عليه إطعام مسكين، كفقراء الكَفَرة

---

(١) المِشْفَر للبعير كالشفة لكَ، وقد يستعمل في الناس. القاموس (شفر).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩.

المعدَمين، وفي «الكشاف»[(١)]: يحتمل الكلام أن يكون دخولُ كلٍّ منهم النارَ لمجموع الأربعة، ويحتمل أن يكون دخولُ بعضهم لبعضها كأن يكون ذلك لمجرَّد تَرْكِ الصلاة أو تَرْك الإطعام. وفيه دسيسةُ اعتزال، وهو تخليدُ مرتكبِ الكبيرة من المؤمنين ـ كتارك الصلاة ـ في النار وأنتَ تعلم أنَّ الآيةَ في الكفَّار لا في أعمَّ منهم.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لو شفعوا لهم جميعاً، فالكلام على الفَرَض، واشتُهر أنَّه من باب:

ولا تـرى الـضَّـبَّ بـهـا يـنـجـحـر[(٢)]

وحَمْلُ التعريف على الاستغراق أبلغُ وأنسب بالمقام.

والفاء في قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ لترتيب إنكار إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قَبلها مِن موجبات الإقبال عليه والاتِّعاظ به مِن سوء حال المكذِّبين، و«معرضين» حال لازمة من الضمير في الجارِّ الواقع خبراً لـ «ما» الاستفهاميَّة، أعني: «لهم»، وهي المقصودة مِن الكلام، و«عن» متعلِّقة بها، والتقديم للعناية مع رعاية الفاصلة، أي: فإذا كان حال المكذِّبين به على ما ذكر، فأيُّ شيءٍ حصل لهم معرضينَ عن القرآن، مع تعاضد موجبات الإقبال عليه، وتآخُذِ الدواعي إلى الإيمان به. وجوّز أن يراد بالتذكرة ما يعمُّ القرآن، وما بعدُ يرجِّح الأوَّلَ، وهو مصدر بمعنى التذكير أُطلق على ما ذكر مبالغة.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ حال من المستكن في «معرضين» بطريق التداخل، والحُمر جمع حمار، والمراد به كما قال ابن عباس: حمار الوَحْش؛ لأنَّه بينهم مَثَلٌ بالنفار وشدَّة الفرار، و«مستنفرة» مِن استنفر بمعنى نَفَر، كعَجِب واسْتَعْجَب، كما قيل، والأحسن أن استَفْعَلَ للمبالغة؛ كأنَّ الحُمُرَ لشدَّة العَدْوِ تَطلُب النفارَ مِن نفسها، والمعنى: مشبَّهين بحُمُر نافرة جدًّا.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ أي: أسدٍ، وهي فعولة من القَسْر وهو القهر والغَلَبة،

---

(١) ١٨٧/٤.

(٢) أي: لا ضبَّ بها حتى ينجحر، وينظر ما سلف ٢٣٧/٣.

وأخرج ذلك ابنُ جرير وعبد بن حميد وغيرهما عن أبي هريرة[(١)]، وأخرجه ابن المنذر عن ابن عباس أيضاً، بيدَ أنَّه قال: هو بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: قَسْورة[(٢)]. وفي رواية أخرى عنه: إنها الرجال الرماة القُنَّص. وروي نحوه عن مجاهد وعكرمة وابنِ جبير وعطاء بنِ أبي رباح. وفي رواية أخرى عنه أخرجها ابنُ عيينة في تفسيره أنَّه رِكْزُ الناسِ، أي: أصواتهم[(٣)]. وعنه أيضاً: حبال الصيادين. وعن قتادة: النَّبْل. وقال ابنُ الأعرابي وثعلب: القسورة: أوَّل الليل. أي: فرَّت مِن ظلمة الليل. وجمهور اللغويين على أنَّه الأسد.

وأيَّاما كان فقد شُبِّهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه مِن المواعظ وشرادهم عنه بحُمُرٍ وحشيَّة جدَّت في نِفارها ممَّا أفزعها، وفي تشبيههم بالحُمُر مذمَّةٌ ظاهرةٌ وتهجينٌ لحالهم بيِّنٌ، كما في قوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، أو شهادة عليهم بالبَلَه وقلَّة العقل.

وقرأ الأعمش: «حُمْر» بإسكان الميم[(٤)].

وقرأ نافع وابن عامر والمفضَّل عن عاصم: «مُسْتَنْفَرة» بفتح الفاء[(٥)]، أي: استنفرها فَزَعُها مِن القسورة، و«فرَّت» يناسب الكسر، فعن محمد بنِ سَلام، قال: سألتُ أبا سوَّار[(٦)] الغنويَّ وكان أعرابياً فصيحاً، فقلت: «كأنَّهم حُمُر» ماذا؟ فقال: مُسْتَنْفَرة طَرَدها قَسْورة. ففتح الفاء، فقلت: إنَّما هو «فرَّت مِن قَسْورة»؟ قال: أفرَّت؟ قلت: نعم. قال: فمستنفِرة إذن. فكسر الفاء.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٨٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٩. وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر أيضاً.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٦ لكن عزاه لابن أبي حاتم. وهو عند الطبري في التفسير ٢٣/ ٤٦٠.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٨٦، وزاد نسبتها لعبد الرزاق [في التفسير ٢/ ٣٣٢]، وابن المنذر. وهو عند الطبري في التفسير ٢٣/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٨٠.

(٥) التيسير ص٢١٦، والنشر ٢/ ٣٩٣، عن نافع وابن عامر وأبي جعفر، والكلام من البحر ٨/ ٣٨٠.

(٦) تحرفت في الأصل و(م) ومطبوع البحر (والكلام منه) ٨/ ٣٨٠ إلى: سرار.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ عطف على مقدَّر يقتضيه المقام، كأنَّه قيل: لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يَرْضَون بها، بل يريد كلُّ واحد منهم أن يُؤتَى قراطيسَ تُنشَر وتُقْرَأ، كالكتب التي يتكاتب بها. وجوّز أن يراد: كتباً كتبت في السماء ونزلت بها الملائكةُ ساعةَ كُتبت منشَّرة على أيديها غضَّة رطبة لم تُطْوَ بَعْدُ، وفيه بُعْدٌ.

وذلك على الوجهين أنَّهم قالوا لرسول الله ﷺ: إن سرَّك أن نتابعك، فَأْتِ كلَّ واحد منَّا بكُتب من السماء عنوانها من ربِّ العالمين إلى فلان بنِ فلان، نُؤمَر فيها باتِّباعك، فنزلت، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾(١) [الإسراء: ٩٣] وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ٧].

وأخرج ابنُ جرير وابنُ المنذر عن السُّدِّيِّ عن أبي صالح قال: قالوا: إن كان محمَّد صادقاً فليُصبح تحتَ رأسِ كلِّ رجلٍ منَّا صحيفة فيها براءةٌ وأمنة مِن النار(٢).

وقيل: كانوا يقولون: بَلَغنا أنَّ الرجل مِن بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً على رأسه ذَنْبه وكفَّارته، فَأْتنا بمِثْلِ ذلك. وهذا مِن الصحف المنشَّرة بمعزل إلا أن يُراد بالصُّحُف المنشرة الكتاباتُ الظاهرة المكشوفة، ونحوُه ما روي عن أبي صالح، فمآلهما إلى واحد، لاشتراكهما في أنَّ المنشرَ لم يَبْقَ على أصله وأنَّ لكلٍّ صحيفة مخصوصة به؛ إمَّا لخلاصه مِن الذنب، وإمَّا لوجه خلاصِه، فالمعوَّل عليه ما تقدَّم، وهو مروي عن الحسن وقتادة وابنِ زيد.

وقرأ سعيد بن جبير: «صُحْفاً» بإسكان الحاء، «مُنْشَرة» بالتخفيف(٣)، على أنَّ أَنْشَر الصحف ونشرها واحد، كأنزله ونَزَّله، وفي «البحر»: المحفوظ في الصحيفة والثوب: نَشَرَ، مخفَّفاً ثلاثياً، ويُقال في الميتِ: أَنْشَره اللهُ تعالى ونشره، ويقال:

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٨١، والأثر أورده بنحوه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٦ عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر، وهو عند الطبري في التفسير ٢٣/ ٤٦١.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، ولم نقف عليه عند ابن جرير في التفسير.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٥، والمحتسب ٢/ ٣٤٠، والبحر ٨/ ٣٨١، والكلام منه.

أنشره اللهُ تعالى فنشر هو، أي: أحياه فحَيِيَ[1].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن إرادتهم تلك، وزَجْرٌ لهم عن اقتراح الآيات ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝٥٣﴾ فلذلك يُعرِضون عن التذكرة، لا لامتناع إيتاء الصحف وحصول مقترحهم كما يزعمون.

وقرأ أبو حيوة: «تخافون» بتاء الخطاب[2]؛ التفاتاً.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن إعراضهم ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن، أو التذكرة السابقة في قوله تعالى: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ)، وكذا الضمير الآتي، وذُكِّرَ لأنَّه بمعنى القرآن أو الذِّكْر ﴿تَذْكِرَةٌ ۝٥٤﴾ وأيُّ تذكرة ﴿فَمَن شَاءَ﴾ أن يَذْكُره ﴿ذَكَرَهُ ۝٥٥﴾ وحاز بسببه سعادةَ الدارين، والوقف على «كلَّا» على ما سمعت في الموضعين، وعلى «منشَّرة» و«الآخرة» إن جُعلت ـ كما في الحواشي ـ بمعنى «إلا».

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: بمجرَّد مشيئتهم للذِّكْر كما هو المفهوم مِن ظاهر قوله تعالى: (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) إذ لا تأثيرَ لمشيئة العبد وإرادته في أفعاله، وهو قوله سبحانه: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء مفرَّغ مِن أعمِّ العلل أو مِن أعمِّ الأحوال، أي: وما يذكرون بعلَّة مِن العلل أو في حال مِن الأحوال إلا بأن يشاء اللهُ تعالى، أو حالَ أن يشاء اللهُ ذلك، وهذا تصريح بأنَّ أفعال العباد بمشيئة الله عزَّ وجل بالذات أو بالواسطة، ففيه ردٌّ على المعتزلة، وحَمْلُهم المشيئةَ على مشيئة القَسْر والإلجاء خروجٌ عن الظاهر مِن غير قسرٍ وإلجاء.

وقرأ نافع وسلَّام ويعقوب: «تَذْكُرون» بتاء الخطاب التفاتاً، مع إسكان الذال[3]. وروي عن أبي حيوة: «يَذَّكَّرون» بياء الغيبة وشدِّ الذال[4]. وعن أبي جعفر: «تَذَّكَّرون» بالتاء الفوقيَّة وإدغامها في الذال[5].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣١٨.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٨١.

(٣) التيسير ص٢١٦، والنشر ٢/ ٣٩٣ عن نافع، والكلام من البحر المحيط ٨/ ٣٨١.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٥، والبحر المحيط ٨/ ٣٨١.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٥، والبحر المحيط ٨/ ٣٨١.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيق بأن يُتَّقى عذابُه ويُؤمَن به ويُطاع، فالتقوى مصدر المبنيِّ للمفعول ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ حقيقٌ بأن يَغفر جلَّ وعلَّا لمن آمنَ به وأطاعه، فالمغفرة مصدر المبني للفاعل.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، والنسائي وابن ماجه وخَلْق آخرون عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾، فقال: «قد قال ربُّكم: أنا أهلٌ أن أُتَّقى، فلا يُجعل معي إله، فمَن اتَّقاني فلم يجعل معي إلهاً آخَر، فأنا أهلٌ أن أغفر له»[١]. وأخرج ابنُ مردويه عن عبد الله بنِ دينار عن أبي هريرة وابنِ عمر وابنِ عباس مرفوعاً ما يَقرُب مِن ذلك[٢].

وفي حديث أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إنِّي لأجدني أستحي مِن عبدي يَرفعُ يديه إليَّ، ثم يردُّهما مِن غير مغفرة. قالت الملائكة: إلهنا ليس لذلك بأهل. قال الله تعالى: لكنِّي أهلُ التقوى وأهل المغفرة، أشهدكم أنِّي قد غفرتُ له»[٣]. وكأنَّ الجملة لتحقيق الترهيب والترغيب اللذين أشعر بهما الكلام السابق كما لا يخفى على المتذكِّر.

وعن بعضهم أنَّه لما سمع قولَه تعالى: (هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ)، قال: اللهمَّ اجعلني مِن أهل التقوى وأهل المغفرة. على أنَّ أوَّل الثاني كثاني الأوَّل مبنيًّا للفاعل، وثاني الثاني كأوَّل الأوَّل مبنيًّا للمفعول، وإلا فلا يحسن الدعاء وإن تكلّف لتصحيحه، فافهم والله تعالى أعلم.

---

(١) أحمد (١٢٤٤٢)، والترمذي (٣٣٢٨)، والحاكم ٢/ ٥٠٨، والنسائي في الكبرى (١١٥٦٦)، وابن ماجه (٤٢٩٩). قال الترمذي: هذا حديث غريب، وسهيل (ابن أبي حزم أحد رجال الإسناد) ليس بالقوي في الحديث، قد تفرَّد بهذا الحديث عن ثابت. اهـ. ولم ترد في مطبوعه لفظة: حسن. ووردت في تحفة الأشراف ١/ ١٣٩، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٤٨، وتفسير ابن كثير عند هذه الآية.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٨٧.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٨٧، وهو في نوادر الأصول ص١٣٨ و٢٣٣ دون أن ينسبه للحسن.

(سورة المدّثّر)

(مكيّة، وهي ست وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

روىٰ (جابر) أن النبيّ ﷺ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المدَّثر، مكية) على الأصح لا بالإجماع كما قيل لأن منهم مَن استثنى منها آية ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [المدَّثر: الآية ٣١] الآية. **(وهي ست وخمسون آية)** وفي التيسير خمس وخمسون فهي على الاختلاف فيها ومائتان وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف.

قوله: (جابر) بن عبد الله بن عَمرو بن حَرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السَّلَمي يكنّى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمٰن وأبا محمد على أقوال أحد المكثرين عن النبيّ ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة كذا في الإصابة. **وفي تهذيب الأسماء** وهو أحد المكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ روى ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعين حديثًا. اتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثًا وانفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين. وروى عن أبي بكر وعمر وعليّ وأبي عبيدة ومعاذ وخالد بن الوليد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه جماعات من أئمة التابعين منهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة ومحمد الباقر وعطاء وسالم بن أبي الجعد وعمرو بن دينار ومجاهد

كنت (**على جبل حراء**: **فنوديت**) يا محمد إنك رسول الله. (**فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أرَ شيئًا**)، فنظرت إلى فوقي (**فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض**) ـ يعني الملك الذي ناداه ـ (**فرُعِبْت**) ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني. فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أي المتلفف بثيابه (**من الدثار**) وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار. والشعار: الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر

ومحمد بن المنكدر وأبو الزبير والشعبي وخلائق ومناقبه كثيرة انتهى. **وأيضًا فيه** توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستين وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه وكان ذهب بصره في آخر عمره انتهى. **قوله**: (**على جبل حراء**) بكسر الحاء والمدّ جبل معروف بقرب مكّة ويجوز صرفه وعدمه ويُسمى حري كعلي في لغة غريبة. اهـ شهاب. **وفي لسان العرب** قال الخطابيّ كثير من المحدّثين يغلطون فيه فيفتحون حاءه ويقصرونه ويميلونه ولا تجوز إمالته لأن الراء قبل الألف مفتوحة كما لا يجوز إمالة راشد ورافع. اهـ. **قوله**: (**فنوديت**) والمنادي غير معلوم في ذلك الحين والفاء للسببية فإن كونه عليه الصلاة والسلام في حراء سبب النداء في الجملة. **قوله**: (**فنظرت عن يميني**) بمعنى من أي فنظرت ابتداء نظري جانب يميني فلم أرَ شيئًا (**و**) نظرت (**عن يساري فلم أرَ شيئًا**) فنظرت فوقي أي إلى فوقي وفيه تنبيه على أن البدء باليمين في مثل هذا هو الأولى ولم يذكر الأمام وضده لظهور أن النداء لم يكن منهما وفيه إشارة إلى أن النداء على وجه لم يعرف محل مناديه ومن أي جهة ناداه بل الظاهر أنه عليه السلام سمع النداء من جميع الجهات على خلاف العادات. **قوله**: (**فإذا هو**) أي المنادي (**قاعد على عرش**) أي سرير (**بين السماء والأرض**) أي هو معلق بينهما قريب من الأرض كما هو المتبادر أو بعيد منها وهو الأنسب بالمقام. **قوله**: (**فرُعِبْت**) معلوم كمنعت كما في القاموس وككرمت كما في شرح البخاري وهو لازم ومتعدٍ ولا يلزم في اللازم ضم العين كما توهّم ومجهول بضم أوله وكسر ثانيه. كما روي في الحديث وذكره أهل اللغة ومعناه فيهما فزعت وخفت.

قوله: (**من الدثار**) بكسر الدال.

(فأدغم) ﴿قُمْ﴾ من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، **(أو فافعل الإنذار)** من غير تخصيص له بأحد. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتمّ فتغطّى بثوبه مفكرًا كما يفعل المغموم فقيل له: يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار، قم فاشتغل بالأنذار وإن آذاك الفجار.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ **(واختصّ ربك بالتكبير)** وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما **(يعروك)** من غير الله: الله أكبر. **(ورُوِيَ أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر»)** فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي، وقد يحمل على تكبير الصلاة. **(ودخلت الفاء بمعنى الشرط)** كأنه قيل: **(وما كان فلا تدع تكبيره)**.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ بالماء من النجاسة لأن الصلاة لا تصحّ إلا بها وهي الأولى في غير الصلاة، أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة، أو طهّر نفسك مما يستقذر من الأفعال يقال: فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، وفلان دنس الثياب للغادر ولأن مَن طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرًا.

قوله: (فأدغم) أي فأدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالًا وتسكينها. **قوله:** (أو فافعل الإنذار...) الخ يعني أنه منزّل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلّقه بالمفعول ولم يذكر لفظًا ولا تقديرًا للتعميم والاختصار.

قوله: (واختصّ ربك بالتكبير) مستفاد من تقديم المفعول. **قوله:** (يعروك) أي يعترضك. **قوله:** (رُوِيَ أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر») امتثالًا لأمره تعالى. **قوله:** (ودخلت الفاء بمعنى الشرط) فإن حق الفاء السببية أن يكون ما بعدها مسببًا لازمًا لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شيء يترتب عليه ما بعدها علم أن ما بعدها جواب الشرط محذوف. **قوله:** (وما كان فلا تدع تكبيره) أي وأيّ شيء حدث ووقع فلا تترك تكبيره أي وصفه بالكبرياء.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

﴿وَالرُّجْزَ﴾ (**بضم الراء: يعقوب وسهل وحفص**)، وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدي إليه ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي أثبت على هجره لأنه كان بريئًا منه ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ بالرفع وهو منصوب المحل (**على الحال أي لا تعط مستكثرًا**) رائيًا لما تعطيه كثيرًا أو طالبًا أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، وهو مَن منّ عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن ﴿تَسْتَكْثِرْ﴾ (**بالسكون**) جوابًا للنهي ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ ولوجه الله (**فاستعمل الصبر**) على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ نفخ في الصور وهي النفخة الأولى (**وقيل: الثانية**) ﴿فَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ (﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **مرفوع المحل بدل من «ذلك»**) ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. (**والفاء في** ﴿فَإِذَا﴾ **للتسبيب**) وفي ﴿فَذَٰلِكَ﴾ للجزاء كأنه قيل: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقي عاقبة صبرك عليه. والعامل في ﴿فَإِذَا﴾ ما دلّ عليه الجزاء أي

قوله: (**بضم الراء**) وهي لغة في المكسور وهما بمعنى وهو العذاب وعن مجاهد أنه بالضم بمعنى الضم وبالكسر العذاب (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري (**وسهل**) بن محمد السجستاني وليسا من السبعة (**وحفص**) بن سليمان. **قوله**: (**على الحال**) من فاعل ﴿وَلَا تَمْنُن﴾ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٩١] أي لاعبين. **قوله**: (**أي لا تعط مستكثرًا**) أي لا تعط شيئًا من مالك لتأخذ أكثر منه فالمنّ بمعنى الإعطاء. **قوله**: (**بالسكون**) قراءة شاذّة. **قوله**: (**فاستعمل الصبر**) أي ﴿فَاصْبِرْ﴾ نزل منزلة اللازم لكمال تعميم الصبر أي فداوم على الصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء.

قوله: (**وقيل: الثانية**) وهو الأصح. اهـ خازن. **قوله**: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **مرفوع المحل بدل من** ﴿ذَٰلِكَ﴾) وبني على الفتح لإضافته إلى «إذ» وهو غير متمكن كأنه قيل: فيوم إذ نقر في الناقور ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾. **قوله**: (**والفاء في** ﴿فَإِذَا﴾ **للتسبيب**) يعني أنها فاء جواب الأمر كما في قوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:

فإذا نقر في الناقور عسر الأمر ﴿(عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ وأكد بقوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرًا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي كله إليّ يعني الوليد بن المغيرة وكان يلقب في قومه بالوحيد و﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ معطوف أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من الياء في ﴿ذَرْنِي﴾ أي ذرني وحدي معه فإني أكفيك أمره، أو من التاء في ﴿خَلَقْتُ﴾ أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو من الهاء المحذوفة، أو من أي خلقته منفردًا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ (**مبسوطًا كثيرًا أو ممدودًا بالنماء**) وكان له الزرع (**والضرع**) والتجارة. وعن مجاهد: كان له

الآية ٣٤]، وقولك: أكرم زيدًا فإنه فاضل فإن الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك إذا كان ما بعدها سببًا لما قبلها كما في الأمثلة المذكورة، وقد يكون ما قبلها سببًا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فأكرمه فإنها دخلت على ما هو جزاء في المعنى لأن المعنى إذا كان كذا فأكرمه كما أن الأولى داخلة على ما هو شرط في المعنى وما بعد الفاء في الآية شرط في المعنى أي إذا كان بين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى أنت ثواب صبرك عليه فاصبر.
قوله: (﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) متعلّق بعسير لا بيسير لأنه لما لم يجز تقدّم المضاف إليه على المضاف كان عدم جواز تقدم معمول المضاف إليه عليه أولى.

قوله: (**مبسوطًا كثيرًا**) وصف بأن ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره أيضًا فإن المال الكثير إذا عدّ يمتدّ عدده والمال الذي يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عياش رضي الله عنه: كان له مال ممدود ما بين مكة إلى الطائف الإبل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والأشجار والأنهار والنقد الكثير. وقال مقاتل: كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفًا ولا شتاء فالممدود هنا كما في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣٠] أي لا ينقطع. **قوله:** (**أو ممدودًا بالنماء**) بأن يكون نماء ماله ممدًا لأصله يقال: مددنا القوم أي صرنا مددهم وأمددناهم بغيرنا ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: الآية ٢٢]. **قوله:** (**والضرع**) أصل

مائة ألف دينار. وعنه أن له أرضًا بالطائف لا ينقطع ثمرها ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ (**حضورًا**) معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة (**أسلم منهم خالد وهشام وعمارة**).

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

(﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ استبعاد واستنكار لِطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر. وقال الحسن: أن أزيد أن أدخله الجنة فأوتيه مالًا وولدًا كما قال لأوتين مالًا وولدًا ﴿كَلَّآ﴾ ردع له وقطع لرجائه أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا﴾ للقرآن ﴿عَنِيدًا﴾ معاندًا جاحدًا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلًا قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا

معناه الثدي والمراد به الحيوانات التي تقتنى. أما مجازًا أو بتقدير ذوات الضرع.

قوله: (**حضورًا**...) الخ فشهود جمع شاهد بمعنى حاضر. **قوله:** (**أسلم منهم خالد وهشام وعمارة**) ومثله في تفسير الكشّاف والخطيب والخازن والبيضاوي. وقال ابن حجر في الإصابة: عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم استدركه ابن فتحون وعزاه لمقاتل فإنه قال في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾، قال: نزلت في الوليد بن المغيرة كان له من الولد سبعة وأسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة كذا قال وأورده الثعلبي في تفسيره عن مقاتل (**والصواب خالد وهشام والوليد**) وأما عمارة فإنه مات كافرًا لأن قريشًا بعثوه للنجاشي فجرت له معه قصة فأصيب بعقله وهام مع الوحش وقد ثبت أنه ممن دعا النبيّ ﷺ عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو يصلّي. انتهى بحروفه.

قوله (﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾) حذف مفعول ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ [المدّثّر: الآية ١] للتفخيم مع الاختصار.

يستحق المزيد ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾ سأغشيه ﴿صَعُودًا﴾ عقبة شاقة المصعد **(وفي الحديث «الصعود)** جبل من نار **(يُصعد)** فيه **(سبعين خريفًا ثم يهوي)** فيه **(كذلك أبدًا»)**.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذلّ بعد الغنى والعزّ لعناده، ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته، وتسمية القرآن سحرًا يعني أنه فكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله وهيأه ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ كرر للتأكيد **(و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول)** ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوه الناس أو فيما قدر ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ **(قطب وجهه)** ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في التقبض **(والكلوح)** ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عنه **(أي عن مقامه وفي مقاله)**. و﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء اعتراض بينهما، وإيراد «ثم» في المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيًا.

قوله: (وفي الحديث الصعود...) الخ. رواه الترمذي والحاكم. **وقوله**: **(يصعد)** بصيغة المجهول من التفعيل. **وقوله**: **(سبعين خريفًا)** أي عامًا. **وقوله**: **(ثم يهوي)** من الباب الثاني أي يسقط أو ينزل. **وقوله**: **(كذلك)** أي سبعين خريفًا أي عامًا. **وقوله**: **(أبدًا)** قيد للصعود والنزول أي إلى غير المتناهي في الصعود والسقوط.

قوله: **(و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول)** لأنها للتراخي الزماني في الأصل فاستعير هنا للتراخي الرتبي فتفيد الأبلغية. **قوله**: **(قطب[1] وجهه)** في مختار الصحاح قطّب وجهه تقطيبًا عَبَس.اهـ. **قوله**: **(والكلوح)** في مختار الصحاح الكُلوح تكسر في عُبُوس وبابه خضع.اهـ. **قوله**: **(أي عن مقامه وفي مقاله)** أي أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله.

---

(١) أي تغير واسود ١٢ قنوي رحمه الله.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يُروىٰ عن السحرة. رُوِيَ أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه **(لطلاوة)**، وإن أعلاه لمثمر، **(وإن أسفله لمغدق)**، ونه يعلو وما يعلىٰ. فقالت قريش: **(صبأ)** والله الوليد. فقال أبو جهل وهو ابن أخيه: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا وكلّمه بما أحماه فقام الوليد، فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه **(يخنق)**؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطىٰ شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل، **(فارتجّ)** النادي فرحًا وتفرّقوا متعجبين منه. وذكر الفاء دليل على أن هذه الكمة لما خطرت بباله نطق بها **(من غير تلبث)** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرىٰ التوكيد للأولى.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سأدخله بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿سَقَرَ﴾ علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تهويل لشأنها ﴿لَا تُبْقِي﴾ أي هي لا تبقي لحمًا ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ عظمًا أو لا تبقي شيئًا يبقى فيها إلا أهلكته ولا تذره هالكًا بل يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هي لواحة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ جمع بشرة

قوله: (لطلاوة) بالضم والفتح لغة أي بهجة. اهـ مصباح. **قوله:** **(وإن أسفله لمغدق)** الغَدَق بالغين المعجّمة وبفتح الدال المطر الكبار القطر والمُغْدِق مُفْعِلٌ منه. **قوله:** (صبأ) في المصباح صبأ من دين إلى دين يصبأ مهموز بفتحتين خرج فهو صابىء. اهـ. **قوله:** (يخنق) كانوا يعتقدون الجن يخنق المجنون ويخبطه. **قوله:** (فارتج) أي اضطرب النادي والمجلس أي أهله. **قوله:** (من غير تلبث) أي من غير توقّف.

وهي ظاهرة الجلد (أي مسوّدة) للجلود ومحرقة لها ﴿عَلَيْهَا﴾ على سقر ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي يلي أمرها تسعة عشر (**ملكًا**) عند الجمهور. (**وقيل: صنفًا من الملائكة**). وقيل: صفًا. وقيل: (**نقيبًا**) ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي خزنتها ﴿إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ لأنهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقّة لأنهم أشد الخلق بأسًا فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ تسعة عشر ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي ابتلاء واختبار ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى قال أبو جهل: لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ ما يستطيع كل عشر منكم أن يأخذوا واحدًا منهم (**وأنتم الدهم**)، فقال (**أبو الأشد**) وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ أي

قوله: (أي مُسَوِّدَة) اسم فاعل من التفعيل. **قوله**: (ملكًا) فالمعدود أفراد وهو الظاهر المتبادر ولذا قدمه ورجحه. **قوله**: (**وقيل: صنفًا من الملائكة**) فالمعدود صنف ولا يعلم عدد كل صنف إلّا الله تعالى، ولذا لم يتعرّض المصنّف رحمه الله والصنف هو النوع المقيّد بتشخصات كلية كالرومي فإنه الإنسان المقيّد بكونه أبيض فليعتبر مثل ذلك في الملك ودون تفصيلها خرط القتاد[١]. اهـ قنوي. **قوله**: (نقيبًا) وهو الضامن لتدبير أمرهم.

قوله: (**وأنتم الدَهْم**) في لسان العرب الدَهْم الجماعة الكثيرة. اهـ. **قوله**: (**أبو الأشد**) بفتح الهمزة وضمّ الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة.

---

(١) في تاج العروس شرح القاموس في فصل الخاء من باب الطاء ويضرب للأمر الشاق دون ذلك خرط القتاد. اهـ. وفيه أيضًا (خرط الشجر يخرطه ويخرُطه) خرطًا (انتزع الورق منه) واللحاء (اجتزابًا) بكفه. اهـ. وأيضًا فيه في فصل القاف من باب الدال (القتاد كسحاب شجر صلب له شوكة كالإبر) وهو قضبان مجتمعة كل قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكًا ١٢.

وما جعلناهم رجالًا من جنسكم يطاقون. وقالوا: في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لا يطلب في الأعداد العلل أن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم، وستة يضربونهم بمقامع الحديد، والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الأكبر. وقيل: في سقر تسعة عشر دركًا وقد سلّط على كل درك ملك. وقيل: يعذب فيها بتسعة عشر لونًا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل. وقيل: إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهي تسعة عشر وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ لأن عدّتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزّل من الله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمحمد وهو عطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ﴿إِيمَـٰنًا﴾ لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا عطف أيضًا، وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالّان على انتفاء الارتياب. ثم عطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ أيضًا.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المشركون فإن قلت: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكيّة. قلت: معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكيّة. وقيل: المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين. و﴿مَثَلًا﴾ تمييز لهذا أو حال منه كقوله: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: الآية ٦٤] ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمي مثلًا، والمعنىٰ أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي معنىً أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، وغرضهم إنكاره أصلًا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ **(الكاف نصب)** و«**ذلك**» إشارة إلى ما قبله من معنىٰ الإضلال والهدى **(أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى)** يعني إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما

قوله: **(الكاف نصب)** على أنه نعت لمصدر محذوف أي يضلّ إضلالًا مثل ذلك. **قوله:** **(أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى)** في قوله:

قالوا، وهدي المؤمنين لتصديقه، ورؤية الحكمة في ذلك يضلّ الله مَن يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء، وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال. لما قال أبو جهل لعنه الله: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر نزل ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لفرط كثرتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ (فلا يعزّ) عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها ﴿وَمَا هِىَ﴾ متصل بوصف سقر (وهي) ضميرها أي وما سقر وصفتها ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ أقسم به لعظم منافعه (﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ **نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. وغيرهم** ﴿**إذا دبر**﴾) ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب. وقيل: أدبر ولى ومضى، ودبر جاء بعد النهار ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أضاء وجواب القسم ﴿إِنَّهَا﴾ إن سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ هي جمع الكبرى أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر، ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول: هو أحد الرجال وهي أحدى النساء.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وفي قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ أي كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضلّ ويخزي مَن يشاء ويهدي ويرشد مَن يشاء كإرشاد الصحابة. قوله: (فلا يَعزّ) أي يعسر. قوله: (وهي) أي لفظ هي.

قوله: (﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾) بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين (نافع وحفص وحمزة ويعقوب) بن إسحٰق وليس من السبعة (وخلف) بن هشام وليس من السبعة وله اختيار. قوله: (وغيرهم ﴿إذا دبر﴾) بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الألف.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)﴾

﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من «إحدى» أي إنها لإحدى الدواهي **(إنذارًا)** كقولك: هي إحدى النساء عفافًا. وأبدل من ﴿لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بإعادة الجار ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنه. وعن الزجاج: إلى ما أمر وعما نهى. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)﴾ هي ليست بتأنيث «رهين» في قوله: ﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: الآية ٢١] لتأنيث النفس، **(لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين)**، لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، والمعنى كل نفس رهن **(بكسبها)** عند الله غير مفكوك.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢)﴾

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩)﴾ أي أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها، أو إلا المسلمين فإنهم فكّوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق ﴿فِى

قوله: **(إنذارًا)** إشارة إلى أن ﴿نَذِيرًا﴾ على هذا بمعنى الإنذار مصدر. **قوله**: **(لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين)** لأن فعيلًا إذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكّر والمؤنّث فعلم أن التاء ليست للفرق بين المذكّر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول أي اسم لما يرهن والتاء التي فيه للدلالة على كونه منقولًا من الوصفية إلى الاسمية فإن الصفة إذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج إلى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلًا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصحّ أن يقال: كل امرىء رهينة كما يقال كل نفس رهينة أي محبوسة من قولهم: رَهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته كذا، أي تركته ثابتًا مقيمًا عنده والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون ونفس المكلّف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما أوجبه عليه من التكاليف التي هي خالص حقّه فإن أدّاها المكلّف كما وجبت عليه فكّ رقبة وخلّص نفسه وإلّا تبقى نفسه محبوسة عنده تعالى. **قوله**: **(بكسبها)** على أن ما مصدريّة.

جَنَّٰتٍ﴾ **(أي هم في جنات لا يكتنه وصفها)** ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ **(يسأل بعضهم بعضًا عنهم أو** ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ **غيرهم عنهم)** ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أدخلكم فيها. ولا يقال لا يطابق قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ وهو سؤال للمجرمين قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وهو سؤال عنهم، وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم، لأن ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم، لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين، إلا أنه اختصر **(كما هو نهج القرآن)**. وقيل: «عن» زائدة.

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي لم نعتقد فرضيتها ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كما يطعم المسلمون ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الخوض: الشروع في الباطل. أي نقول الباطل والزور في آيات الله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ الحساب والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ من الملائكة والنبيين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين في الحديث: **(«إن من أُمتي مَن يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر»)** ﴿فَمَا

قوله: (أي هم في جنّات) يعني أن قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: الآية ٧٢] خبر مبتدأ مضمر. **قوله: (لا يكتنه وصفها)** يشير إلى أن تنوينه للتعظيم ويكتنه بمعنى يدرك كنهه. **قوله: (يسأل بعضهم بعضًا عنهم)** فالتفاعل في بابه. **قوله: (أو** ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ **غيرهم عنهم)** بمعنى يسألون غيرهم عن أحوال المجرمين فإن تفاعل قد يجيء بمعنى فعل كما يقال تداعينا أي دعونا. **قوله: (كما هو نهج القرآن)** في غرابة نظمه.

قوله: (إن من أمتي مَن يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر). أخرجه الإمام أحمد والحاكم وابن ماجة عن الحارث بن قيس ومالك وغيره.

لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ (عن التذكير) وهو العظة أي القرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ موليـن حال من الضمير نحو: مالك قائمًا.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ (أي حمر الوحش) حال من الضمير في ﴿مُعْرِضِينَ﴾ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ (شديدة النفار) كأنها تطلب النفار من نفوسها. (وبفتح الفاء: مدني وشامي) أي استنفرها غيرها ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ حال و«قد» معها مقدّرة. (والقسورة: الرماة) أو الأسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ (قراطيس تنشر وتقرأ) وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء (عنوانها): من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك. ونحوه

قوله: (عن التذكير) إشارة إلى أن ﴿ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ مصدر بمعنى التذكير.

قوله: (أي حمر الوحش) لأنها موصوفة بالنِفار وشدّة الفرار لا سيما من الأسد. **قوله:** (شديدة النفار) في المصباح نفر الوحش نفورًا والاسم النفار بالكسر. اهـ. **قوله:** (وبفتح الفاء: مدنيّ) أي قرأه نافع وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وشاميّ) أي قرأه ابن عامر في تفسير النيسابوري ﴿مُّسْتَنفَرَةٌ﴾ بفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر المفضل. اهـ. وقرأ الباقون بكسرها. **قوله:** (والقسورة: الرماة) أي جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (قراطيس) أي المراد بالمصحف القراطيس جمع قرطاس وهو ورق فسّر الصحف بالقراطيس إذ الصحف هي التي يكتب فيها من ورق أو كاغذ أو غيرهما. **قوله:** (تنشر وتقرأ) أشار به إلى أن المراد بكونها منشورة أن تفتح لتقرأ. **قوله:** (عنوانها) بضم العين وقد تكسر. اهـ مصباح. وفي لسان العرب العنوان سمة الكتاب. اهـ.

قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: الآية ٩٣] وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات. ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: إن القرآن تذكرة بليغة كافية ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ أي فمَن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل. فإن نفع ذلك عائد إليه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ **(وبالتاء: نافع المدنيّ ويعقوب)** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا وقت مشيئة الله وإلا بمشيئة الله ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ في الحديث: «هو أهل أن يتقي وأهل أن يغفر لمن اتقاه» والله أعلم.

قوله: (﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾**)** أي لن نؤمن بك لأجل رقيك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٣] من السماء فيه تصديقك.

قوله: (وبالتاء: نافع المدنيّ ويعقوب) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب والباقون بياء الغيبة حملًا على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت السورة بحمد لله وعونه

والصلاة والسلام على أفضل مخلوقاته وآله وصحبه